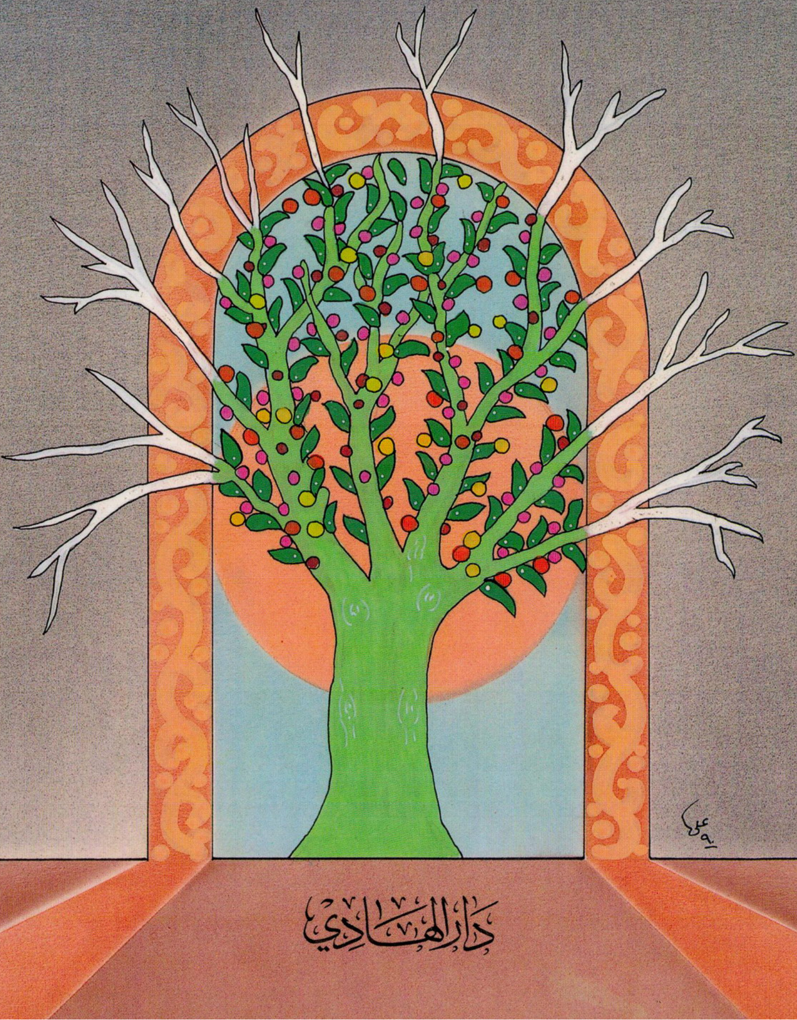
نحو حياة أفضل



دار الهادي

نحو حياة أفضل

نحو حياة أفضل

تأليف: جماعة من العلماء

دار الهادي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٩٩١م - ١٤١١هـ

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: ٢٠٧٧٧ سهام - ٢٢٧٩٥ بلاغ.
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ - بيروت - لبنان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

البشرية اليوم حيرى . . تائهة ، تحيا حياةً بائسة نكدة ، والعالم يسير نحو المجهـول ، يقترب من الهـاوية ، يعيش فـريسة الضيـاع والقلق ، يبحث عن حلولٍ لأزمته المستعصية ، وعن وسائل الخـلاص التي تنقذه من هـذا التخبط القاتل والمميت . .

فعلى الرغم من أن إنسان عصرنا الراهن قطع أشـواطاً بعيـدة في ميادين العلوم والإكتشافات ، واستـطاع أن يغزو الفضـاء ، ويسهم في تأسيس حـركة التقدّم والرقي ، إلا أنه وفي الجانب الآخر ، ظلَّ عـاجزاً عن أن يجـد نفسه ، أو أن يوفِّر حياة هانئة ينعم فيها بـالهدوء والإستقـرار، ويزخُـر بالأمن والـطمأنينـة والسلام . .

فمنذ أن تنكَّبت البشرية عن صراط الله المستقيم ، وتخلَّتْ عن رسالات الأنبياء وقيم السماء ، منذ تلك الفترة وهي تصطخب بالضجيـج ، ترزح تحت نير كابوسٍ رهيب ، تتجرّع علقم الحياة وغصص العيش المرير . .

ففي المستوى العام ، نجد مجتمعاً متـداعياً ، مفكَّـكَ الأوصال ، واهنَ العُرى ، لا شيء يحكمه سوى الطغيان المادي وشريعة الحظيرة ، حيث الجشع والأنانية الفردية المتسلطة . .

وعلى المستوى الخاص نجد الفرد إنساناً ينحدر إلى أسفل ، إنساناً يتحرك بدوافع غريزته وأنانيته ، إنساناً مخموراً يرى السعادة في هلوساته وهذيانه ، إنساناً قلقاً خائر القوى ، مرتبكاً ، يجبن أمام صعاب الحياة ويتساقط في لجَّتها . .

وما تلك النكبات التي حلَّت بالمجتمع البشري وأصابت إنساننا المعاصر إلا نتيجة البعد عن الإسلام ، وتجاوز مفاهيمه وقوانينه وعقائده . .

فلقد جاء الإسلام كرسالة سماوية ليقدّم للبشرية أطروحته المتكاملة ، أراد أن يبني مجتمعاً على نسق آخر . .

مجتمعاً متكاملاً يتآزر بنوه ، ويتآلف أفراده . .

مجتمعاً متماسكاً ، متين العرى ، وطيدَ الروابط ، تحكمه القيم الرفيعة ، وتظلّله تعاليم الشريعة السمحاء . .

مجتمعاً تسوده روح العدالة والمساواة ، حيث لا ظلم ولا جور ولا بخس . .

وقد توخّى الإسلام بناء شخصية الفرد ، بوصفه نواة هذا المجتمع ، واللبنة الأساسية فيه . .

أراد أن ينشىء الإنسان إنشاءً حسناً . .

أن يستنقذه ، وأن يسمو به نحو الأعلى . .

أراد أن يغذّي في كيانه الخصال النبيلة والسجايا الحميدة . .

باختصار ، أراد أن يعيد إليه إنسانيته المسلوبة والمهدورة . .

وهذا الكتاب « **نحو حياة أفضل** » كتابٌ قيِّمٌ نفيس ، يعاين مكامن الخلل التي عصفت بحياتنا المعاصرة ، ويسلِّط الضوء على الأمراض الإجتماعية

والآفات الخُلُقية ، ثم يقدِّم الحلَّ الأنجع . .

إنه يشخِّص الداء ، ثم يقدِّم الدواء . .

وفي متون صفحاته يستعرض الكتاب شواهد حيّة ، يسوقها بأسلوب شيِّق مُمْتع ، خالٍ من التعقيد اللفظي والتعابير الغامضة ، سهلٌ في معانيـه ، جليٌّ بيِّنٌ في مقاصده . .

نسأل الله أن يهدينا سبل الـرشاد ، ويضيء أمـامنا طـريق الحق والهدى ويغفر لنا خطايانا ، إنه نعمَ المولى ونعم النصير .

ضياع البشرية الحاضرة
والملجأ الواقعي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

منذ بدء ، القرن العشرين وحتى الآن أقـدم أكثر من مليـار شخص على الإنتحار ويشكّل الشباب القسم الأكبر من هؤلاء .

ان ربـع الشعـوب الاسكنـدنـافيـة ، وثلث الفـرنسيين و ٢/٥ من شعب الإتحاد السوفياتي مبتلون بـــ (الأرق) على أثر القلق .

كانت الخسائر العسكرية الأمريكيـة في الأرواح خلال الحـرب العالميـة الثـانية هي ٣٠٠ ألف عسكـري ، ولكن وفي خلال نفس الفتـرة تلف أكثر من ميلوني أمـريكي على أثر الأمـراض القلبية حيث شكّـل القلق الدافـع المباشـر لنصف هذه الحالات .

يُستهلَكْ يومياً حوالي مليون قرص منوّم في المانيا.

إنَّ العالم المتحضّر وإنسان قرن الفضاء يئن تحت قبضة مرض رهيب هو مرض (القلق) ، وقد انتشـر هذا البـلاء الحديث ، فشمـل الكثير من أجـزاء

البشرية وهدَّدها جميعاً بالفناء .

وقد كان للتوسع الرهيب للقلق والإضطراب الرّوحي الذي كـان حصيلة الحياة الميكانيكية الجافة والتمدّن المادي الغربي ، كان هذا التّوسع دافعاً لان يطلق عليه المتخصصون لقب (أكبر مرض في هذا القرن) .

إن القلق يعتبر حقاً منبع الأمراض وسـر الإبتلاء بكـل أو أغلب الأمراض الرّوحية والجسميـة فلقد ثبت ان سـوء الهضم وقرحـة المعدة ، وقـرحة الاثني عشر ، والسرطان ، والآلام القلبية ، والأرق ، ووجـع الرأس والفلج ، وأورام المفاصل وآلامها ، والرومـاتيزم و . . . حتى وجـع الأسنان والتسـوس ، وثلث الأمراض الجلدية كل هذه ناشئة من القلق والإضطرابات الرّوحية .

يقول الدكتور ألكسيس كارل :

« لقد جُنِّدتْ كل القوى في نيويورك لمكافحة مرض الجدري الذي ابتلي به ٨ أشخاص ومات منهم شخصان فقد طافت البعثات المتخصصة على أبواب الدور لأجل التطعيم وكان يعمل لهذا الغرض أكثر من ألفي طبيب وممرض بلا استراحة ليلاً ونهاراً في حين ازدحمت المستشفيـات ومراكـز إطفاء الحـريق ، ومراكز البوليس وحتى المصانع بالمراجعين ، الذين يقفـون على هيئة صفـوف متراصَّة لكي تتمَّ عملية التلقيح ، ولكن مع ان مرض القلق بلغت ضحاياه عشرة آلاف ضعف لضحايا الجدري ، وانه سوف يقضي عاجـلاً على عُشْرِ السكـان الحاليين لنيويورك ، لم نجد أحـداً ينهض لمكافحتـه ولم أسمعْ خـلال عمري المـديد صـوت الجرس الّـذي يعلن عن مجيء هيئة طبيـة للتلقيح ضـد مرض القلق » .

القلق من لوازم الحياة ؟!

حفلت الحياة بظواهر متقابلة من أمثال : الحسن والقبيح ، النور والظلمة وغير ذلك ومن هذه الظواهر المتقابلة مسألة هدوء البال والقلق .

فالقلق إلى حد ما ضروري للحياة ، وفقدانه (أي اللامبـالاة المحضة) يعتبر من وجهة نظر المتخصصين النفسيين نوعاً من الأمراض الـرّوحية وعـلامة على الجنون المسمى بــ (اليسيكوياتي) .

والملاحظ أن موجبـات القلق والإضطراب الـرّوحي في الحياة في هـذا العصر هي أكثر منها في أي عصر مضى .

فهناك وحشة وقلق من المستقبـل المجهول المـظلم ، ووحشة من عـدم الموفّقية في الدراسة .

واضطراب روحي ناشيء من خوف الفشل في العمل والخسارة .

وكذلك في مسألة انتخاب الزّوجـة ، وكيفية السلوك العـائلي والخارجي وكيفية دراسة الأبناء وهلمّ جرى .

ومن هنا فقد كان اللازم على هذا العصر الّذي حمل في أعماقه القلق ان يكافح الفسـاد وظلمات الحيـاة بأصـح الأساليب وأضمنهـا وصولاً إلى الحيـاة السّليمة السعيدة المضمونة للجميع .

فيجب علينا ان نتعرف على هـذا الأسلوب الأساسي للتغلب على القلق وضبطه والإستفادة من ضياء الحياة وجمالها الأخّاذ .

الحاجة للإيمان والمعنويات :

إن الحياة بحر متلاطم الأمواج يسبح فيه الإنسان المهدَّد بالخطر في كلّ آن ، ولكن على كل فرد ان يعبر هذا البحـر العميق ويمتلك لا محالـة الوسيلة

التي تحفظه من الغرق ، ولا يتم ذلك الا بامتلاك سفينة مجهزة أو التوفر الكامل والمعرفة الصحيحة بالسباحة والسعي في تعلم الطريق الصحيح للحياة والتغلب على المشاكل ، وذلك لكي يصل الإنسان بكل اطمئنان خاطر إلى سواحل الآمال .

يقول الإمام الكاظم (عليه السلام) الإمام السابع للمسلمين مخاطباً لهشام :

« يا هشام ان لقمان قال لإبنه . . . يا بني ان الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيها عالم كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الإيمان ، وشراعها التوكّل ، وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر »[1] .

نعم لن نستطيعَ ـ بدون مثل هـذه القوى ـ ان نعبر هذا البحر المتلاطم المليء بالأهوال وننجو من غائلة الغرق ، فانه بدون الإيمان ، والتحمل والإرادة القوية والتوكل على الله وقدرته ولطفه لا يمكن الإنتصار على المشاكل التي تعترض الحياة .

والا فلماذا نشاهدُ أنه رغم التقدم المدهش للعلوم والتكنيك وتوفر مختلف وسائل الرّفاه والراحة للبشرية وإمكان الإستفادة من مختلف الظواهر ، رغم كل هذا نجد الإنسان قد تحوَّل إلى موجود يتملَّكه البؤس والشقاء والمرض والتعب بدل ان يتحول إلى موجود سعيد متكامل ؟

فقد سلبت الراحة والهدوء وحلَّ محلهما الإضطراب والقلق .

ومن هنا ينطلق الجيل القلق التائه للبحث عن ضالته ولأنه لا يجدها ـ لانها غير متوفرة الا في ظل الإيمان ـ فانه يلتجيء إلى الخمر والأفيون والأقراص المسكِّنة والمنوّمة أو انه ينتهي بـه الأمر إلى الإنتحار ! ولكن لماذا كان الأمر كذلك ؟

---

(١) أصول الكافي : ج١ ص١٦ .

إن الجواب واضح : ذلك ان العلوم المادية انما تستطيع ان تشبع الجانب الجسمي في الإنسان وتسد احتياجاته متغافلة عن الجانب الأكبر تأثيراً في الوجود الإنساني وهو الروحُ والإحتياجات النفسية والمعنوية ، وفي النتيجة ولدت كل هذه الأنماط من القلق والإضطرابات الرّوحية .

ان فقدان الإيمان واحتياج البشر الشديد له ودوره في حياة الإنسان هو من الأهمية بمكان سام دفع أكبر عالم نفس معاصر وطبيب وحقوقي كبير واستاذ لكرسي الغلوم النفسية وهو الأستاذ البروفوسير (كارل يونك) لأن يقول :

« ان اللّاتدين يسبب لا محالة ضحالة الحياة وخلوها من أي معنى في حين ان التديُّن يمنح الحياة مفهومها ومعناها الأصيل ، والّذي مشى بكل إصرار على طريق معرفة نفسه يصل لا محالة إلى معرفة ربّه وبالتالي يصل إلى تكامل نفسه وفرديته »[٢] .

فانه بدون الدين والإيمان الحقيقي لن توجدَ راحة مطلقاً ، ومن هنا يقول القرآن الكريم : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري فَإنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى﴾[٣] .

ان هذه الحياة الضيقة الموبوءة المملوءة بالقلق ، هي نتيجة انعدام الإيمان وبالتالي فقدان الملجأ الفكري والمأمن الرّوحي المعنوي في الحياة الفردية والإجتماعية في هذا القرن المضطرب ولأجل الخلاص من هذه الدوّامة المهولة والنجاة من أنماط القلق نجد أن من الضروري اللجوء إلى الإعتقاد الديني الخالص .

يقول الدّكتور « كيلو ردهاوزر » في كتابه « جواز سفر إلى حياة جديدة » .

(٢) مقابلة بين الدكتور أحمد الأرود بادى مع يونك .
(٣) سورة طه ، الآية : ١٢٤ .

« إننـا في الحيـاة نحتـاج إلـى الإعتـدال والإيمـان وإني لاشـارك ج . أ . ليبمـان أكبر فـلاسفة العصـر الحاضـر رأيـه حيث يقـول : « ان الـدين والإيمان في الحياة يهب الإنسان الإطمئنان والسند الروحي » .

يقول القرآن الكريم :

﴿أَلَّـذِينَ آمَنُـوا وَتَـطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِـذِكْـرِ اللَّهِ أَلا بِـذِكْـرِ اللَّهِ تَـطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٤) .

ترى لماذا كان سكون الخـاطر والإطمئنـان من خصائص المؤمنين بـالله تعالى في حين كان الآخرون محرومين من ذلك ؟

إن من الواضح أنَّ من يستمد دائماً العطاء من قدرة لا نهائية يطمئن .

والحقيقـة هي انه بمعـونة من هـذا السنـد المعنـوي الفـريـد ونعني بـه « الإيمـان » يمكن رفع المشكـلات والتغلب على القلق ، وحتى انه يمكن ان يعتبر أهم دواء في المعالجة الجسمية والرّوحية للمرضى .

يقول الدّكتور يول أرنست آدولف الأخصائي في الجراحة العامة الطب في جامعة بنسلفانيا :

« . . . إن أهم عـامـل لشفـاء المـريض ليس الفيتـامينـات والأدويـة والمعـدنيات والعمليـات الجراحيـة و . . . وانما هـو الأمـل والإيمـان ، لقـد توصلت إلى انه يجب ـ فيما بعد ـ ان يعالج جسم المـريض بإعمـال الوسـائل الطبية والعمليات الجراحية وتعالج روحه بتقوية إيمانه بالنسبة لله ، وقد ثبت انه إذا لوحظت مسألة الإيمان « التوسل بالله في أثناء المعالجات واعتبرت عاملاً من

(٤) سورة الرعد ، الآية : ٢٨ .

عوامل العلاج فانه ستحصل لدينا نتائج رائعة » .

ان قدرة الإيمان عجيبة جداً وكثيراً ما نجد أفراداً ابتلوا بـالقلق على أثر عدم ايمانهم وافتقدوا أيّ أملٍ فجرَّهم اليأس إلى مهوى الإنتحار .

قوة المقاومة عند المؤمن :

ان المؤمن الواقعي لن ينحنيَ مطلقاً أمام أصعب اللحظات وأشد الظّروف وتحت مختلف الضغوط وجبال المصائب ، بل وانه يمشي بكل ثقـة واطمئنان قُدُماً نحو استقبال الحوادث وحرب المشاكل ويحارب الهزيمة والفشل وينتصـر في النهاية .

ويعتبر نفسه مرتبطاً بربٍ قادر حكيم ، عليم ، رحيم يعينه ويؤمنه ويرى أنَّ هذه القوة الغيبية والمعنوية تسنده دائماً وتلاحظه دائماً في كل أقواله وأعماله ، وان إرادة ذلك الرّب العظيم مؤثرة في صياغة مستقبله ومصيره ، ولذا فهو يعمل وفق المصلحـة التي يعملها الله وبـإرشـاد منـه ، وهـو ينتـظر الأجـر الـدنيـوي والأخروي الّذي يعطيه إياه بفضله ومنّه ، مثل هذا الإنسان الذي يعتقد بكل هذا ويعمل وفق ما يتـطلبه اعتقـاده أليس من الطبيعي ان يكـون مطمئنـاً يعيش في أقصى درجات الإيمان ؟

وفي مقابل هذا لنلاحظ ذلك الفرد الـذي لا يمتلك قراراً فكـرياً وملجـأً معنوياً يطمئن إليه وليس لديه أيّة مقدسات فهو يسبح مثل قشة حقيرة ـ في فضاء لا نهائي تتقاذفه عواصف الحوادث تارة إلى هنا وأخرىٰ إلى هناك فهو حائر في أمره قلقٌ على مستقبله ، مثل هذا الإنسان لابدّ وأن يحتويـه القلق ويخيِّم عليه الإضطراب ، أيُّ هذين ينبغي أن ينعم بالسكينة الرّوحية يا ترى ؟

إن القـرآن الكـريم يجيب بكـل صـراحـة ووضـوح ـ حينمـا يقـارن بين

المشركين والكفار وبين المؤمنين فيقول ـ :

﴿وَكَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ . الَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدونَ﴾[٥] .

ويمكنكم ان تلاحظُوا بيتاً يقع في مسيرمائي منحدر ، ان هذا البيت لو كان واهي البنيان قد بني من الطين والطوف وأمثال ذلك من المواد التي لا تملك مقاومة تذكر ، فإنه سينهدم وينجرف مع مسير التيار بمجرد ازدياد الضغط المائي عليه ، ولكنه إذا كان محكم الأساس قوي البنيان قد استعمل الحديد والإسمنت المسلح فيه فان الأمواج ستبقى عاجزة أمامه ، حائرة أمام صموده فهو بالتالي مأمن وثيق وملجأ حصين .

وقد تكون قدرة المقاومة والصمود عند الرجال المؤمنين مقابل الحوادث والمشكلات والقلق أشدَّ من الجبال ، قال النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « المؤمن أشد في دينه من الجبال الراسية »[٦] .

إن للمؤمن روحاً كبيرة وقلباً واسعاً لا تستطيعُ الحوادث والمشاكل ان تذيبه أو تحوِّله إلى الشكل الذي تريده .

ومع ان القلق يشبه بعض أنواع الأسيد الذي إذا تساقط قطرة قطرة على الحديد فانه سيثقبه في النهاية وكذلك يشبه الأرضة في كونه يذيب روح الإنسان من الداخل فيقضي عليه .

« مع هذا فان المؤمنين الذين ارتبطُوا بالأبدية واللانهاية والذين وضعُوا أملهم بالله العظيم وعونه اللامحدود هؤلاء لهم أرواح كالبحر المائج تتقاطر عليه قطرات السحاب المُدْلَهِمّ من القلق ولكن هذه القطرات تخجل وتتوارى أمام

(٥) سورة الأنعام ، الآيتان : ٨١ و٨٢ .
(٦) سفينة البحار : ج١ ص٣٧ .

ذلك البحر الموّاج من التحمل والصبر .

يقول الإمام الصادق (ع) :

« ان المؤمن أشد من زبر الحديد إنَّ زبر الحديد إذا أُدخل النار تغيَّر وان المؤمن لو قُتِلَ ثم نُشِرَ ثم قُتِلَ لم يتغير »[٧] .

من خلال ما تقدَّم نلاحظ أن الإنسان المسلم المؤمن مستعدٌ للتضحية في سبيل الله ويتحمَّل ما يعجز الآخرون عن تحمّله . وكل ذلك يعبِّر أصدق تعبير عن الدور الذي يلعبه الإيمان في خلق الإطمئنان والرِّفعة نحو البناء الأفضل بكل ثبات .

(٧) سفينة البحار : ج١ ص٣٧ .

الاسلام مبدأ الفعالية الدائبة والمنع من الفساد

* القلق وعلاجه .
* مثال الشخصية .
* التقليد ، الإقتباس .
* حب الإنسانية .
* المودة الزائلة .
* التمتع السليم بساعات الفراغ .
* الغضب وظن السوء .
* التشاؤم .
* الإسلام يحارب شرب الخمر .

جنباً إلى جنب الصراع بين المادية والإتجاه المعنوي والديني حيث نجد أنَّ الماديين يصرُّون على اعلان الدين كعامل مخدِّر ومحرِّض على الركود ومانع من التقدم العلمي والصناعي للشعوب .

ولكن المُـلاحَظ من خلال الـظروف الإجتماعيـة والسياسيـة التي واكبت التقدم العلمي ، ومشاهدة تاريخ القرون الوسطى هو ان السبب الأساسي لهذه التهمة ما هو إلاّ محاولة رد الصّاع صاعين للمسيحية وجنايات الكنيسة وذلك لانّ الماديين كانُوا قد رأوا أو سمعوا بأن الآلاف من العلماء والمثقفين قتلوا أو أُحرقوا وهم أحيـاء ؛ يكتب « مارم كـارشن » : « في هذه الفتـرة قتـل خمسـة مـلايين شخص بـأمر من الكنيسـة ، ومن سنـة ١٤٨١ إلى ١٤٩٩م أحـرق . ١٠٢٢٠ شخصـاً وهم أحياء وقـطع ٦٨٦٠ شخصاً إلى نصفين وعُـذِّبَ ٩٧٠٢٣ شخصاً حتى لاقُوا حتفهم »[١] .

انهم كـانُوا يـرون ان الكنيسة مـازالت تعتبر نفسهـا المحامي عن منـافع الإمبريالية والمستعمرين وأنّ أي مكان وطأته قدما قسيس فانه ستنجرُّ إليه أقدام المستعمرين المشؤومة لأجل الغارة وسلب الذخائـر والثروات الـوطنية وتسميم الأفكار بسموم الكفر الجائر حتى انهم يقولُون « ان الآباء يهدون الإنجيل بإحدى أيديهم ويهدون الإستعمار الغربي باليد الأُخرى » .

---

(١) تاريخ التحولات الإجتماعية : ج٢ ص١٢٣ عن كتاب « العلم والدين »

وكنتيجة لذلك كان ردُّ الفعل من قبل الأحرار والمفكرين تجاه هذه الأعمال أنْ أعلنوا إنَّ الدين مانع من التقدم وعامل على الكسل والركود ومدافع عن منافع الامبرياليين .

وكانت طموحاتهم الثورية قد أجَّجت ناراً حرقت اليابس والأخضر والباطل والحق وراحت كسيلٍ محطم تحطم الأشياء الحسنة والقبيحة في آن واحد .

ومن الواضح ان الدين الإسلامي ، دين الحياة والفعالية والثورة على الظلم ، لم يسلم من هذه التهمة الرخيصة إذ تصور أولئك الجاهلون بواقعه وتعليماته القيِّمة أنه كالمسيحية يدعو الإنسانية للصمت والإنغلاق والتسليم مقابل الظلم والتعدي الذي يقوم به الإستعمار وأذنابه !!

إنهم في الحقيقة لم يدركوا أبعاد الروح الإسلامية ، وإلاَّ فإنه يكفي أن يلاحظ الإنسان بشيءٍ من الدقة تعليمات الإسلام وأوامره ويطَّلع على متونه وأصوله ليعرفَ أن الإسلام بتشريعه لقانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والرقابة الإجتماعية ، ووضعه المسؤوليات على عاتقِ الفرد والمجتمع ، والتي تتعلق بخلق الفعالية القصوى قد وضع مخططاً دقيقاً وهيَّأ لقلع جذور الفساد والركود والإضطراب .

يقول نبيّ الإسلام (ص) : « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته »(١)

وقد جعل الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات والقبائح والجهاد من الأمور الواجبة تماماً كالصلاة والصوم ، إذ يقول القرآن الكريم بكل صراحة : ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾(٣) .

ان هذا نموذج من عشرات الآيات والروايات التي تدعُو المسلمين لمجاهدة الكفر والفساد والظلم وأمثال ذلك .

نعم هذا هو منطق الإسلام وتعاليمه التي هي أروع عامل للفعاليات

(٢) تفسير الميزان : ج٨ ص١٢ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٩ .

الحيوية ، والإيمان في الحقيقة هو أفضل عامل للتحرك الإنساني إلى الأهداف الإنسانية العالية .

وشاهِدُنا الحيُّ على ذلك حياة الرّسول الأعظم (ص) وخلفائه الأئمة الطّاهرين (ع) فلقد قارع الرسول الأعظم (ص) لوحده وبلا عدة عدا الإيمان قارع الظلم والشرك والإستثمار والرّبا وكل المفاسد التي كانت منتشرة في مجتمع مكة وباقي أنحاء العالم وقد تحمّل في ذلك ألوان العذاب والضغط وحتى التهديد بالقتل .

وقد بقي محصوراً في شعب أبي طالب بعد ان فرض عليه الحصار الإقتصادي كما ان المسلمين اضطرُوا على أثر الأذى والظلم المتوجه اليهم من قريش ان يهاجرُوا إلى الحبشة . كما ان بيت النبي (ص) قد تعرض لهجوم وتآمر حقود من قبل أذناب أشراف قريش الذين رأوا أنَّ منافعهم ومصالحهم أصبحت في خطر ولكن كل هذه العقبات لم تثنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عن هدفه المقدس وجهاده المرير ولم تأخذه منها ملامة ولم تضعف من عزيمته في سبيل تحقيق واجبه الإلهي المقدّس لأجل إنقاذ الجماهير المحرومة من قيد الأسر والإستثمار وتحرير الأفكار من قيود الوهم والخرافة ودفع الإنسانية بالتالي إلى طريق تكاملها الصحيح على ضوء منهج الله . . .

وان التاريخ ليحدثنا بان أشراف قريش ومترفيهم بعد أن تعبوا من معارضته ويئسوا من لينه جاؤوه عن طريق التطميع والترغيب ليحاولوا تحطيم إرادته الحديدية وإيمانه الرّاسخ ولذا فقد عرضُوا عليه ثروة طائلة وزواجاً بأجمل بنات قريش والرئاسة والحكم (أي عرضُوا عليه أشد العوامل والأمور التي يركع أمامها أكثر المدَّعين والقادة المصلحيين) ولكنهم عادوا خائبين بعد ان واجههم بقوله الخالد : « والله لو وضعُوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أنْ أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته »[٤] .

---

(٤) سيرة ابن هشام : ج١ ص٢٦٦ .

ولكن هل يمكن ان يكون مثل هذا الصمود الخارق والمقاومة الفريدة بدون توفُّر قوة الإيمان الراسخ ؟ ثم انه هل كان النبي (ص) يمتلك سنداً قوياً غير القوة الإلٰهية ؟ وأي عامل غير الإيمان يمكنه من تحمُّل كل ذلك الضغط والعذاب ؟

وفي معركة أُحد حيث فرَّ المسلمون ولم يثبت سوى النّبي (ص) وعلي (ع) وقليل من المجاهدين حيث صمد هؤلاء حتى آخر لحظة ، في مثل هذا الموقف فماذا كان الدافع الأصيل لذلك الصمود ؟ وهل كان شيئاً غير العقيدة بالله والإيمان بالرسالة الإلٰهية ؟ ولماذا بقي الإمام الحسين (ع) صامداً ومقاتلاً أعداءه إلى آخر قطرة من دمائه ودماء أعزائه، غير آبه بالوعود وغير مسلِّم للظلم والجناية والفساد والتي تجمعت كلها في شخص يزيد بن معاوية ؟

وهل يا ترى فكَّرنا في أئمتنا الطاهرين ولماذا قضوا أكثر عمرهم في سجون ومطامير الحكام الظالمين وكانت نهاية حياتهم اما بالسم الحاقد أو بالسيف الظالم ترى أليست كل هذه الحقائق التاريخية دالة على التنافر الشديد بين الإسلام والتشيع وبين الظلم والاستثمار والإستغلال ؟

وإلى أيَّة قدرة وقوة كانت تستند مثل تلك التضحيات الكبرى التي امتلأت بها صفحات التّاريخ الإسلامي ؟ وهل كانت تحميها قوى خارجية أو داخلية معينة ؟ أو لم يكن لأولئك المضحِّين شوق عاطفي إلى الحياة والنساء والأولاد والمال ؟ فلماذا إذن كل هذه التضحيات في سبيل أهدافهم ودينهم وكل هذا الصراع مع ظلم الطواغيت واستغلالهم ؟!

ان هؤلاء بذلوا أرواحهم إيماناً منهم بالله واعتقاداً بالرسالة الإلٰهية واستناداً إلى القدرة اللانهائية لله تعالى، انهم أولياء الله **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** لأنهم إنما يخافون الله لا غير، ويستندون إليه ولا يخافون من أي شيء حتى الموت.

---

(٥) سورة يونس ، الآية : ٦٢ .

فهذا أمير المؤمنين الإمام الأول للمسلمين يقول في مقام الجهاد في سبيل الدين والهدف: « والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها »[٦].

نعم هو منطق الإسلام في مقابل الظلم والظالمين والمستغلين.

إن المسلم الواقعي تبعاً لعهده الذي أعطاه الله ورسوله والمؤمنون يعتبر نفسه منتمياً فقط لحزب الله وانه إن عمل طبق تعليمات الإسلام فسينتصر لا محالة ﴿وَمَنْ يَتولَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذينَ آمَنُوا فَإنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغالِبُونَ﴾[٧] .

ان الإسلام والإيمان يعنيان التدين بالإسلام واقعاً والإيمان بهدفه والعمل في سبيل تحقيقه ولهذا فقد كان المسلمون في الصدر الأول يقتحمون الموت والأخطار ويفتخرون بالشهادة في هذا المضمار ولا يرضون الرضوخ للظلم والتسليم للظالمين والقبول بالذلة وهم يحملون في ذلك شعار :

القتل أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار[٨]

لماذا الصبر إذن ؟ !

ان الحوادث والظواهر على قسمين : قسم يقع تحت اختيارنا وآخر بخلاف ذلك فلا يقبل تأثيرنا فيه . وأكثر حوادث وعوامل القلق تُصنَّف إلى القسم الاختياري فنحن الذين أوجدناها عن شعور وعلم أو لا علم فأوجبت بالتالي قلقنا واضطرابنا ، ويمكننا بعد الاستهداء بالتعليمات النافعة ان نحولها لصالحنا ونضع الحياة اللائقة . فمثلاً جاء في الروايات الإسلامية انه لا يستجاب دعاء عدة من الأشخاص ومنهم :

١ ـ من أعطاه الله مالاً ولكنه أنفقه بلا روية ولا قصد ثم يقول : أللهم

---

(٦) نهج البلاغة فهارس صبحي الصالح : ص٤١٨ .
(٧) سورة المائدة ، الآية : ٥٦ .
(٨) بحار الأنوار : ج٤٥ ص٥٠ .

ارزقني مالاً وثروةً .

٢ ـ من كانت له زوجة ظالمة لا تنسجم معه فهو يريد من الله ان يخلِّصه منها .

٣ ـ من لا يسعى خلف عمل وكسب ويفترش داره ثم يسأل الله تعالى الرزق(٩) .

وذلك لان عوامل رفع مثل هذه المشاكل هي باختيار هؤلاء فالرجل الغني يستطيع ان يعمل ببصيرته وعقله لئلا يصرف ماله في مصارف لا معنى لها ، وكذلك ذلك الشخص الثاني فانه يستطيع ان يطلِّق زوجته وهكذا الشخص الكسول فان التقصير من نفسه ، إذ أنَّ آفاق التجارة والكسب مفتَّحة أمامه يستطيع أن يَلِجَها ويستفيد من القوى التي منحه الله إياها في سبيل تحصيل معاشه .

هذا ولكن هناك بعض الحوادث التي لا نملك أمامها إلا التسليم وقبولها على ما هي عليه والتلاؤم معها رغم آثارها السيئة ، وذلك مثل أكثر المصائب كفقدان عزيز نتيجة حادثة أو نقص عضو أو حلول مرض عضال فان مثل هذه على الأقل تحتاج إلى وقت حتى ترفع آثارها النفسية أو ترتفع هي كالأمراض .

ومقابل مثل هذه المصائب يجب أن نغيِّر حالتنا ونحصل على التلاؤم بيننا وبينها مع أعمال طاقة التحمل .

فلقد كان اسماعيل ابن الإمام الصادق (ع) مريضاً مرضاً شديداً وقد كان كماله وفضائله وأخلاقه وجماله بحيث جعلت الأصدقاء والأعداء يحبونه ويقدِّرونه ، ولذا فإن الجميع وخصوصاً والده العظيم قد تألموا كثيراً لمرضه وحتى ان البعض كان يتصور ان الإمام (ع) سيموت أثر موت ولده وذلك من كثرة

---

(٩) وسائل : ج١٢ ص١٥ .

الألم ولكنهم وجدوا بكل تعجب ان الإمام (ع) لا يجزع مطلقاً بعد وفاة ولده بل ان ما لديه من همٍّ وغمٍّ كان قد ارتفع تدريجاً وعند ما سئل (ع) عن علة هذه الحالة قال (ع) :

« إنَّا أهل بيت إنما نجزع قبل المصيبة فإذا وقع أمرُ الله رضينا بقضائه وسلَّمنا لأمره »[١٠] .

وهذا الإمام الرابع زين العابدين (ع) يقول في دعائه في أوقات السَّحر من شهر رمضان المبارك : « اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ويقيناً حتى أعلم انه لن يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني من العيش بما قسمت لي . . . »[١١] .

ان الصبر والتحمل والتلاؤم في قبال الحوادث التي تصيب الإنسان بلا اختيار منه ضرورة لازمة لبقاء الإنسان في هذه الحياة .

ان الأعشاب والنباتات الأخرى تنحني أمام الحوادث وبهذه المرونة تدفع عنها غائلة العواصف والرياح القوية ، ولو انها أرادت المقاومة انكسرت وانقلعت من جذورها ، وهكذا نجد السنابل والنباتات الضعيفة تنحني تحت ضغط الثلج المتساقط والعواصف الثائرة وما ان ترتفع هذه الحوادث فيذوب الثلج وتعبر العاصفة فانها ترفع رأسها شيئاً فشيئاً وتواصل مسيرتها الحياتية بكل شموخ .

يقول أمير المؤمنين (ع) « من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع »[١٢] .

ويوصي ولده محمد بن الحنيفة قائلاً : « إلقِ عنك واردات الهموم بعزائم الصبر عوِّد نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر ، واحملها على ما أصابك من أهوال

---

(١٠) بحار الأنوار : ج٤٧ ص٤٩ .

(١١) بحار الأنوار : ج٩٨ ص٩٣ .

(١٢) وسائل الشيعة : ج١١ ص٢٠٩ .

الدنيا وهمومها »[13] .

على أنّا يجب ان لا نغفل حقيقة هامة هي انه يجب ألّا نتصور ان الصبر يعني التسليم للظلم والخيانة والتحكم والرضا به ، ولا يعني أنَّ علينا ان ننسجم مع الأوضاع المنحرفة التي يوجدهـا المتسعمرون والمستغلون وأمثـالهم ونبقي على أمل الفرج في المستقبل !!

ان مثـل هذا التصـور غير صحيـح من وجهة النـظر الإسـلاميـة ، إذ أنَّ الإسلام يؤكد على ان المسلمين يجب عليهم السعي الحثيث لقلع جذور الفساد والقضاء على عوامله وانه لا يمكنهم ان يقبلوا الإنحراف ويسلِّموا به يقول الإمام الصادق (ع) .

« العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم »[14] .

وذلك لأن مبدأ الظلم يتنافى مع مبدأ العدل الإلهي الذي أمر الإنسان أن يرفق بأخيه الإنسان .

---

(١٣) وسائل الشيعة : ج١١ ص٢٠٨ .

(١٤) الكافي : ج٢ ص٣٣٣ .

القلق وعلاجه

كيف نكافحُ انماط القلق الفكري ؟

ان الملايين من الناس تعيش أسيرة أنياب عدوٍ خفي ، عدو يبتليهم بأنواع من البلايا تفوق بلايا الكثير من الأمراض وغيرها .

ان هذا العدو يهدد طاقاتنا وسلامتنا ، ويحوِّل حياتنا جحيماً ويقصِّر من أعمارنا .

انه « القلق الفكري » الذي يلقي حياة الإنسان غالباً عبر التوهمات والخيالات الباطلة في ظلام دامس ويبتليه بعذابه الجهنمي فيقضي على المجتمعات بطبقاتها المختلفة ويبتلع كل مظاهر الحضارة .

ولكن هذا المرض الخبيث قابل للمعالجة والمراقبة رغم كل ما فيه من خسائر لا تُحتَمل .

فالإنسان يستطيع ان يضبط أفكاره ، ويبعد القلق عن ذهنه فيتخلص من الهموم والغصص ويعيش حياة مطمئنة هانئة .

وهذا العمل انما يصبح ممكناً إذا عرف أسلوب السيطرة على أنماط القلق الفكري وأسلوب مكافحتها وكيف يمكنه القضاء عليها .

والأهم من هذا كله معرفة عللها وعواملها ، وعندما يطّلع عليها من خلال

ملاحظاته فإنه يستطيع ان يدخل مجال المكافحة من طريق الخاص ويتم العلاج فإن الآلام والقلق لو كانت ناشئة من أمراض جسمية فانه يلزم الاسراع إلى الطبيب المختصّ ـ قبل استفحال المرض وصيرورته إلى حالة يصعب علاجها ـ والعمل بما يعطيه من أدوية وتوجيهات ليحصل بالتالي على الراحة المنشودة كما انه يجب ان لا يغفل عن دور التلقين المؤثر تماماً في إيجاد المرض أو شدته، فمن الممكن أن يكون الإنسان سالماً ولكنه بالإيماء لنفسه بالمرض يعيش حالة من الاضطراب ويكون لهذا الايحاء أثره في اضعاف قواه في حين انه على العكس من ذلك يستطيع ان يصل إلى الشفاء بالايحاء لنفسه بذلك .

وهذا الأسلوب مؤثر جداً في كثير من الأمراض وخصوصاً الأمراض (النفسية الجسمية) . فإذا لم ينفع العلاج ولم يقع الايحاء مؤثراً أو انّ نتائج الفحص كشفت عن مرض غير قابل للعلاج وجب حينذاك التحلّي بالصبر وإعداد النفس لتحمل ذلك المرض وتسلية النفس بالهوايات المختلفة والمطالعة لكي ينسى حالته ويوقف المرض عند حدّه ولربما يقلّل من تأثيراته .

ولكن ـ وكما قلنا ـ فان أكثر أنواع القلق لها جذور فكرية ومن ثم فان هذه الأنواع هي التي توجد أنواعاً من الأمراض النفسية والجسميّة . ومن هنا ولأجل الحصول على علاج لذلك نحتاج للإلتفات للنقاط التالية :

١ ـ القضاء على العقد النفسية عن طريق مناقشتها مع الآخرين :

ان الاخصائيين النفسيين يعتقدون ان الغمّ والقلق يجب القضاء عليهما قضاء جذرياً وإلا فهما يوجدان في النفس عقدة الحقارة وهي عقدة شديدة الخطر في حياة الإنسان .

نعم يجب تخلية الفكر والقلب عن القلق ، وأفضل سبيل لذلك طرح هذه العقد للبحث والمناقشة مع الأحباء ، طبعاً مع الأصدقاء المتعاطفين مع الإنسان المتألمين لألمه أو مع شخص مطّلع على أسلوب الحل لكي يكون هذا العمل

مانعاً عن الإنفجار الداخلي ودافعاً نحو الحل الصحيح للعقد .

وعلى هذا فلو تعرضتم لمشكلة ، وواجهتم حادثة أو اشتباهاً خاصّاً كان باعثاً على القلق فانه يلزم ان تعرضوا هذا المعنى على أبويكم أو أصدقائكم الحميمين فتفرغوا ما لديكم من همٍّ في القلب ثم تعملوا على الحل الصحيح .

وإذا كان الباعث على القلق مصيبة داهية أو حادثة مؤسفة فان شيئاً من البكاء مفيد جداً لدفع عوارض هذه الصدمة . وقد سمع من الكثير كما رُوِيَ أيضاً ـ على اختلافهم ـ انهم يقولون بعد شيء من البكاء « لقد ارتحت . كدت أهلك لولا البكاء » ان من المسلَّم به ان الإطمئنان الروحي والتسكين القلبي ناتج عن عملية بكاء من هذا القبيل ومن الطبيعي ان البكاء لا يعني العتاب والإعتراض لا يتنافى مع الصبر[١] .

٢ ـ التوبة وطلب الغفران :

اما إذا كان القلق ناشئاً عن معصية وذنبٍ ارتُكِبَ ، مما ترك الروح الإنسانية والفكر معذَّبَيْن بسياط الوجدان فان من الطبيعي ان تلجأوا إلى التوبة وتطلبوا من الله العفو والغفران وان لا يدعكم تعودون إلى تكرار مثل ذلك العمل ، كل ذلك لكي يعود للروح اطمئنانها وقد اقترح الإسلام في هذا المجال أروع سبيل ، فهو لا يوافق المسيحية في قولها « يجب عليك ان تذهب أيام الأحد فقط إلى الكنيسة وتركع أمام القسِّيس وتعترف بذنوبك لكي يعفو الأب الروحاني عن ذنبك » كلّا فليس للقسِّيس أي أثر ، وانما يجب على الإنسان ان يعيش مع الله ويناجيه ويشكو له آلامه ويطلب منه العفو والمغفرة فما أكثر الأشخاص الذين لا يستطيعون ان يبوحوا بأسرارهم وذنوبهم عند كل أحد أو أنهم لا يريدون ان يطَّلع عليها أحد ، سواء كان صديقاً أو قسيساً بل وحتى الأب والأم .

---

(١) وانما هو لأجل ان لا تتحول المصيبة إلى عقد نفسية فتفجِّر الإنسان في داخله .

ومن هنا فان الإسلام قد سهّل الأمر كثيراً ـ بمقتضى واقعيته فقال : انك تستطيع في أي وقت وبأي حال وحتى في منتصف الليل ـ وفي قلب الظلمات حيث الجو خالٍ من كل أحد ـ تستطيع ان تبوح لربّك بسرِّك وتناجيه وتشكو إليه وتعرض عليه كل ما ألمَّ بك ، وتطلب من ربّك الرحيم القادر الغفور ، المغفرة ، وتعاهده على ان ترجع حقوق الناس إليهم ، وان لا تتلوث مرة ثانية بالذنب ؛ وحينذاك يعفو عنك الله تعالى ـ مهما كان ذنبك عظيماً ـ فتحصل بالتالي على سكينة قلبية واطمئنان بالٍ وخاطرٍ من جديد بدون ان تحطم شخصيتك لدى أي إنسان أو تطلع إنساناً على أعمالك وأسرارك .

٣ ـ سبيل الموفقية في المجال العلمي :

وإذا كان الباعث على القلق ، الفشل في مجالات العلم فبدلاً من ترك القلق يعشعش في الأعماق فيقضي على الحياة بالتالي ، يجب السعي لمعرفة علل الفشل ثم القيام بسلوك طريق يتجنبها بكل تصميم وعزم قويين . . . فيجب المطالعة والدرس إلى حد يتيقن معه الإنسان بالنصر ، مع الإلتفات بالطبع إلى عدم تكرار الإشتباهات السابقة وترك الكل والتكاسل ، والإضطراب والتردد خصوصاً عند الإمتحانات حيث ينبغي ان يأوي الإنسان إلى فراشه ليلة الإمتحان مبكراً ثم ينهض مبكراً ولربما قبل آذان الصبح وذلك لان هذا الوقت يجدد القوى ويهيء الفهم بالإضافة إلى عدم الضوضاء المشوِّشة على الأذهان كما انه يجب ان لا ننسى انه ينبغي ان يستريح الطالب قبل الإمتحان لساعة أو ساعتين ليحصل على استعداد كامل لفهم الأسئلة وليحصل على سرعة انتقال ضرورية للإجابة فان المطالعة السريعة في مثل هذه الأوقات ـ أي ما قبل الإمتحان مباشرة ـ مضرة تماماً .

والنتيجة : هي ان الإضطراب والتألُّم والخوف الوهمي يجب ان لا يجدوا طريقهم إلى نفوسكم وعندها ستكون الموفقية من نصيبكم بلا ريب .

٤ ـ سبيل الموفقية في الكسب والعمل :

يمكن ان يكون الإنسان موفقاً في هذا المجال باستعراض نماذج من الناس العاملين والتوكّل على الله والإعتماد على النفس . وما أكثر ما نجد أو نسمع أنَّ أناساً كانوا فاشلين في مجالٍ كسبيٍ معينٍ أو انهم أعلنوا إفلاسهم فيه ولكنهم بتغيير وجهة عملهم أو أسلوب دراستهم حصلوا على موفقيات تامة في المجالات العلمية أو التجارية أو الصناعية بل وحتى السياسية والعسكرية .

يقول الإمام الصادق (ع) : « ما سدَّ الله عزّ وجلّ على مؤمن باب رزق إلاّ فتح الله له ما هو خير منه »[٢] .

كما انه لو لم يمكن الكسب في مدينة خاصة ينبغي الارتحال إلى مدينة أخرى فهذا الرسول الأكرم (ص) يقول : « إذا أعسر أحدكم فليخرج ولا يغم نفسه وأهله »[١] .

اما إذا خسر الإنسان في تجارته فان من الواضح ان لهذا الخسران عللاً اقتصادية ولذا فيجب الرجوع إلى المتخصصين التجاريين ليدرسوا علل الخسارة ، كما يجب التشاور مع التجار الموفقين ومن لهم رأيهم في هذا المجال ، وذلك لكي يأخذ الإنسان منهم درساً وعبرة في العمل فان من أحسن سبل الموفقية بديهية ، الإستفادة من تجارب الآخرين الذين قضوا عمراً وتمرَّسوا في هذا الفن .

وعلاوة على هذا فانه يجب التوجه إلى حقيقة هامة هي ان المئات من التجار المعروفين ـ في البلد ـ قد فقدوا ثروتهم في لحظة أو أعلنوا افلاسهم وهناك الكثير من الأفراد الذين بدأوا من نقطة الصفر فأداموا العمل وصمموا

---

(٢) وسائل الشيعة : ج١٢ ص٣٣ .

(٣) نفس المصدر : ص١٢ .

وسعوا بكل صبر وتحمل واستفادوا من تجارب الآخرين ولم يكرروا اشتباهاتهم فحصلوا على كل ما كان لديهم من قبل أو ما كانوا يطمحون إليه من ثروة ورأسمال ، وشخصية ممتازة ، وأنتم يمكنكم ان تكونوا كذلك فماذا ينقصكم بالنسبة للآخرين ؟ !

٥ ـ طريق موفقية من لا يملكون ربحاً فائضاً :

وإذا لم تستطيعوا بالسعي والتحرك ان تحصلوا على ربح جيد فتنمُّوا أموالكم فانه يجب ان لا تقلقوا مطلقاً ، وطريق الحل هو أن تبدأوا بالصرف المعقول لهذا المقدار المتوفر من الربح وتبسِّطوا حياتكم أكثر فأكثر ، وتقلِّلوا من احتياجاتكم لكي تكون الحياة لكم ألذ وأحلى واعلموا ان أكثر التشويشات والآلام ناتجة من الطموح غير المعقول وعدم امتلاك فكر معاشي مقتصد .

يقول الإمام علي (ع) : « ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر »[٤] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « الكمال كل الكمال في ثلاثة : فَذَكَرَ في الثلاثة : التقدير في المعيشة »[٥] .

ويقول الإمام الباقر (ع) : « لا خير في رجل لا يقتصد في معيشته ما يصلح لا لدنياه ولا لآخرته »[٦] .

وما أروع ان تكون الحياة كنزاً للقناعة إذا لم تكن كنزاً للذهب كما ورد « ان القناعة كنز لا يفنى » .

---

(٤) وسائل الشيعة : ج١٢ ص٤١ .
(٥) وسائل : ج١٢ ص٤٢ .
(٦) وسائل : ج١٢ ص٤٢ .

٦ ـ أسلوب نسيان الحب :

اننـا نجد الكثيـرين من الشباب يتعلقـون بخطيبـاتهم او زوجاتهم تعلقـاً شديداً بحيث انهم يعيشون قلقاً شديداً إذا استلزم الأمر انفصالهم عنهن . وليس هذا أمراً صعب الحل وإنْ بدا لأول وهلة ان نسيانهن أمر صعب جداً ولكنه على أي حال ليس محالاً . فيمكن ان ينسى بـالتدريـج عن طريق الإنشغـال ببعض الأمور المفيدة ، أو الإتجاه نحو اختيار زوجة جديدة بإعمال نظر وفكر صحيـح ودراسة مستوعبة وقد تكون الزوجة المنتخبة أو الخطيبة الجديدة أفضل بكثير من سابقتها وأقدر على السير بالإنسان نحو التوفيق والسعـادة وقد يكـون الانفصال السابق من مصلحة الإنسان وان لم يكـن يعلم بذلك .

٧ ـ الشيء الذي يسهِّل المشاكل :

ان التوجه لرضا الله تعالى يعتبر أهم السبل الرئيسة لرفع القلق إذ أننا نجد ان القلق في بعض موارده يرتبط بالأعمال الشاقة مثلاً أو الربح القليل للعمل أو كون العمل يؤدي إلى بعض الآلام والمصائب أو يوجب انتقاد الناس في حين ان أصل العمل أساسي وصحيح .

وفي مثل هذه الموارد يكون « قصد القربى » دوره الأساسي ويكون القيام بمثل هذا العمل لرضا الله وتأميل ثوابه أكبر مشوِّق للإنسان ، كما يشكِّـل ذلك دافعاً على التحمل والصبر الشديد على المشاكل الناتجـة ، والصعوبـات التي تعترض الإنسان والظروف القاسية له فـلا يهم الإنسان مـا يقولـه الآخرون ومـا يحكمون به ما دام قد أرضى ربّه بعمله وتعلقت نفسه بثوابه .

فهـذا الإمام الحسين (ع) نجـده في أحرج اللحـظات وأشـد المصـائب والآلام التي لا تُحتمَل يقول حينما كان الدم يسيل من نحـر رضيعه على يـديه « هون عليّ ما نزل بي انه بعين الله »[٧] فإذا كانت روحية الإنسان قوية إلى هذا

---

(٧) بحار الأنوار : ج٤٥ ص٤٦ .

الحد استطاع ان ينطلق إلى ساحات الحوادث ويتحمل كل الآلام والشدائد .

٨ ـ الهوايات المفيدة :

يمكن القضاء على بعض انماط القلق بالهوايات المفيدة . فمتى ابتلى الإنسان بالقلق والتشويش الفكري المؤلم عمد إلى مطالعة الكتب التاريخية والقصص المربِّية عن تضحيات العظماء . وصمود العلماء وسعيهم الحثيث في سبيل العلم . متجنباً طبعاً الهوايات المهيجة للغريزة وغيرها سواء بمطالعة الكتب المربوطة بذلك أو برؤية المسرحيات والأفلام المهيجة لان ذلك مضر في نفسه وموجب لازدياد القلق .

وبدلاً من ذلك يمكن قضاء أوقات الفراغ بالرياضة والتجول والذهاب لوحده أو مع صديق خصوصاً في الصباح الباكر إلى جولة في عالم الطبيعة والتمتع برؤية الجمال الطبيعي الساحر في الحقول والجبال والصحاري والساحل وغير ذلك ؛ والتفكير قليلاً في التناسق التكويني الرائع والعمل الهادىء الذي تقوم بها هذه المظاهر الحيّة . . . حيث تشرق الشمس شيئاً فشيئاً من الأفق ثم تتوهج ، وتتسرب المياه وتسري لتحقق وظيفتها الطبيعية ، وهكذا تقف الأشجار بكل متانة لخدمة الإنسان ، في حين تظل الجبال بوقارها وهيبتها تنتظر الأمر . . . نعم كل هذا الهدوء والطاعة والتحمل يمنح الإنسان العبرة والحكمة ويعطيه درساً في الحياة السالمة الهادئة .

ومما ينقل عن « تولستوي » الكاتب الروسي المشهور انه كان يدفع عن نفسه ظلام الهموم بالتجول أثناء الغروب ورؤية الشمس تتوارى خلف الصحاري الواسعة بما يشكل منظراً وهَّاباً للحياة الجديدة[٩] .

ومن هذا القبيل الأسفار وبالخصوص الأسفار التي تحقق غرضاً دينياً

وزيارات المشاهد المشرفة والتي تبدو بنظر البعض أمراً بسيطاً ولكنها مؤثرة جداً لرفع القلق والحصول على الراحة الفكرية والسلامة الروحية والجسمية .

وقد ورد عن الرسول الأكرم (ص) : « سافروا تصحُّوا » (٨) .

وعلاوة على هذا ـ يستطيع الإنسان ان يقوم بعمل بيتي كتشذيب بستان البيت ، أو تهيئة الوسائل الإبتدائية ، وبعض الحرف اليدوية ، وتعمير بعض لوازم البيت وغير ذلك . . . بكل هذا يستطيع الإنسان ان يقضي على هذا الغول المهول « القلق » . . . ان العمل والرياضة الخفيفة يمنحان الإنسان طاقة وسلامة . . . نعم ان العمل لن يفني أحداً بل انه يشكل منبعاً للسلامة في حين ان الغم والهم هما اللذان ينفيان الإنسان .

لنفكر بالجوانب الايجابية من حياتنا وما نملكه من نِعم :

اننا نجد الآلام والغُصص أحياناً تحوّل حياة الإنسان إلى ظلام مطبق تسد سبل النجاة حتى ليخيَّل له انه أشقى إنسان على وجه الأرض . . . وانه إنسان لا حيلة له ولا قيمة ولذا فهو لا يستحق الحياة . . . ولأجل ان لا يصل القلق بنا إلى هذه الحالة يمكننا ان نترك التفكير فيه مطلقاً . لقد اعتدنا التفكير بالأشياء التي لا نملكها وانتظار تحققها ، وبدلاً عن التفكير بذلك والتألم للفقدان نستطيع ان نفكر بما هو متوفر لدينا وبالجهات الإيجابية في حياتنا ؛ فمثلاً بدلاً من ان يقول الإنسان : أخاف ان ابتلي بالزكام . . .

إذا ابتليت مرة ثانية به وأنا على هذه الحالة من الضعف البدني فسوف أفقد كل قواي !! إذا رسبتُ في الإمتحان فاني لا أدري ماذا سأفعل وماذا سيكون ؟! أو إذا لم أنجح فلا أدري العاقبة . . . إذا . . . إذا . . . بدلاً من كل هذا يجب ان ينظر الإنسان للجانب الإيجابي من الأمر فيقول : يجب ان أحافظ

---

(٨) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٢٢ .

على صحتي لئلا ابتلي بالزكام ودعني أقوي نفسي بالرياضة ومراعاة القواعد الصحيحة لكي لا أمرض . . . سأدرس حتى أنجح . . . سأصل إلى مقصودي بكل عزم وتصميم وإرادة صلبة وتوفيق من الله تعالى . ترى هل فكرنا في الواقع بقيمة سلامة أجسامنا ؟ وهل نحن مستعدون للتضحية بيدٍ أو رِجْلٍ في مقابل الملايين ؟ ان من المسلَّم به أن أي عاقل لا يفعل ذلك ويهتم أشد الإهتمام بأعضاء بدنه ، فإذا رضينا بما لدينا ولدت لنا نظرة أخرى للحياة تعبِّر عن تفاؤل وتمنح الإنسان نشاطاً وسروراً أكبر .

يقول الإمام الصادق (ع) : قال الله عزّ وجلّ : « عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء الا جعلته خيراً له . فليرض بقضائي . . . » [٩] .

وعنه (ع) قال : « ان أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ » [١٠] .

١٠ ـ المحاسبة والتفتيش :

إذا استطعنا ان نكتب كل ليلة عوامل قلقنا وأسباب تخوفنا ثم نراجعها في نهاية الأسبوع فإنّا سنرى ان ٩٥ في المائة منها على الأقل كانت خيالاً لم يقع وان قلقنا كان بلا مبرِّر ، وأن ٥ في المائة الباقية اما كانت خفيفة الوطء بحيث لم نكن نحس بها أو أنها كانت مما يمكن الإستعداد له ودفعه . . . وهذا المعنى ينطبق على أكثر أنواع قلقنا وذلك لأنّا اعتدنا ان نحرق أنفسنا بالجحيم الذي نوجده لها ونحبسها في السجون التي بنيناها بأنفسنا .

لماذا لا نشغل أنفسنا وأفكارنا بتأمل جمال الكون ومظاهر السعادة المنشِّطة للروح ، والجوانب الإيجابية والنافعة ، والنعم المتعددة التي نستفيد منها ؟ ترى أليس من الأفضل لنا بدلاً من ان نخلق كابوساً في أفكارنا ان نخطط

---

(٩) أصول الكافي : ج٢ ص٦٠ .
(١٠) أصول الكافي : ج٢ ص٦٠ .

الذهن بأفكارنا جَنَّة تنفّس الروح وتحيي القلب لكي نعيش في نشاط وسرور دائمين .

١١ ـ لنفكر ثم نعالج :

يجب في البدء ان نلاحظ العوامل والموجبات للقلق ثم نقوم باستعراض طرق الحل التي فكَّرنا فيها فندقّق فيها أكثر ومن ثم ندخل مرحلة العمل وحسب قول « چارلز كيترنيك » فان المشكلة التي تدرس بعمق وتحلل يكون نصفها قد حُلَّ فعلاً (١١) وعليه فإنّا لأجل رفع أي قلق يجب ان نقوم بما يلي :

١ ـ تحليل علل القلق وموجباته .

٢ ـ معرفة ما يمكن عمله لرفعها .

٣ ـ التصميم النهائي لتحقيق أقرب سبل الحل الممكنة وأبسطها .

٤ ـ البدء بالفعالية والعمل على رفعها

ومن المحتم اننا حتى لو جزّأنا ا[illegible]كلة وحللناها إلى عوامل ولم نجد أي سبيل للحل فلا معنى لان نسلّم أنفسنا للغم والألم واليأس من الحل إذ أن اليأس يعبّر عن عدم اعتقادٍ بالله تعالى وقدرته . . . اننا يجب ان لا نيأس في أي حال من قدرة الله تعالى : ﴿**وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (١٢) .

ان الإنسان إذا اعتقد ان الطرق كلها مسدودة بوجهه وحتى طريق اللطف والمعونة الإلهيين وسلَّم نفسه للغمِّ والغصة والقلق فان لسان حاله يقول : إني سوف لن أتخلص من هذا الغم مطلقاً او أنه ليس هناك إله يخلصني ويمدني بالعون وهذا يعني عدم الإيمان والإعتقاد بوجود الرب القادر الرحيم .

---

(١١) كتاب « منهج الحياة » : ص٦٥ تأليف ديل كارنگی .

(١٢) سورة يوسف ، الآية : ٨٧ .

يجب ان نتوجه إلى ان هناك نظاماً فوق هذا النظام الـطبيعي المحسوس يوجده الله تعالى في أحرج اللحظات وآخر دقائق الحياة فيغيـر مسير الحـوادث ويخلق ما هو صالح لنا .

ومن هنا نجد العديد من المرضى المأيوس من حياتهم الذين شفوا بمجرد اشراقات ايمانهم وأملهم بالشفاء ، ووصلوا إلى حياة هانئة .

وعليه فيجب ان نأمل الخير في كـل حال وتحت كـل ظرف ونـطلب منه تعالى الطاقة لحل المشاكل المختلفة .

وأخيراً

فـان علينا ان نعيش مـع المؤمنين الذين حملوا لـواء الإيمـان والإسـلام العظيم لنستلهم منهم معاني الرضا بأمر الله ونعـرف كيف تربى النفس الـواثقة المطمئنة .

مثال الشخصية

لأجل وفاة الممثل المعروف « واليفنو » انتحرت مئات الفتيات .

أُشتُرِيَ عقب سيكار بعض الممثلين وعدد من خصلات الشعر ورباط بعض الأحذية العتيقة لهم بقيمة عالية جداً من قبل المعجبين بهم .

نقلاً عن الصحف

كلمة في المقدمة

أي شخصية تعجب بها وترغب فيها لنفسك ؟ هل تريد ان تكون :

مثل الشمس : رفيعة ، حارة ، معطاء وبعيدة التناول ؟

مثل الأمواج : فائرة غير مستقرة ؟

مثل ماء النهر : جار دائماً ومسرع ؟

ثم أي مكان ومقام تختاره لنفسك وتراه مناسباً ومفيداً لها بحيث تحس معه بأنك حصلت على الطمأنينة والوزن اللائقين بشخصيتك ؟

هل تريد ان تمتلك شخصية سياسية أو عسكرية ممتازة ؟

أو تريد ان تكون من ذوي الرتب الإدارية العالية في الدولة ؟

أو أن تكون عالماً مفكراً أو كاتباً كبيراً أو مخترعاً أو مكتشفاً أو فيلسوفاً ؟

أو بطلاً عالمياً معروفاً في كرة القـدم ، أو الملاكمـة ، أو فنانـاً أو ممثلاً عالمياً شهيراً ؟

أو ملكاً للنفط والحديد أو ذا ثروة هائلة ، أو مديراً لشركة كبرى أو مساهماً في الكارتيلات الكبرى (مجموعة الشركات الكبرى) ؟

أو ان تكون ذا شخصية سامية في المجالات الأخلاقية والروحية المعنوية الدينية ؟

ومن الواضح جداً ان أيّاً من هذه المقامات التي عددناها تعتبر رائعة مشرقة لدى مجموعة خاصة ، وان كل فرد طبقاً لميوله وتربيته وخصائصه الروحية يعتبر احدها مثالاً عالياً ونموذجاً سامياً لشخصيته .

ولكن يمكن القول ـ عموماً ـ بان الكل يريدون لأنفسهم شخصية ممتـازة رفيعة ليكونوا من خلالها منبعاً لخدمات هامة تكون مورداً لافتخارهم على غيرهم أو اعتزازهم بأنفسهم وحالة تجلب إليها أنظار الآخرين التي ترمقها بكل حسرة وغبطة .

ما هي الشخصية ؟

ويجب الآن معرفة حقيقة الشخصية التي يسعى إليها الجميع فيجدها كل إنسان في شيء ـ اما صحيحاً أو اشتباهاً ـ فيعتبر موضوعـاً ما أو نمـوذجاً معينـاً ملاكاً للشخصية المثالية فيسعى لها بكل وجوده .

وكما نرى : فان البعض يرى ان امتلاك ملابس ثمينة وعقد قيمته ملايين الدنانير ، أو پالطو جلدي بقيمة آلاف الدولارات ، يرون ذلك ملاك عـظمتهم وشخصيتهم .

في حين يـرى البعض الآخـر ان وجـود المعجبين والأتبـاع الكثيـرين للشخص يشكل علامة لعظمة شخصيتهم حتى انه لأجل موت مثل هذا الإنسان

ينتحر الآلاف أو يشترى عقب سيگارته أو بعض خصلات شعره بـالآلاف !! أو يفتخر الكثيرون بانهم يمتلكون صورته ، أو حتى امضاءه أو انهم رأوه ولو للحظة وان كان ذلك عن بعد !!

وهكذا فلنرجع إلى سؤالنا السابق وهو : ما هي الشخصية في الواقع ؟

ما يبدو من مراجعة الكتب المختلفة وخصوصاً كتب النفسيين ان التعريف الجامع ـ نسبياً ـ للشخصية هو انها : « مجموعة الصفـات الطبيعيـة والمكتسبة الخاصة بأي فرد والتي تعين له مسيرته في المجال الحياتي والعلاقـات العامـة والتوافقات الإجتماعية » والإسلام : لما كان ينظر إلى الظواهر نظرة أكثر واقعية فان له في هذا المجال رأيا أصيلاً يركز على الصفات الروحية والفضائل الإنسانية القيمة ويرى ان شخصية الفرد تتقوم بالتقوى والطهارة والعلم في حين لا يرى أي ملاك للشخصية في الثروة والقوة والمقام واللباس و و و . . . ولا يعتبرها بشيء وانما يقول ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَيٰكُمْ﴾[١] ويقول نبي الإسلام (ص) : « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى »[٢] .

فالشخصية التي لا تقـوى فيها لا قيمـة لها في نـظر الإسلام وذلـك لان التقوى تشكل باعثاً على تكوين شخصية قوية عميقة فمن يتقي الله تعالى تنعكس تقواه على عمله وتعامله فيراعي كلما يقوده هو ومجتمعه إلى السعادة .

وهكذا تنبع من التقوى كل النتائج والأمور التي تتحلى بها شخصية الأفراد فـان المتقي لا يسـتـطيـع ان يكـون مسيئاً في عمله وسلوكـه ، خشنـاً وملوثـاً بالإنحراف ولن تجتمع التقوى مع التلوث والرذالة والخشونة .

ان الإسلام وهو مبدأ التربية والعمل يولي إهتماماً خاصاً بتربية أفراد ذوي

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

(٢) رجال حول الرسول لخالد محمد خالد .

شخصية سامية لتستطيع ان تكون رفيعة الهمة ، مرموقة ، ونموذجية في كل مراحل الحياة ، وبالتالي فالإسلام قد وجّه كل مراحل الحياة وجعلها تحت سيطرته التوجيهية .

الممهدات الإسلامية :

قلنا فيما سبق ان الإسلام يراقب كل أعمال الإنسان من المهد إلى اللحد بعين الإهتمام الدقيق فيعطي توجيهاته عند انعقاد النطفة بل وحتى قبلها ويصدر أوامر بهذا الخصوص وتتناول كل المراحل : حمل الأم ، إرضاع الطفل ، البيئة التربوية للبيت ، البيئة التعليمية ، العمل ، الإجتماعات وغير ذلك ، فرعاية هذه التوجيهات هي التي تصوغ الشخصية الرفيعة .

وها نحن نتعرف على نماذج من هذه التعليمات فيما يلي :

مرحلة انعقاد نطفة الجنين :

وهي مرحلة دقيقة حساسة جداً حيث يؤكد العلماء ان عامل الوراثة في هذه المرحلة يودع في النسل الإنساني صفات مشابهة لصفات الأبوين وخصائصهما ، وعلى هذا الأساس نجد الإسلام بتعليماته الملزمة يلفت نظر الوالدين بدقة إلى أهمية هذه المرحلة فيقول مثلاً :

« شارب الخمر لا يزوج إذا خطب »(١) .

« لا تزوجه ان كان سيّىء الخلق »(٤) .

« إياكم وتزويج الحمقاء فان صحبتها بلاء وولدها ضياع »(٥) .

« ان خير نسائكم الولود الودود العفيفة العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها

---

(٣) الوسائل : ج١٤ ص٥٣ .
(٤) الوسائل : ج١٤ ص٥٤ .
(٥) الوسائل : ج١٤ ص٥٦ .

المتبرِّجة مع زوجها الحصان على غيره »[٦] .

« إياكم وخضراء الدمن »[٧] أي الفتاة الحسناء في منبت السوء .

ان اشراقة كل هذه الدقة والعمق لن ترى إلّا في عين الإسلام الرحيمة ، وان كل هذه الدقة توضح كيف ان الإسلام عارف ومتوجه لكل هذه الأمور البسيطة والدقيقة المؤثرة في صياغة شخصية الطفل عند انعقاد نطفته ، وهكذا نجد للإسلام تعليمات مفيدة في المراحل التالية كأيام الحمل ، والرضاعة والطفولة وذلك من مجالات التغذية والصحة والنوم والإستراحة وكذلك في السلوك والعمل والروابط الجنسية العائلية .

حتى انه ينبه للطريق الأسلم عند اختيار المربية والمرضعة . ويرى الإسلام ان أسلوب تعامل الوالدين وسلوكهما مؤثر في تربية الطفل الصحيحة أو المنحرفة حتى انه يمنعهما من الإتيان بالحركات التي تصدر في حالات الهيجان الجنسي أمام الطفل وهذه النقاط القيمة توصل إليها علماء النفس والبيئة حديثاً حيث عرفوا :

« ان عهد الطفولة يجب ان يكون سالماً ومنزَّهاً عن أيّة تحريكات جنسية . فالطفل حساس والكل يعلمون ان معاكسة حساسية الطفل أمر صعب .

فليس هناك أصعب ـ على الباحث النفسي ـ من رؤيته أعصاب الطفل وهي تواجه منذ بدء طفولته التحريكات الجنسية أو ما يشبهها على الأقل .

ان جذور هذه التحريكات في عهد الطفولة هي التي ستبرز بعد ذلك وتطغى بشكل عقد نفسية .

---

(٦) الوسائل : ج١٤ ص١٤ .
(٧) الوسائل : ج١٤ ص١٩ .

« ان أكثر الأطفال يجرهم آباؤهم نحـو الفساد الجنسي وطغيـان الغريـزة لأنهم يقومون باللقاء أمام أعينهم »[٨] .

تأثير البيئة :

ان البيئة من العوامل المهمة جداً التي تصنع شخصية أي فرد ونقصد به كل انماط المحيط التي يمـر بها الإنسـان منذ البـدء وحتى النهايـة مثل محيط البيت ، التربية والتعليم ، العمل ، أنواع المعـاشرة الفـردية ، وبـالتالي البيئـة الإجتماعية فـانه يتبـع المحيط كل من الـوضع الـظاهر للشخصيـة الإنسانيـة ، وأسلوب قولها وعملها ولباسها وحتى سلامتها وعلمها وغيـر ذلك من الجـوانب الأخرى . وذلك خصوصاً في الطفل الذي هو كنبتة فتية ، فكما ان رشد النبتة ونموها وأثمارها ترتبط بمحلها من البستان ومقدار الأشعة الشمسية التي تصلها ، والماء الذي يصلها وكيف ومن أين تُروى ، كذلك الطفل يقبل التأثيـر جداً من عوامل محيطه بل هو أشد قبولاً للتأثير .

ومن هنا فقد توجه الإسلام لهذه النقطة الحساسة أيضاً فهو يمنع اتباعه من الذهاب إلى المراكز الملوثة بالمعاصي في حين يدفعهم للحضـور في مجالس العلماء كما انه يمنعهم من عقد صداقة مع أي كان إذ تسري صفات الصـديق لصـديقه حتى ان الإسـلام ينهى عن الإشتراك في جلسـة أو محفل يشـرب فيه الخمر .

فما أروع الإسلام بهذه الواقعية والنظر الدقيق .

---

(٨) كتاب « الدواع النفسية » .

نموذجان من الشخصيات البارزة في الإسلام

وهنا نعرض نموذجين من الشخصيات المثالية في الإسلام :

١ ـ بلال الحبشي :

وبـلال الحبشي هو أحـد النماذج العـظيمـة التي رُبِّيت على الشخصيـة الإسلامية .

فلنقرأ آثار هذه العظمة والتربية في هذا المقـطع من قصة حيـاته ، فقـد توجه يوماً بأمر النبي (ص) إلى طلب يد إبنة أحد زعماء القبائل فذهب هو وأخوه إلى بيته وبدلاً من التملق والمدح الزائف قال : « ان تزوجونا فالحمـد لله وان تمنعونا فالله أكبر »[٩] .

انه يعلم ان عزة الشخصية وعظمتها خاصة بعباد الله الحقيقيين وهو تلميذ المدرسة التي تقول : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٠] .

انه لا يسمح لنفسه ان تصغر وتتملق أمام الميول القلبية أو القدرة المالية لعائلة البنت ، ان روحه العظيمة لن تقبل الانضواء تحت لواء عبارات مذلة كأن يقول الشاب لأهل الفتاة : « اقبلوني عبداً » وغير ذلك .

٢ ـ عبدالله بن حذافة :

قـالوا انـه أسلم قديمـاً وصحب النبي (ص) وهاجـر إلى أرض الحبشـة الهجرة الثانية ويمكن استفادة حسن حاله وقـوة إيمانـه مما رُوي مسنـداً من أن الروم أسرته وعرضت عليه التنصر فأبى ، فأُغلِيَ الزيت في إناء كبير وأُتِيَ برجل من أسرىٰ المسلمين فَعُرِضَ عليـه التنصر فـأبى فأُلقِيَ في الـزيت المغلي فإذا

---

(٩) رجال حول الرسول .

(١٠) سورة المنافقون ، الآية : ٨ .

عظامه تلوح ثم عُرِضَ على عبدالله هذا النصرانية ، فأبى ، فأُمِرَ به أن يُلقَى في الزيت المغلي ، فبكى ، فقالوا : قد جزع قد بكى ! قال كبيرهم : ردوه فقال : « لا ترىٰ أني بكيت جزعاً مما تريد ان تصنع بي ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يُفْعَلُ بي هذا في الله ، كنت أُحِبُّ ان يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيَّ ثم تُسلَّط عليّ فتفعل بي هذا » فأُعجب منه وأحب ان يطلقه .

فقال : قبِّل رأسي وأطلقك .

قال : ما أفعل .

قال : تنصر وأزوجك ابنتي واقاسمك ملكي .

قال : ما أفعل .

قال : قبل رأسي واطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين .

قال : « أمّا هذه فنعم ، فقبَّل رأسه فأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين . . . »(١١) .

ان هذا نموذج من شخصية شاب ربّاه الإسلام فحصل تحت ظل هذه التربية على شخصية عظيمة بحيث تبعث كل إنسان على ان يكيل لها كل معاني المدح والإكبار فحيّاه الله وحيَّ شخصيته الصامدة السامية .

الذنب أهم عامل مهدِّم للشخصية :

كما انه يلزم للإنسان ان يحصل على ما يكون أساساً للموقعية الممتازة والحيثية والشخصية الظاهرية فانه يلزمه ان يكون بصدد ايجاد العوامل التي تصنع قيَمَهُ المعنوية والروحية .

(١١) سفينة البحار : ج٢ ص١٢٨ .

وترك الذنب من أكبر هذه العوامل التي تبني الشخصية الحقيقية لكل فرد .

يقول الإمام الباقر (ع) : « ما من نكبة تصيب العبد الا بذنب »[1] .

ويقول الإمام أمير المؤمنين (ع) : « هلك من أضلّه الهوى »[2] .

ان أعظم مثال للشخصية ـ وأروعه في نفس الوقت ـ هو المثال الداخلي للشخصية الذي يجب ان يصل إليه كل إنسان في وجدانه وذاته . . . والذنب ـ مهما كان خفياً ـ يحطم هذا الهيكل الرفيع الرائع من الداخل وان كان الناس يظنون صاحبه سالماً ظاهراً .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « من هانت عليه نفسه فلا ترجُ خيره »[3] .

ان الإسلام لا يجيز للمسلمين ان يلوِّثوا أنفسهم بالذنوب ونتائجها فيعودوا مع السَّفلة والجهلة وغير اللائقين للحياة على حد سواء .

وأخيراً

عزيزنا القارىء ، فلتسعَ لبناء شخصيتك الإسلامية على الصعيد الفردي بالتخلُّق بأجمل الأخلاق ، وعلى الصعيد الإجتماعي بالعمل على ان يسترجع مجتمعنا الإسلامي المعالم الأصيلة التي أرادها الإسلام لمجتمعه وأهم هذه المعالم التسليم لأمر الله ونهيه ، والإصرار على العمل بقرآنه العظيم .

---

(١٢) الكافي : ج٢ ص٢٦٩ .
(١٣) غرر الحاكم ، طبع النجف : ص٣٢٩ .
(١٤) غرر الحكم ، طبع النجف : ص٢٩٨ .

التقليد ؛ الاقتباس

خداع المدنيّة الغربيّة :

يتصورُ أكثر الناس عندما يواجهون المدنية الغربية ـ وتحت تأثير منها ـ أن الإنسان الذي يتطلب التقدم والتطور ، عليه ان يضرب صفحاً عن قيمه الأخلاقية والدينية ليعود مثل الجيل الغربي الجديد ، إباحياً ، يتطلب اللذة أينما وُجِدَتْ ، لا منتمياً إلى أيّة رابطة ، وذلك لكي يستطيع ان يساير قافلة المدنية ، وينجو من التخلف ، ويعيش الحياة السعيدة !!

ولكن المجتمعات الغربية ـ من وجهة نظر العالم الإجتماعي ـ تظل مثل سفينة بلا رُبَّان قطعت كل الحبال التي تشدها إلى المرسى فهي طعمة الأمواج تميل بها إلى كل جانب .

ان ما نراه في الغرب أو ما أهداه الغرب إلينا نحن الشرقيين هو مدنية بلا عاطفة بعيدة عن الاحساسات البشرية النزيهة الأصيلة . فهذا هو ـ اللورد لوتين ـ العالم الأنگليزي ورئيس تحرير مجلة « رونـد تيبل » في حفلة تخرُّج طلاب جامعة (عليگره) في الهند يقول : « ان المدنية الحديثة جرتنا إلى شفا جرف الهاوية ، وسوف تقودكم إليه شئتم أم أبيتم » .

اننا نحتاج إلى دواء خالص ، وأظن ان دواء دائنا عندكم أما أنتم فكونوا

أذكياء فطنين حتى لا تتركوا دواءكم طعمة للرياح وكونوا دقيقين حتى لا تقعوا في لذاتنا المعجونة المسمومة »[1] .

نعم هذا هو مظهر الغرب حيث يمكن ان نقول ان السعادة هناك وصلت إلى طريق مسدودة ، وان جذور هذا الضياع يجب ان يبحث عنها في حذف الجانب المعنوي من الحياة وعدم التوجه للجوانب الأخلاقية والنفسية والعقائدية .

والنظر إلى كل شيء بالمنظار المادي ليس فقط لا يحل المشاكل وانما هو يوقع الإنسان ـ في النهاية ـ في حبائله ويخنقه كما تخنق دودة القز نفسها في شرنقتها .

وكل هذه المدارس والفلسفات المتلونة التي تنمو في الأذهان الغربية كما ينمو الفطر على الأشجار والمستنقعات والتي تشغل أذهان مجموعة من الشباب إلى فترة من الزمن ، كل هذه مظاهر من ضياع الجيل الغربي الحاضر وعلائم على ضعف الغرب وفشله عن الإجابة على التساؤلات الواقعية البنّاءة للوجود الإنساني وظهور (الهيبيِّة) يؤيد هذا المعنى .

ولسنا الآن بصدد ان نتحدث عن الأيدي الخفية التي تقوِّي أمثال هذه المبادىء وتجعلها جسراً للوصول إلى أهدافها الإستعمارية ولكن الذي يظهر عند الحديث مع هذا الشباب المتمرد الميت القلب من الحياة الميكانيكية في الغرب ـ والذي يتجه نحو الشرق أفواجاً ، الذي يظهر هو ان : الحضارة الغربية الخيالية لم تستطع بكل مظاهرها الخداعة ان تمنحهم الطمأنينة حتى ان هؤلاء يوصون الشرقيين كي لا يرفعوا أيديهم في مقابل لا شيء عن الراحة النفسية التي يعيشونها .

---

(١) الإسلام والمدنيّة الغربية : ص١٤٦ .

نتائج التقليد الأعمى :

ان الإتِّباع غير المشروط للمجتمعات المتحضرة كان عاملاً في تأخر أكثر الأمم المتأخرة (أو على الأصح الأمم التي أبقيت على تأخرها) حتى ان الأفراد في المجتمعات النامية لا يمتلكون استقلالاً وابتكاراً خاصاً بهم وانما هم أذناب دائماً قد ركزوا عيونهم وخاطوها بالبوابات الغربية لكي لا يفوتهم التسابق في (موضة اللباس) أو الحذاء والقبعة والشعر والشارب وغير ذلك وعادوا لا يمتلكون أي اختيار أو قدرة أمام الغرب مما يذكِّرنا ـ دون اختيار أيضاً ـ بتلك الحيرة التي يقال انها تصيب بعض الطيور لمجرد رؤيتها لبعض الحيات السامة . . . فتفقد السيطرة على نفسها تماماً .

فبدلاً من اقتباس النتائج التجربية المفيدة للآخرين نجد هؤلاء قد تعلقوا بالجوايب السلبية فرَأوا أن شرب المشروبات الكحولية واللاتقيد واللامبالاة والتحلل ، والسهرات الماجنة الحمراء المفسدة والاباحية الجنسية هي فقط مظاهر التمدن والتحضر .

ومثل هذا التقليد في هذه الحقول ـ من وجهة نظر علماء النفس والإجتماع يعبِّر عن مرض خطير ويحكي عن عقد للحقارة النفسية الفردية والإجتماعية بحيث تجدهم يعملون على تقليد الأمم المتقدمة دائماً للتعويض عن تأخرهم عن الركب .

ان شيوع هذا الوباء الإجتماعي في بعض الأجواء قد يصل إلى حد يكون فيه الأمر كما وصفه أحد الكتّاب حيث قال : « اننا في وطننا أشبه ما نكون بأُناس غرباء عن أنفسهم هم : في لباسنا ، وبيوتنا ، طعامنا ، أدبنا ، مطبوعاتنا ، والأخطر من الكل في ثقافتنا نربي جيلاً متفرنجاً ، ونفكر تفكيراً متفرنجاً ، ونحاول ان نحلَّ كل المشاكل بالطريقة الافرنجية » .

وأعظم خطر تجرُّه مثل هذه الأنماط من التقليد هو الركود الفكري واضمحلال الشخصية الفردية والإجتماعية . فالأمّة المقلِّدة تتكي وتعتمد دائماً على الآخرين وليس لها استقلالها ولا تستطيع ان تقف على قدميها ، بعد ان تموت فيها روح الإعتماد على النفس وتحكم على نفسها بنوعٍ من العبودية المقيتة .

علاج داء التقليد :

ولأجل علاج المرض يجب في البدء ان تحيا في الأفراد روح الإعتماد على النفس ، ومن ثم العود وإلقاء نظرة عميقة وخلق انقلاب أخلاقي ثقافي ، يمحو كل مظاهر التسليم للأجانب ويشتمل هذا الانقلاب كل شيء من اللباس والطعام حتى الإقتصاد والثقافة والأخلاق .

يقول الإمام الصادق (ع) ساسدس أئمة المسلمين :

انه أوحى الله إلى نبي من أنبيائه : « قل للمؤمنين لا تلبسوا لباس أعدائي ولا تطعموا مطاعم أعدائي ، ولا تسلكوا مسالك أعدائي فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي »(٢) .

ذلك ان اتِّباع سنَّة أعداء الدين وسلوكهم يقود الإنسان بشكل لاشعوري لكي يكون مثلهم في كل شيء .

وهذا القرآن الكريم يمنع النبي الأكرم (ص) عن اتباع متطلبات الكفار الأجانب ـ لكي يعرف الناس وظائفهم فيقول :

﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ﴾(٣) .

---

(٢) وسائل الشيعة : ج٣ ص٢٧٩ .
(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٦ .

وللصراع مع التقليد يجب إيجاد انقلاب فكري وثقافي يحرّك الطاقات الخلاَّقة في الناس وينمِّي استعداداتهم الذاتية .

كما يجب احياء التاريخ الإسلامي الوضَّاء في أذهان الأمة وتهيئة وسائل التحقيق والبحث العلمي للشباب وترويج الصناعات والإختراعات الداخلية .

ألم يكن المجتمع الإسلامي مشعلاً وضَّاءً لدنيا العرب التي كانت تعيش مراحل الظلام والتخلُّف ؟

ألم يكن علم المسلمين السبب الأصلي للأسلوب العلمي في أوروبا ؟

فلماذا لا نعتمد ـ الآن ـ على أنفسنا واستعداداتنا الذاتية ؟ وماذا نفقد مما لدى الآخرين ؟

يقول « جورج سارتن » « ان شمس الحضارة والعلم أيضاً أشرقت من الشرق ولقد قدم الشرقيون معونة كبرى لحضارتنا »(٤) .

ترى ألم تكن منّا نحن المسلمين نجوم الآفاق العلمية الإنسانية من أمثال : أبي علي بن سينا ، وأبي زكريا الرازي ، والفارابي والخوارزمي ، أبي ريحان البيروني ، والخواجه نصير الدين الطوسي وجابر بن حيان ، يعقوب بن اسحاق الكندي ، وابن رشد ، وابن الهيثم ، والاستخري وغيرهم ؟ وكل من هؤلاء يعد مؤسساً في مختلف الحقول الفلسفية منها والتاريخية والجغرافية والرياضية والطبيعية والفلكية الفيزيائية والكيمياوية .

فلماذا نحن اليوم مقلِّدون ، مُتَّبعون بشكل وآخر نعيش على هامش الغرب ونقتات أطعمته الفاسدة ونفتح أسواقنا لتصريف بضاعته الفكرية والإجتماعية الكاسدة ؟ !

---

(٤) تاريخ العلم تأليف جورج سارتن : ص١٨١ .

الإقتباس الصحيح :

اننا لا ننكر مطلقاً صحة الإقتباس الـواعي من النتائـج العلمية والفكـرية للآخرين ، كما لا ننكر أبداً الإستفادة من أنظار المتخصصين إذ ان الإستفادة من هذه الإرشادات في أي فن كان أمر لازم والا وجب على كل إنسان ان يختار منذ الطفولة تجـرباته وسلوكه الخاص به . وحينذاك فمن الواضح ، ان الحيـاة في المجتمع ستكون أمراً صعباً وقد لا تطاق وعليـه فيجب اتباع المـظاهر الحسنـة المفيدة والنتائج التجريبية الصحيحة . وتكون نظرة صحيحـة واعية من خـلال المعطيات الفكرية والتجريبية للأمم أو الحضارات وأخـذها بعين الإعتبـار عند تحديد المركز الفكري من الأشياء .

الحرية الفكرية والإختيار في الإسلام :

ان الإسلام يقول بالحرية الفكرية والإختيار الإنساني فنحن نجد القـرآن الكـريم يدفـع الناس ضمن عشـرات الآيات الكـريمـة لكي يحـددوا مـوقفهم ويختاروا مسلكهم في المسائل المختلفة الأخلاقية منها والتربـوية والإجتمـاعية والأصول الإعتقادية وذلك في ظل تفكير دقيق ومعرفة جيدة ونظرة صحيحة واعية ولا يعتقدوا ولا يلتزموا بشيء ـ دون تفكير ـ اعتقاداً أعمى .

لقد أشرق الإسلام في فترة كـان فيها شعـار الأديان الأخـرى وخصوصـاً المسيحية هو : « أطفيء مصباح عقلك وآمن إيماناً أعمى بكل ما قيل لك» .

ومن المضحـك حقاً ان نجـد بعض الأديان المبتـدعة في عصـر الفضاء والذرة عصر العلم والفكر تبلغ فضيحتها إلى حد تأمـر معه أتبـاعها فتقـول لهـم « كن أعمى كن أبكماً لكي ترى جمالي » (٥)

والواقع هو ان على الإنسان ان يكون الأعمى والأبكم حتى يستطيـع ان

---

(٥) فلاسفة الشيعة : ص٢٣ .

يتقبل الإدّعاءات السخيفة المبتدعة من قبل الأنبياء الكاذبين » صنيعة الإستعمار أو آلهة قرن الذرَّة ، وإلا فلن يقبل هذه الإدعاءات أي منطق أو عقل سليم[٦] في حين ان القرآن يعلنها صريحة :

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[٧].

كما أنه في آيات كثيرة يذم أولئك المقلدين للذين يلتزمون عمياً ، بأمور خرافية سخيفة ، ويتبعون العقائد الواهية التي اعتقدها آباؤهم ، ويوبخهم على عدم تفكيرهم في هذه العقائد :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[٨].

فان الإسلام دين التفكير والعلم والحرية الفكرية لانتخاب الدين والفكر ولذا فهو يقارع الخرافات وأنماط التقليد الباطل ويحاربها ليقطع قيود الأوهام التي تكبّل الأفكار ويحطم سلاسل العبودية الفكرية والجسمية التي ترهق أعباء الإنسان . يقول القرآن الكريم :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٩].

---

(٦) دين البهائية المبتدع .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ .

(٨) سورة المائدة ، الآية : ١٠٤ .

(٩) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

وختاماً نقول :

إن الله خلق الإنسان وميَّزه عن سائر المخلوقات إذ جعل له عقلاً يستدلُّ به ، ورسم له معالم الطريق التي توصل إلى الجنّة وكذلك الطريق الموصلة إلى النار وحبّب إليه الجنة وخوفه من النار ، وبعد ذلك قال له ، إختر طريقك .

حب الإنسانية

يقول أمير المؤمنين (ع) لولده محمد بن الحنفية :

« واحسن إلى جميع الناس كما تحب ان يحسن إليك وارض لهم ما ترضاه لنفسك واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك » .

ان التمدن في عصرنا الحاضر يشبه تمثالاً له مظهران يبدو احدهما تمثالاً جميلاً رائعاً يخلب الألباب في حين يبدو الآخر وجوداً وحشياً هائلاً .

فقد رأينا في المئة سنة الأخيرة أن التقدم الصناعي والعلمي حقق ـ بصورة سحرية ـ أعمالاً كانت مستحيلة ظاهراً فحيَّر الفكر الإنساني وجلب كثيراً من الراحة الجمسية للبشرية .

في حين انه أنساها الفضائل الإنسانية بل قد حطم تلك الفضائل تحت وطأة عجلاته الضخمة .

إذن ففي عصرنا الحاضر ، إذا لم يعد أي أثر لذلك التعب والآلام الجسمية للعصور القديمة ، فانه في قبال ذلك فقدنا أيضاً آثار الفضيلة والشرف والعواطف الأصيلة كالحب والتضحية والإستقامة والصدق ، والأمانة والوفاء والايثار والتواضع وأمثال ذلك .

ومن هنا فان التمدن الحاضر لم يفشل في مهمة قيادة البشرية التائهة في

بحـر الحياة الـواسع إلى سـاحل السعـادة فحسب بل انـه خلق العـواصف في طريقها ، وأغرقها في التيه .

ان دنيانا الحاضرة قد خلطت بين الراحة الجسمية والسعادة الواقعية وظنت ان إحـداهـا عين الأخرى ، وغضّت النـظر عن نصف الإحتيـاجـات البشـريـة الأصيلة . . . في حين اننا انما نتوقع السعادة حينما يستجاب لكل الإحتياجات الإنسانية فتشبع بشكل صحيح .

وتعتبر عاطفـة حب الإنسانيـة إحدى ضحـايا التمـدن الحالي . فـان هذه العاطفة التي تعتبر العنصر المحرِّك للحياة الإنسانية الحية قد فقدت مع الأسف في عالمنا الحاضر أية قيمة حقيقية .

فإن الحياة الميكانيكية الحـالية ـ التي وفـرت للإنسـان كل وسـائل اللذة والمتعة الجسمية ـ لم تمنح الإنسان فرصة التفكير في الآخرين فضلاً عن اقامة الروابط العاطفية معهم ، وتقديم فروض المحبة لهم .

يقول أحد علماء النفس والإجتماع المعروفين : ان الإنسان اليوم قد عاد غريباً عن ذاته وأبناء جنسه والطبيعة وقد تبدل إلى سلعة وجعـل طاقتـه رأسمالاً يجب ان يدخل تحت قوانين العرض السـوقي فيحصل من خـلاله على الـربح الأكثر . ان الروابط الإنسانية (اليوم) شبيهة بالروابط بين الأناس الآليين (أي الآلات التي أنتجتها المعامل على غرار البشر) تلك الروابط الغريبة عن ذاتها .

فـإذا رأينا المجتمـع الإنساني الحـالي مبتلى أشد الإبتـلاء والقلق ، ولا يستطيع ان يجدَ له طريقاً إلى السعادة فان احدى علل ذلك ، هذه الغربة التي يعيشها الإنسان الحالي والبعد عن الآخـرين فهو لا يفكـر الا بنفسه ولنفسـه لا غير .

ومن هنا فلابدّ ان تنمى وتقوى عـاطفة (الحب) في الإنسـان المربي . وإذا كبتت هذه الغريزة فيه ، ولم يشبع هذا الإحتياج الإنساني الأصيل فان ذلك

سيؤدي إلى أنواع كثيرة من الشقاء البشري وبشكل لا يمكن جبره وسده .

فان أول الآثار التي سيبتلى بها هو تغريبه الإنسان عن ذاته وعن الآخرين وصوغه إنساناً وحيداً ، وفي الظل المشؤوم لهذه الغربة عن الذات تبدو كل الاختلالات والأمراض الروحية ، والإجتماعية واللاانتماء ، والعجز والتقوقع ، والتشاؤم وفقدان كل القيم والمعتقدات » .

وعلى هذا فإذا أراد المجتمع الوصول إلى السعادة فان طريقها يكمن في تربية طاقة الحب للآخرين في الناس ، وإذا قويت هذه الطاقة وترسخت في الإنسان فانه سوف لا يحب الآخرين فحسب بل وسترضى احتياجاته الغريزية ، وسوف يقع هو بدوره مورداً لحب الآخرين .

الإسلام والمحبة :

وقد اهتم الإسلام ـ وهو دين خالد قائم على أساس الفطرة والإشباع الصحيح لكل الإحتياجات الإنسانية اهتم بموضوع حب الآخرين واعتبر ذلك أمراً مقدساً .

انه يرى كل الأفراد ترجع إلى أصل واحد ، ويرفض كل الإمتيازات الخاطئة العنصرية منها والقبلية والمادية وغيرها ، فما دام كل الناس مخلوقين لله وقد ولدوا جميعاً من أب واحد وأم واحدة ، فهم أهل للإحترام والمحبة والهداية .

ولهذا رأى الرسول الأعظم (ص) ان اعلان الإسلام للحرية الإنسانية لا يختص بمجموعة دون غيرها بل هي لجميع الناس فقال (ص) : تحبب إلى الناس يحبوك »[1] .

---

(١) وسائل الشيعة : ج٨ ص٤٣٣ .

ويقول أمير المؤمنين (ع) لـولده محمـد بن الحنفية « أحسن إلى جميـع الناس كما تحب ان يحسن إليك وارض لهم ما ترضاه لنفسك واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك وحسِّن مع الناس خلقك حتى إذا غبت عنهم حنُّوا إليك وإذا متَّ بكوا عليك »[٢] .

وهكذا نرى ان الإسـلام لم يحترم بني آدم فحسب ، بـل أوصل الحب الإنساني للآخـرين إلى درجة طلب فيهـا من اتباعـه ان يحبوا لغيـرهم السعادة والنصر كما يحبون ذلك لأنفسهم .

ان المسلم الواقعي يخدم المجتمع دائماً ويعمل ـ بكل ما يستطيع ـ على امداده بالمعونة الفكرية ، والعقائدية والأخلاقية ، والإقتصادية .

ونفس هذه الاحساسات والمحبة الأصيلة هي التي جعلت وظيفة الإرشاد والتوجيه وكذلك الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر واجبـاً ثقيلاً على كـاهل المسلمين ، ومن هنا فليس للمسلم ان لا يبالي أنَّى كان سلوك الآخرين .

وقـد سئل النبي الأكـرم (ص) : « من أحب الناس إلى الله ؟ قـال أنفـع الناس للناس »[٣] .

ويقول : « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم »[٤] .

وإذا كنّا لا نستطيع هنا ان نعرض إلى كل الخطط والتنظيمات الإنسانيـة السامية في الإسـلام حول مـوضوع حب الإنسـانية ، فـاننا نستـطيع ان نعـرف الأسلوب التربوي الإسلامي من هذا المجال من خلال هـذه النماذج القصيـرة

---

(٢) وسائل الشيعة : ج٨ ص٥٤١ .
(٣) أصول الكافي : ج٢ ص١٦٤ .
(٤) أصول الكافي : ج٢ ص١٦٤ .

لنعلن بعد ذلك ان الإسلام هو « دين المحبة » .

المحبة للكافرين :

وهنا يُثارُ هذا التساؤل وهو : ان كان الإسلام هو دين المحبة للبشرية فلماذا منع المسلمين من ان يوادّوا غير المسلمين ؟ ولماذا لا يستطيع المسلمون ان يربطوا أنفسهم برباط المحبة مع المجموعات المعادية للإسلام والكفار ؟

وللقرآن في هذا المجال تعبيرات كثيرة وتوضيحات أساسية فهو يقول :

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ﴾ (٥) .

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارىٰ أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَولِياءُ بَعْضٍ﴾ (٦) .

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ (٧) .

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ والْكُفّارَ أَوْلِياءَ﴾ (٨) .

﴿مُحَمَّدٌ رَسولُ اللّهِ وَالَّذينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٩) .

وهنا لابدّ ان نعرف المدى الذي منع فيه الإسلام والقرآن من حب الكافرين والمجموعات المضادة للإسلام .

---

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ .
(٦) سورة المائدة ، الآية : ٥١ .
(٧) سورة الممتحنة ، الآية : ١ .
(٨) سورة المائدة ، الآية : ٥٧ .
(٩) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

فهل يقول الإسلام : لا تحسنوا إلى الكفار ؟ أو لا تهدوا الكفـار ؟ أو لا تسعوا في سبيل سعادتهم وحياتهم المعنوية ؟ كلا ، فان ذلك ليس أبداً منـطق الإسلام الذي بعث نبيه رحمة للعالمين والذي هو دين البشرية جمعاء .

وانما يجب ان يقال : ان كل هذه الآيات وأمثالهـا في هذا المجـال انما هي انـذار وتنبيه للمسلمين لكي لا يقـربوا إلى درجـة يشكل المسلم والكـافـر جسدين حلت فيهما روح واحدة . . . إذ أنه في مثـل هذه الأنمـاط من المحبة التي تذوب فيها الفوارق . يحصل تناسخ خلقي وإرادي وعملي وعقائدي فيكون الطرفان متجهين إلى هدف واحد . وواضح ان مثل هذه المودة مع أعداء الإسلام لا يكون لها تأثير عميق على روحية المسلمين ودور هام في خلق تَزَلْزُلٍ عندهم في العقيـدة الإسلاميـة والتوحيـد فحسب ، بل لهـا أثرهـا في إعاقـة المجتمع الإسـلامي عن التحرك بـاتجاه التكـامل هـذا بالإضـافـة إلى ان العـدو يـراقب التحركات والثغـرات ويتحيَّن الفرصـة المناسبـة ليستفيد منهـا ويوجـه ضربـات شديدة إلى الطرف المقابـل له . . . وأيّـة فرصـة هي أكثر سنـوحاً من الـروابط العاطفية التي تنشأ من مثل هذه الأنواع من المحبة الشديدة ؟ !

ومن هنا فان الإسلام قد نبَّه المسلمين لان يكونـوا دائماً يقـظين حذرين واعين ، وان يحتاطوا في سلوكهم مع العدو ، وان لا يعقدوا الصداقات وأنواع المودة القوية التي توجب اتباع الأعداء وتفكّك عرى المجتمع الإسلامي .

فلم يقل الإسلام ان على المسلمين ان يقطعوا كل روابطهم مع المجاميع غير المسلمة وان لا يعاملوهم بإحسان وعطف ، الا ان مثل هذه الروابط يجب ان يصحبها وعي تام ونظرة عميقة ، واحتياط دائم لكي لا يستطيـع العدوان أن ينفذ من خلال هذه الثغرة العاطفية ويستفيد من هذه الحالة لصالحه وما صالحه الا تلك المخططات الإستعمارية اللإنسانية .

فإذا قال الإسلام : لا تعقدوا أواصر المودَّة مع العدو فليس معنى ذلك انه

يمنع الاحسان والتودُّد بالنسبة لغير المسلمين إذ انَّا علمنا ان الإنسان بما هو إنسان أهل للمحبة والإحسان والإسلام نفسه هو في طليعة المبادىء الإنسانية الأصيلة .

وانما كان المنع في المبدأ الإسلامي الأصيل يختص بذلك النوع من المودة التي يحصل في ظلها اتباع للكفار في المجال العقائدي والسلوكي وكيفية الحياة . . . فيجب على المسلمين في هذا الصدد ان يكونوا محتاطين دقيقين وان يعلموا انهم إذا كانوا أعضاء في المجتمع الإسلامي فعليهم ان لا يعقدوا روابط مع أعدائه والأجانب عنه بشكل يوجِّه لطمة لوحدة هذا المجتمع وعقيدته واستقلاله ، ان القرآن يقول بكل وضوح :

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم ان الله يحبُّ المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدِّين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تَوَلَّوهُم ، ومن يتولَّهم فأُولئك هم الظالمون﴾(١٠) .

وبتعبير مختصر فان الإسلام يُعَلِّمُ أَتْبَاعَهُ أن كل إنسان أهل للمحبة والإحسان ما لم يقم ضد المبدأ الإسلامي الإنساني بواقعه ، فإذا قام ضده فليس أهلاً لذلك(١١) .

ومن هذا المنعطف ينطلق الإسلام ليقول : « بانه لا يمكن التعلق العاطفي وعقد أواصر المحبة مع الظالم الجاني ، لأن الإسلام يعتبر من يحب الظالمين ظالماً مثلهم »(١٢) .

---

(١٠) سورة الممتحنة ، الآيتان : ٧ ـ ٨ .

(١١) كتاب الخلافة والولاية ـ من ص٣٣٩ إلى ص٣٤٩ .

(١٢) البحار : ج٧٥ ص٣٦٩ فما بعد .

نبيّ الرحمة :

وقد كان النبيُّ (ص) وباقي القادة الحقيقيين للإسلام يدعون أبناء العالم لمثل هذا الأسلوب من التعامل الإنساني كما كان سلوكهم يؤكد هذا المعنى . . . وتكفي نظرة لحياة النبي (ص) الرائعة لنعرف السر الذي سُمِّيَ على أساسه بـ (نبيّ الرحمة) .

فقد كان هناك شاب يأتي النبي كثيراً ولربما استخفَّ بالنبي (ص) لعدم اعتقاده لعظمته . . . ومع ذلك فان النبي (ص) كان يحبه ويتحنّن عليه كان الشاب يستعين في اقامة أود حياته اليومية بالنبي (ص) وهكذا يقول التاريخ :

ولأيامٍ عدة لم يرَ الرسول هذا الشاب فسأل عنه فقال له قائل تركتُه في آخر يوم من أيام الدنيا فأتاه النبي (ص) في أناس من أصحابه وكان (ص) بركة لا يكاد يكلم أحداً في حاجة الا أجابه فقال : يا فلان ! ففتح عينيه وقال لبيك يا أبا القاسم قال (ص) : « أشهد ان لا إله الله واني رسول الله » ولعل رسول الله (ص) أحس بما يحدِّث الشاب به نفسه من إكبار لشمم وكرم رسول الله (ص) رغم انه لم يكن ليحترمه الإحترام اللائق .

« فنظر الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً ثم ناداه رسول الله (ص) الثانية وقال له مثل قوله الأول فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً ثم ناداه رسول الله (ص) الثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه فقال أبوه ان شئت فقل وان شئت فلا ، فقال الغلام أشهد ان لا إله إلا الله وانك محمد رسول الله » ومات مكانه فقال رسول الله (ص) أخرج عنّا ثم قال لأصحابه اغسلوه وكفنوه وأتوني به أصلي عليه ثم خرج وهو يقول الحمد لله الذي أنجى بي اليوم نسمة من النار »(١٣) .

ان هذا نموذج صغير من محبة النبي (ص) بالنسبة للمجتمع الإنساني .

---

(١٣) جامع أحاديث الشيعة : ج١ ص٢٤١

الا انه متى ما كانت المسألة مسألة مقابلة مع الكفار واتخاذ موقف من المعاندين فانه لم يكن ليرفض المحبة والحنان والتودُّد فحسب بل إذا استدعت الضرورة فإن السيف يتخذ موقعه من الرقاب بدل العطف .

وهذه هي معالم المبدأ العالمي الأصيل حيث يجعل الهدف والعقيدة نصب عينيه ويقدمهما على كل شيء حتى على النفس الغالية .

المودة الزائلة

إذا أردنا ان نقع على السر الأساسي لزوال الكثير من أنماط المودة ، فإنا سنصل إلى هذه النتيجة وهي ان المحبة ان أقيمت على أسس قلقة عابرة فإنها سوف لن تبقى بل سرعان ما تزول .

فإذا كان المال ، أو الجمال ، أو المقام أو أحد العوامل المادية والدنيوية هي سر الحب والمودة فسوف لن يكون الحب دائماً بل يبقى قلقاً لأنه لا يمكن الإعتماد على مثل هذه العوامل التي توجد هذه الأنماط من المحبة . . . فما دامت هذه العوامل موجودة فان للمحبة وجوداً ظاهرياً وبفنائها تزول المودة أيضاً .

وعليه فان المحبة الأصيلة العميقة التي يمكنها ان تشكِّل أساساً لكل الصفات الإنسانية البارزة ، هي تلك التي تمتلك أساساً محكماً هو غير هذه الأمور المادية الزائلة بسرعة .

الإيمان خير أساس للمحبة :

ان الأمر الوحيد الذي يمتلك أصالة وبقاء هو الإيمان والأهداف الدينية . فإذا كانت المودة بالنسبة للآخرين قائمة على أساس إيمانهم وارتباطهم بالله تعالى فانها لن تنقطع وتفنى لانها قد بنيت على أساس محكم متين .

وتلك من خواص الإسلام الخالد حيث بني كل شيء على أساس الإيمان ، إذ نجد في هذا المبدأ القيم الأصيل ان المودة والعداوة اللتين تقومان على أساس الإيمان ـ أي الحب والبغض في الله لا في غيره ـ تشكلان أقوى الروابط بين خالق الكون ومخلوقاته .

ولأجل تأكيد هذه الحقيقة في ذهنية الاتباع طرح النبي (ص) على اتباعه السؤال التالي :

أيّ عرى الإيمان أوثق ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم .

وقال بعضهم : الصلاة .

وقال بعضهم : الزكاة .

وقال بعضهم : الصيام .

وقال بعضهم : الحج والعمرة .

وقال بعضهم : الجهاد .

فقال رسول الله (ص) : « لكل ما قلتم فضل وليس به ، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتولّي أولياء الله والتبري من أعداء الله »[1] .

وينقل الإمام السادس الصادق (ع) عن النبي الأكرم (ص) قوله : « ان لله خلقاً عن يمين العرش بين يدي الله وجوههم أبيض من الثلج وأضوأ من الشمس الضاحية يسأل السائل من هؤلاء ؟ فيقال هؤلاء الذين تحابّوا في جلال الله »[2] .

ويقول الإمام الصادق أيضاً : « كل من لم يحب على الدين ولم يبغض

---

(١) أصول الكافي : ج٢ ص١٢٥ .

(٢) وسائل الشيعة : ج٨ ص٥٤٣ .

على الدين فلا دين له »[3] .

ومثل هذه التعاليم الأصيلة هي التي يمكنها ان تربِّي الأحباء الأصفياء المتوادين الذين تقوم حياتهم على أساس من التعلق القلبي والتوحد وبشكل لا يتصور معه التزلزل وانقطاع الروابط أبداً .

وحدة المسلمين وترابطهم القوي :

ان التعاليم الإسلامية السامية تؤكد على ان المسلمين أينما كانوا متحدون تماماً وكأنه لا توجد أيّة فواصل بينهم وانهم أعضاء لبدن حي وهيكل لروح واحدة وذلك لانهم يمتلكون هدفاً مشتركاً ويعبدون ربّاً واحداً .

يقول الإمام الصادق (ع) : « المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد ان اشتكى شيء منه وجد ألم ذلك في سائر جسده وروحاهما من روح واحدة »[4] .

وهذا القرآن المجيد يذكّر المسلمين ، بالأوضاع التي كانت سائدة قبل الإسلام فيقول : ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً** . . .﴾[5] فلقد ظهر الإسلام في عصر سَرَتْ فيه نيران الإختلاف بين القبائل فلم يرفع الإسلام ذلك الإختلاف الذي لا معنى له على الأساس العنصري والقبلي والمقام والمالي ، ولم يقض على العداوات فحسب بل شد قلوب المسلمين إلى بعضها بحيث أصبحوا جميعاً اخوة ليقول للعالم انه : « يمكن ان تسود روح الأخوة في البشرية جمعاء في ظل الإيمان بالله تعالى » وهنا يقول القرآن ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[6] أينما كانوا وإلى أي عنصر انتموا .

---

(٣) أصول الكافي : ج٢ ص١٢٧ .

(٤) أصول الكافي : ج٢ ص١٦٦ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ .

(٦) سورة الحجرات ، الآية : ١٠ .

نعم ان حب الأخوة في الدين من صميم القلب والروح وإبراز العواطف والاحساسات النقية تجاههم يعتبر من وظائف المسلمين المحتمة . . . فيجب ان تربى روح المحبة بين المؤمنين بالإسلام ويكونوا اخوة واقعيين في ظل تعاليمه السامية .

المحبة الحقيقية القيمة :

ان الإسلام يقيم المحبة بمقدار ما تنعكس فيه أشعتها على شؤون الحياة الفردية والإجتماعية للمسلمين فتهديهم إلى التكامل ، يقول القرآن الكريم : **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم﴾**[٧] .

ومن هذه الآية نعرف ان محبة المسلمين لبعضهم تستتبع مسؤولية عظمى وليست هي مجرد علاقة عاطفية داخلية بل يجب ان لا يكون المسلم غير مهتم بما يجري على حبيبه (المسلم الآخر) ولا يغمض عن كل ما يفعله على أساس هذه العلاقة العاطفية وان يهديه إذا وجده قد انحرف عن سبيل الإنسانية إذ أنَّ المحبة والعلاقة التي تقوم على أساس من الهدف الديني تستتبع ان يحب الشخص لأخيه ما يحبه لنفسه وان يكون ولعاً بسعادة أخيه تماماً كما هو ولع بسعادة نفسه فإذا رأى فيه انحرافاً ذكَّره بذلك بتذكير أخوي ومنعه من العمل القبيح وشجعه على الأعمال الحسنة[٨] .

ولنرجع مرة أخرى إلى الكلام القيم للإمام الصادق حيث يقول : « المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيء منه وجد ألم ذلك في سائر جسده » .

---

(٧) سورة التوبة ، الآية : ٧١ .

(٨) الميزان ، الجزء التاسع : ص٣٥٣ .

ان هذا الحديث النيِّر المعبِّر عن الروابط العميقة الأصيلة بين المسلمين يفهمنا ان المحبة في الإسلام انما تكون قيِّمة إذا كان عمل المسلمين وسلوكهم شاهداً صادقاً على واقعيتها وأصالتها . وإذا وجدت مثل هذا المحبة فان كل ما نلاحظه من المصائب والنكبات التي أصابت المسلمين في عصرنا الحاضر ـ أثر جهلهم وتفرقهم ـ ستقلع من جذورها وحينئذ يمكن للمسلمين في ظل المحبة والأنس والعواطف المتبادلة ان يبنوا المجتمع الموحَّد الصاعد نحو الكمال .

ومن هنا فإن من اللازم على أتباع القرآن والإسلام ان يدرسوا الجغرافيا الإسلامية ويعرفوا سعتها ويلاحظوا الإحتياجات التي تنقص مجتمعاتهم ويربطوا بين هذه المجتمعات برباطٍ يجعل الجميع واحداً كما أراد الإسلام وقد بيَّن القادة المعصومون لنا أساليب وبرامج رائعة سامية لتشكيل مثل هذا المجتمع وذلك أمر لا يمكن للمسلمين ان يتغاضوا عنه فهم محتاجون له دائماً .

واجبات الأخوة المؤمنين :

وقد عيَّن الإسلام الواجبات التي تجب على الأخوة المسلمين تجاه بعضهم البعض لكي تستحكم أواصر المحبة والوحدة بينهم .

يقول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، لولده محمد بن الحنفية : « لا تضيعنَّ حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه »[٩] ويتحدث الإمام الصادق حول حقوق الأخوة المؤمنين فيقول :

« ان من حق المؤمن على المؤمن : المودة له في صدره ، والمواساة في ماله والخلف له في أهله ، والنصر له على من ظلمه ، وان كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه وإذا مات ، الزيارة له إلى قبره وان لا يظلمه ، وان لا يغشه ، وان لا يخونه ، وان لا يخذله وان لا يكذبه وان لا يقول

---

(٩) الوسائل : ج٨ ص٥٤٦ ج١٢ .

له « أفّ » وإذا قال له « أفّ » فليس بينهما ولاية ، وإذا قال له : أنت عدوي فقد كفر احدهما : وإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء »[١٠] .

ويقول في موضع آخر : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه ويحق على المسلمين الإجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم عزّ وجلّ رحماء بينكم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله (ص)[١١] .

ويقول الإمام الباقر (ع) في هذا المجال « ان من حق المؤمن على أخيه المؤمن ان يشبع جوعته ويواري عورته ويفرّج عنه كربته ويقضي دينه فإذا مات خلفه في أهله وولده »[١٢] .

ان حقوق الاخوة المؤمنين في الإسلام والتي تقوم على أساس الإيمان والدين لا تنحصر بما ذكرناه ، بل هي واسعة وكثيرة ولها مواقعها في مختلف شؤون الحياة بحيث لا يمكن ذكرها في مقال كهذا ، ولكن يمكن ان نعرف أهم الوظائف الإسلامية في هذا الصدد بملاحظة الكلام القيِّم للإمام الصادق حيث يقول في هذا الموضوع ـ للمعلى بن خنيس ـ وهو أحد أصحابه المعروفين ـ « أيسر حق منها ان تحبَّ له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك »[١٣] .

وهكذا عرفنا ان المحبة في الإسلام ليست أمراً قلبياً فحسب بل يجب ان نعرف الوظائف التي عيَّنها الإسلام ونعمل بما يجب منها في مختلف المواقف ،

---

(١٠) الوسائل : ج٨ ص٥٤٥ ـ ٥٤٦ .
(١١) الوسائل : ج٨ ص٥٤٢ .
(١٢) الوسائل : ج٨ ص٥٤٣ .
(١٣) الوسائل : ج٨ ص٥٤٤ .

ولا نتقاعس مطلقاً عن القيام بكل ما يحقق مصالح المجتمع الإسلامي بل نعمل بكل جد واخلاص على تحقيقها في اطار من الرحمة المتبادلة وبدافع قلبي حقيقي ننطلق ـ بكل امكاناتنا ـ لاشباع احتياجات اخواننا المؤمنين ومساعدتهم غاية المساعدة .

يقول الإمام السادس (ع) لأصحابه : « اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه » .

الإيمان والعمل أفضل سبيل للحصول على الأصدقاء المخلصين :

وفي الختام يجب ان نذكر بان أنواع المحبة إذا كانت قائمة على أساس من الإيمان والأهداف الدينية فسوف لن تكون مفيدة وقيِّمة بالنسبة للمجتمع الإسلامي فحسب بل ستشكل إشباعاً لغريزة انسانية أصيلة هي « حب الذات » ذلك لان الإنسان طبق هذه الغريزة يريد ان يحبه الجميع في المجتمع .

والإنسان في ظل الإيمان والعمل الصالح يستطيع ان يروي هذه الغريزة العطشى فبمقدار اتساع دائرة أشعته الإيمانية المنتشرة المشرقة تتسع دائرة أحبائه ومحبيه من الناس .

يقول القرآن الكريم : **﴿إِنَّ الّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً﴾**(١٤) فالذين شغفوا بمحبة الله تعالى وعجنت قلوبهم بالإيمان به لم يسهل عليهم الخلاص من سجن الأنانية والنفعية الشخصية والفناء في الآخرين فحسب بل نجدهم في ظل هذه القوة الكبرى يقدمون على أعظم التضحيات وأشق الأعمال عاملين بجد لخدمة الأنسانية .

والذي يعتقد بالآخرة ويعلم ان عمله وسلوكه سوف يستعرض ويجازى هناك ، يسعى دائماً ليكون هذا العمل عملاً إنسانياً لائقاً وليكون مؤهلاً للحصول

(١٤) سورة مريم ، الآية : ٩٦ .

على النعم الكبرى في ذلك العالم .

ومثل هذا الإنسان يتخلص من كل ما يوجب تنفُّر الآخرين قبل كل شيء بل ويجذب إليه عبر جواذب المحبة وداً للآخرين وتعلقهم القلبي ولهـذا يقول القرآن الكريم في وصف أمثال هذا الإنسان انه ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ .

التمتع السليم بساعات الفراغ

الحاجة إلى التمتع السليم :

يعتبر التسلّي والتمتّع من المواضيع الحياتية الهـامة . وطلبـه أمر طبيعي فطري يجب ان يشبع في كل مراحل العمر ، واشباعه يشكل مصدر لذة ونشاط للناس .

فمهما كثرت الفعاليات الإجتماعية والمساعي الدراسية والصناعيـة إشتدّ الاحساس بالحاجة إلى المتعة والترويـح عن النفس ذلك لان الأعصـاب تبتلى بالونى والتعب في حين يـوجب الترويـح عن النفس ان يكتسب الإنسان طـاقة ونشاطاً جديدين ومن ثم استعداداً أكبر للعمل والسعي .

ولا ريب في ان اهمال هذه المسألة الحياتية المهمة يجرُّ إلى أخطار كثيرة إذ لو لم يوفر للناس القدر الكافي من وسائل الترويح والتمتع السليم فان أكثرهم سـوف يستغلون اسم الترويـح لينشغلوا بعمليـات تحـطم شخصيتهم وينجـرُّوا بالتالي إلى طرق شريرة كشرب الخمر وتعاطي المواد المخدِّرة وغيرها .

الترويح في نظر الإسلام :

ولما كان الإسلام يسدُّ كل الجوعـات والإحتياجـات الروحيـة والجسمية للإنسان فقد كانت له تعليمات حية في هذا المجال .

يقول الإمام الرضا : « اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال ، وما لم يثلم المروءة ولا سرف فيه واستعينوا بذلك على أمور الدنيا »(١) إن غريزة الحاجة إلى الترويح والتمتع ـ مثلها مثل باقي الغرائز ـ إذا تركت حُرَّة دون أي تنظيم فهي بلا شكّ ستجر أضراراً لا تحمد عقباها ولذا نجد الإمام (ع) يذكر شروط الإلتذاذ بالدنيا كعدم التنافي مع الشخصية الإنسانية وعدم الإسراف لكي يعرف الناس انماط التمتع الصحيحة من الأنماط المنحرفة فلا يسلكون الطرق المعوجة .

وهذا أمير المؤمنين (ع) يرى التمتع بالطيبات جزءاً من الواجبات اليومية للناس المؤمنين فيقول : « للمؤمن ثلاث ساعات : فساعة يناجي فيها ربّه وساعة يروم معاشه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل »(٢) .

التمتع السليم والمنحرف :

قلنا إن الترويح عن النفس يعد من الإحتياجات الطبيعية للإنسان ، ولكن يجب اشباع هذا الإحتياج عن طريقه الصحيح ولذا يجب قبل كل شيء أن نشخِّص التمتع السليم المفيد وغيره عن التمتع المنحرف السيء لكي لا نخسر لحظات الفراغ والتمتع فنصرفها في مجال السير نحو الشقاء وتحطيم الشخصية الإنسانية .

وفي الحقيقة فإن التمتع يجب ان يكون وسيلة لتربية القوى الجسمية والروحية ، وموجباً للنشاط الروحي وعاملاً على المنع من الفحشاء والمنكر . فكل تمتُّع لا يمتلك هذه الخواص بل يوجب التعقيدات الروحية ويروج الفحشاء والجنايات هو تمتع سيء يجب اجتنابه ومحاربته .

ان التمتع ليس مجرد تسلية وقضاء للوقت بل هو عامل على تأمين السلامة

---

(١) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة : ج٧٨ ص٣٤٦ .
(٢) نهج البلاغة ، الكلمات القصار : رقم ٣٨٢ .

الجسمية والروحية الفردية منها والإجتماعية ، ومتى ما فقد هذا الجانب لم يصح لنا ان نسمي ذلك تمتعاً وترويحاً عن النفس .

لزوم ايجاد وسائل للترويح :

إن المجتمع اليوم يحتاج إلى وسائل الترويح عن النفس . ومن البديهي أن مجرد معرفة الترويحات السالمة وتميُّزها عن انماط التمتع المنحط لا يمكنه ان يصلح المجتمع الملوَّث بالإنحراف ، وانما يجب على أفراد المجتمع بعد تمييزهم للسبيل الصحيح عن السبيل المعوج ان يسعوا لتهيئة الوسائل والأساليب التي يتم عبرها التمتع السالم .

فإذا كانت هذه الوسائل السليمة المأمونة متوفرة أمام الأفراد من جهة وكانوا قد اطلعوا على الأضرار والعواقب السيئة لانماط التمتع الخطرة المضرة فإن هؤلاء سوف لن يحفروا قبور شخصيتهم وشقائهم بأيديهم بل يحفظوا أنفسهم من الأخطار الأخلاقية والروحية الكبرى إذ من الواضح ان الجائع إذا وجد أمامه الغذاء الشهي المفيد السالم فانه لن يدع نفسه تتلوث بالغذاء المضر العفن ، فتتسمم وتتلف .

هكذا هي حالة أكثر الناس : فهم مع علمهم بسلوكهم طريقاً خطراً ومواجهتهم في أي لحظة بهزيمة وإفلاس أخلاقي ، يظلون سائرين في طريق الغيِّ ولذا فيجب إبعاد هؤلاء دائماً عن الوسائل الخطرة للتمتع وفتح طرق المتعة الصحيحة والترويح السليم وبالتالي السعادة الحقة .

الخطأ الكبير للمجتمع :

يجب الإعتراف مع الأسف الشديد ، بأن الأيدي الخفية التي تروج لوسائل التمتع المنحرف في قبال وسائل التمتع الصحيح كثيرة جداً بحيث تجر المجتمع بقوة نحو تلك الوسائل الخطرة المغلوطة .

إن المجتمع الإسلامي اليوم يتبع الغرب في مجال الإستفادة من ساعات

الفراغ تماماً كما في المجالات السلوكية الأخرى .

في حين ان العالم الغربي نفسه يجد نفسه في تيه غريب وضلال بعيد من هذه الناحية لذا فهو يتخبط ويسعى للخلاص من وهدة الفساد ومستنقع الذنوب فلا يجد له سبيلاً . فلا يعلم كيف يقضي أوقات فراغه والأهم من ذلك ان أبواب المتعة الحرام والترويح المنحرف مفتحة أمامه وهو يلجها دون تفكير وبلا إرادة .

انه لسوء الحظ يستعد أكثر فأكثر للتفرنج والتغرُّب ويفتخر بانه استطاع ان يسلك سلوك الغربيين ويقلدهم . . . فإذا سُئل عن علة سلوك معين أجاب وكأنه يمتلك أقوى البراهين « ما دام الغرب قد فعل هذا فإنّا نفعله »!!

الا انّه لو أعمل قدرته الفكرية فسيعلم أن مثل هذا الأنواع من التمتع تمتلك نتيجة عكسية تماماً فبدلاً من راحة الأعصاب تحطمها ، وعوضاً عن منع الفساد تزيده ، بل تشكل هي بدورها عاملاً هاماً لزيادة الجرائم والفساد الأخلاقي .

إذا فكر مجتمع العالم الإسلامي جيداً لم يسر كقطيع بلا راع ـ لا إرادة له ولا يفكر نحو نتائج أمثال هذه الترويحات ، ولم يتدافع على أبواب المراكز التي تمتلك عناوين برّاقة خدّاعة فيضيع وقته وهو الجوهرة الثمينة سدى وبلا ثمرة .

يقول الإمام علي (ع) : « لا خير في لذة توجب ندماً ، وشهوة تعقب ألماً »[٣] فإذا كان مجتمع ما طالباً للسعادة وجب ان يلتفت لهذه الكلمات الرائعة ، ويفكر تفكيراً طويلاً ويحسب عواقب الأمور ويحاسب الشهوات واللذات السريعة الانقضاء على ضوء نتائجها الوخيمة ويلاحظ نهاية التمتعات المنحرفة والشهوات الجامحة السقيمة ثم يبتعد عنها .

---

(٣) غرر الحكم : ص٣٥٤ .

يقول الإمام علي (ع) « عجبت لمن عرف سوء عواقب اللذات كيف لا يعف »(٤) .

وها نحن نحاول ان نشير إلى بعض انماط الترويح السليم عن النفس والتمتع الصحيح بساعات الفراغ .

التمتع السليم :

لقد اهتم العلماء الكبار وعلماء النفس بشدة بمسألة التمتع وقدَّموا النصائح القيِّمة في هذا المجال .

وقد لاحظ الإسلام العظيم ـ بنظرة واعية ـ هذا المجال وقاد الناس نحو التمتع السليم بالحياة وحذرهم من السبل الخطرة لذلك .

وها نحن نشير إلى بعض الإرشادات المفيدة ونوصي الجيل الشاب قبل ذلك : ان يسعوا لانتخاب وسائل التمتع من النوع النظيف الذي يشكِّل أساساً للنمو والرقي الروحي والمعنوي لهم كما نوصي أولياءهم بأن لا يضعوا أمامهم تلك الوسائل التي تجرهم إلى الركود الفكري ذلك انه كما تساعد الترويحات السالمة على رفع التعب وايجاد السرور والنشاط وتوجب النشاط الفكري فان الترويحات السقيمة توجد ركود الفكر والعقل .

« فإذا اعتدتم على إشغال أنفسكم بالترويحات والمسليات المصطنعة التي لا تحتاج إلى أعمال القوى البدنية والفكرية فإنّ ذلك سيؤدي لان يضعف ذوقكم وطاقتكم الفكرية شيئاً فشيئاً لتفنى بعد ذلك »(٥) .

المطالعة والرشد الفكري :

إنّ المطالعة وقراءة الكتب يعد من أنواع التمتع المؤثرة تأثيراً كبيراً من

---

(٤) غرر الحكم : ص٢١٨ .

(٥) النمو والحياة : ص٢٨٢ .

الرشد الفكري والروحي للناس وإذا كانت مطالعة مصحوبة بذوق راق وشوق وقّاد فانه ستكون ملذّة ومنشّطة .

« روِّحوا عن أنفسكم ببديع الحكمة فانها تكلُّ كما تكلُّ الأبدان »[٦] .

ان الكلمات الحكيمة التي يحصل عليها الإنسان عن طريق المطالعة أو مجالسة العلماء ومصاحبتهم تمنح الروح نشاطاً وتزيد القوة الفكرية اتِّقاداً .

ويجب على الشباب ان يخصصوا مقداراً من ساعات الفراغ للمطالعة المفيدة . وإذا لم يتملكوا في مطلع الأمر شوقاً لذلك فان التكرار والتمرين ، وانتخاب الكتب المفيدة والموافقة للذوق يمكنها ان توجد ذلك الشوق المطلوب .

فإذا امكننا ان نجعل الجيل الشاب يعتاد المطالعة فقد خطونا خطوة كبرى في طريق التقدم الفكري لهم ، وأقمنا سداً منيعاً رفيعاً أمام انحرافهم وفسادهم . . . والحقيقة ان عدم الإعتياد على المطالعة يبعث على ان تصرف ساعات الفراغ لدى الشباب في أنواع المتع المغلوطة .

ويمكن للعمال الذين يعملون أعمالاً رتيبة ومتعبة ان يحصلوا على أفضل إشباع وقضاء مفيد للوقت عن طريق المطالعة .

لكي يشكّل ذلك باعثاً على التحرك الذهني ـ خارج العمل ـ وعاملاً على تعلمهم الكثير من المواضع الدينية والعلمية .

السفر :

والسفر أيضاً أحد أنواع الترويح السالم عن النفس والملذّة المؤثرة في سلامة الجسم والروح .

---

(٦) أصول الكافي : ج١ ص٤٨ .

وقد دعا الإسلام المسلمين لهذا النوع الصحيح السالم وشوَّقهم له . ولكن يجب أن نعرف ان الإسلام لم يقبل أي نوع من السير والتجول بل انما يقبل السفر الذي يمتلك هدفاً إنسانياً ، هدفاً يعود بالنفع على الفرد أو المجتمع .

يقول النبي الأكرم (ص) : « سافروا تصحُّوا »[٧] .

ويدعو القرآن الكريم في أكثر من عشر آيات الناس للسير والسياحة في الأرض ليطَّلعوا على أحوال الأمم في العصور الخالية ويعرفوا علل انحرافهم وانحطاطهم ويعيشوا بالتالي واعين مدركين .

فهو يقول : ﴿أَفَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها﴾[٨] .

إن أولئك الذين يسافرون أيام العطل والفراغ لرفع آثار العمل المضني وتجديد القوى هؤلاء يحصلون على ترويح ومتعة للنفس كما يحصلون على أحد عوامل الصحة والسعادة ذلك « انه ثبت ـ اليوم ـ صحياً ـ ان الحياة والعمل والأكل برتابة وبشكل واحد مضرة للإنسان حيث تضعف الأعضاء بسرعة وتتعب ، فتغيير الحياة والتنوع يجب ان يكون من البرنامج الصحي »[٩] .

اما السفر للَّذة الجسدية والترف واللهو الحرام فهو ـ بدلاً من ان يمنح الإنسان قلباً صاحياً وأذناً واعية ـ يمنح الإنسان تحطم الأعصاب وتعب الفكر والجسم ومثل هذا هذا لا يمكن ان يُسمَّى ترويحاً سالماً وقد منعه الإسلام بشدة .

---

(٧) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٢٢ .

(٨) سورة الحج ، الآية : ٤٦ .

إنّ السفـر إن كان صحيحـاً ولهدف مشـروع شكل أحـد عوامـل التقـدم الأخلاقي والصناعي للمجتمع ، وبه يزداد رقي المجتمع ونموه .

والحقيقـة أننا نجـد الناس اليـوم يسافـرون بكل أمن ورفـاه وراحـة إلى مختلف الأمكنة والأقطار المترقية صناعياً وغيرها فلو ان هؤلاء اعتبـروا بما رأوا وما سمعوا فانهم سوف يكونون عاملين على التقدم العلمي والصنـاعي لبلدهم بلا ريب .

ولكنّا نشاهد مع الأسف ان الناس يتبعون اللذة الجسـدية واللهـو الحرام ويجلبون أنواع المـوضات الجـديدة للحضـارة القلقة لأُمَّتهم بـدلاً من استفادة العبرة من ملاحظة انماط التقدم العلمي والصناعي للآخرين .

الرياضة :

والرياضة أيضاً متعة نفسية سالمة ومفيـدة فهي مثل السفـر تبعث النشاط وتؤثر في سلامة الأفراد وصحتهم . ومتى تهيَّأت سلامة البدن ساعد ذلك على سلامة الروح ومن البديهي ان سعادة الإنسان ترتبط بسلامة روحه وبدنه ارتباطاً مباشراً وتكمن أهمية الريـاضة في انهـا تقوي البـدن وتمنح الـروح ارادة قويـة أيضاً .

ومن نافلة القول أن يقال إن كل جهاد ودفاع عن حيثية الأمة واستقـلالها برجولة وفتوة يحتاج بالإضافة إلى الإيمان والهدف إلى أجسام قوية نشطة .

اما ضعاف الأجسام فهم ليسوا فقط عاجزين عن القيـام بشيء في ميدان العمل الجهادي وانما هم فاشلون أيضا في ميدان الحياة .

ومن الطبيعي انه يجب القيـام بأنـواع من الريـاضة تنسجم مـع الأصول الأخلاقية والإنسانية .

الرماية :

والرماية ضرورية للمسلمين ليمتلكوا استعداداً للصراع مع العدو والدفاع عن حرمة القرآن والإنسانية .

قال الرسول الأكرم (ص) بعد تلاوة الآية الكريمة **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . . . ﴾**[٩] « **الرمي** »[١٠] .

الإمام الصادق (ع) نفسه كان يحضر مسابقة في الرماية[١١] .

ويقول الإمام الباقر (ع) لهشام بن عبد الملك فتعاطيته (يعني الرمي) أيام حداثتي ثم تركته »[١٢] .

ركوب الخيل :

ولركوب الخيل والسباق عليها أهمية فائقة في الإسلام وقد كان قائد المسلمين العظيم النبي الأكرم يشترك بنفسه في سباق الخيل ويشوِّق المسلمين لهذا العمل ويخصِّص جوائز للفائزين .

فعن علي بن الحسين (ع) ان رسول الله (ص) أجرى الخيل وجعل فيها سبع أواقي من فضة[١٣] ، وأن النبي (ص) أجرى الإبل مقبلة من تبوك فسبقت العضبا وعليها أسامة فجعل الناس يقولون : سبق رسول الله (ص) ورسول الله (ص) يقول : سبق أسامة[١٤] .

ولا مانع من أي شرط في سباق الخيل والرماية وقد كان النبي

---

(٩) سورة الأنفال ، الآية : ٦٠ .
(١٠) و (١١) وسائل الشيعة : ج١٣ ص٣٤٨ .
(١٢) وسائل الشيعة : ج١٣ ص٣٤٨ .
(١٣) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٥١٦ .
(١٤) وسائل الشيعة : ج١٣ ص٣٥١ .

الأكرم (ص) يركِّض الخيل ويجعل للفائزين بعض الأواقي من الفضة [١٥]

وقد كان المسلمون يهتمون بهذا النوع من السباق للحصول على استعداد حربي ضد الكافرين ، ويروِّضون الخيل ويربونها على ذلك لان القرآن يقول : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومن رباطِ الخَيْلِ﴾ .

وقد حاز هذا الموضوع أهمية فائقة في الإسلام إلى حد أن فُتِحَ في الفقه الإسلامي بابٌ باسم (السبق والرماية) وبيَّن فيه الفقهاء قيمة ذلك وشرائطه .

السباحة :

والسباحة رياضة جيدة ومفيدة ومؤثرة في تقوية الأعضاء يقول النبي الأكرم (ص) : « علِّموا أولادكم السباحة والرماية »[١٦] فالسباحة تنفع عند عبور النهر وحدوث الحرب والخطر وانجاء الغرقى وغير ذلك .

تنبيه :

يجب ان يراقب الآباء والأولياء أبناءهم لئلا يتلوثوا بالترويح غير المشروع عن النفس ، ولا يشركوهم الا في المراكز التي تنفعهم وفي صالحهم أخلاقياً وتربوياً .

يقول الرسول الأكرم (ص) : « رحم الله الذين أعانا ولدهما على برّهما »[١٧] وإذا لم يجد الآباء محلاً لائقاً لذلك التمتع السليم فانه ينبغي لهم أي للآباء ان يسعوا في حدود امكاناتهم لتوفير وسائله في البيوت لئلا يبتلى الأبناء بعوامل الفساد والتلوث .

وشيء جميل ان يقوم الخيِّرون في المجتمع بإنشاء مراكز ترويح سليم

---

(١٥) وسائل : ج١٣ ص٣٤٦ .
(١٦) وسائل الشيعة : ج١٥ ص١٩٤ .
(١٧) وسائل الشيعة : ج١٥ ص١٩٩ .

للشبـاب . . . تنفع بـالإضافـة لإشباع احتيـاجهم الطبيعي في تعليمهم الأمـور الأخـلاقية والتـربـويـة والأسلوب الصحيـح للحيـاة وفي تحصينهم من الفسـاد والتلوّث والإنحراف .

الغضب

« إياك والغضب فأوّله جنون وآخره ندم »[1] .

شبّـه الشعراء وذووا الشعـور المرهف من النـاس بعض صفات الإنسـان وحالاته وغرائزه ببعض حالات الطبيعة :

فشبهت حالة الغم بحالة الخريف الذي تتجرد فيه الأشجار من أوراقها ، أو الغروب ، والكرم والسماحة بالسحاب الهطول وأمثال ذلك .

والغضب أيضـاً من الغرائـز التي شبهت بالعـاصفة المحـطمة أو الـرعـد القاصف أو البرق الخاطف والبركان المتفجر حمماً .

وإذا دقّقنا النظر في حالة الغضبان وجدنا الدم يسري في سيماه أحمر قانياً ورأينا عينيه تتحلقان ووجدنا فمه وقد امتلأ رغوة ورأينا أركانه الأربعة تهتز لا يرى الا قريباً ولا يصـرخ الا عاليـاً ، غارزاً أظـافره في راحتيـه مسلّماً إرادتـه وفكره للغضب !

---

(١) علم النفس التربوي تأليف الدكتور علي اكبر سياسي : ص٢١٢ .

ما هو الغضب ؟

وبصرف النظر عن التعبيرات الشاعرية ينبغي ان نعرف ما هـو الغضب ؟ ان الغضب يعتبر حالة اتخاذ موقف من قبل موجود حي عند تعرضه لدافع أو عامل يهدِّد منافعه أو مصالحه وينبع هذا الموقف من احساسه بحب ذاته وهو حس وميل فطري أودعه الله في أعماق كل موجود حي لحفظ النفس وتأمين مصالح الحياة وبتعبير أوضح ، فان الغضب هو رد فعل كل موجود حي في قبال الحوادث التي تمنعه من تحقيق متطلباته .

يقول «كانن» العالم الوظيفي المعروف « ان الغضب وُضِعَ في الموجود الحي للإستعداد للصراع والنهوض »[٢] .

لزوم حالة الغضب :

لقد جعل الله تعالى الغضب كالغرائز الأخرى في الإنسان بسبب فوائدها التي يعلمها ، ولذا فينبغي ان لا نتصور ان هذه الغريزة لا تنتج سوى السوء فهي صفة سيئة دائمة ، ذلك لان الإنسان لا يستغني أحياناً عن رد فعل قوي تجاه الموانع ، وقد عرفنا ان رد الفعل هذا هو « الغضب » .

فان الإنسان في أكثر الأحيان يتخذ هذا الموقف عندما يدافع عن دينه ونفسه وماله وعرضه وبواسطة الغضب يرفع تلك الموانع من طريقه . والمجتمع أيضاً يمتلك حالة الفرد هذه فمتى ما واجه المجتمع عاملاً يهدد وجود المجتمع وسعادته فانه يغضب ويعمل بقوة الدفاع عن وجوده ، اللهم الا ان يكون المجتمع مخذولاً سيطر عليه الخوف والهلع .

وهكذا يمكننا ان نصل إلى هذه النتيجة وهي أن عزَّة الأمة وصمودها

---

(٢) علم النفس للحياة للدكتور مهدي جلالي : ص٢٨١ .

ومقاومتها يرتبط إلى حد بعيد جداً بكيفية استثمارها الصحيح السليم لهذه الغريزة .

واننا لنجد الغضب أحياناً ـ في التصور الإسلامي ـ فريضة عندما يواجه المسلم الكفار وأعداء الدين .

يكتب الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى أهل مصر معرفاً لهم مالك الأشتر ـ القائد الإسلامي المضحي الكبير ـ واصفاً إياه بانه « أشد على الفجار من حريق النار »[٣] .

ضبط الغضب :

ان الغضب لو كان في اختيار الإنسان لكان سلاحاً حاداً مفيداً له فلا يطعن الا صدر العدو ولا يستفاد منه الا في المواضع اللازمة . اما إذا كان الإنسان نفسه في اختيار الغضب فانه سيكون مضراً أشد الضرر كما لو سلَّمت السيف ليد إنسان جاهل سكران .

وبتعبير آخر فان الغضب حالة مزدوجة مثله مثل باقي الغرائز فإذا وُجِّهَ التوجيه الصحيح واستعمل بالمقدار الصحيح وفي محله وبالشكل المتوازن عاد وسيلة للسعادة والصلاح والكمال ولكنه إذا ترك وشأنه فانه يوجب الويل والشقاء انه كالحصان الجموح ان أُلْجِمَ وهُيِّيءَ ومسك زمامه بقوة فانه سيصبح مركباً جيداً يسير باتزان وقوة والا فهو مركب يقود إلى الهلاك ويلقي براكبه أرضاً فلا تحمد عواقبه .

ذلك لان الغضب بلا ضبط نوع من الجنون وبدلاً من ان يكون في خدمة الفضائل يعود مُسخَّراً للرذائل . ان الإنسان لا يقرب من الجريمة في حالاته العادية فإذا خرج عن حالته العادية ولم يعد يملك نفسه فحينذاك يغطي الدم

---

(٣) نهج البلاغة ، فهارس الصالح : ص٤١١ .

رؤيـة العين ووعي العقـل ويثـور الغضب العـاصف في الأعمـاق وتحـدث الجريمة .

وفي مثل هذه الحالة إذا وجدت قوة ضابطة للغضب كـالإيمان أو العقـل فاننا سوف لن نتوقع حادثة مؤسفة مع ذلك .

يقول الإمام علي (ع) : « أعدى عدو للمرء غضبه وشهوته فمن ملكهمـا علت درجته وبلغ غايته »[٤] .

ويقـول أيضـاً : « ضبط النفس عنـد حـادث الغضب يؤمن مـواقـع العطب »[٥] .

والحقيقة ان الحروب المدمرة التي جرّت العالم إلى النار والدم قد نشأت كلها على أساس غضب سريع جامح ليس في محله .

يقول الإمام الصادق (ع) « سمعت أبي يقول : أتى رسول الله (ص) رجل بدوي فقال اني أسكن البادية فعلِّمني جوامع الكَلِم فقال : آمرك ان لا تغضب ، فأعاد عليه الاعرابي المسألة ثلاث مرات حتى رجع الرجل إلى نفسه فقال : لا أسأل عن شيء بعد هذا ، ما امرني رسول الله الا بالخير قال : وكان أبي يقول أي شيء أشد من الغضب ان الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرَّم الله ويقذف المحصنة »[٦] .

ويقول أيضاً : « الغضب مفتاح كل شر »[٧] .

---

(٤) غرر الحكم ، طبع النجف : ص٩٦ .
(٥) غرر الحكم : ص٢٠٥ .
(٦) وسائل الشيعة : ج١١ ص٢٨٨ ـ ٢٨٧ .
(٧) وسائل الشيعة : ج١١ ص٢٨٨ ـ ٢٨٧ .

الغضب والتعقل :

ولأجل ضبط الغضب نحتاج إلى مدد العقل ، فـان العقل القـوي يمكنه بمتابعة المراقبة ان يسيطر على الغضب ، ولذا فيجب تقوية العقل وتحكيمه .

يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) : « الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك ، وقاتل هواك بعقلك »[٨] .

ويقول النبي (ص)[٩] .

فيمكن للإنسان من خـلال نافـذة العقل والتفكيـر ان يطّلع على عـواقب الغضب ويتأمل فيها وبالتـالي ان يصرف نفسـه عن ذلك لان مـراجعة عـواقب الأمور له دوره الأساسي في تحذير الإنسان من كثير من الأخطار . يقول (ص) : « إذا أنت هممت بأمر فتدبّر عاقبته فإن يك رشداً فامضـه ، وان يك غيّـاً فانتـهِ عنه »[١٠] .

تقوية الإرادة بالإيمان :

ان العقـل كالشمس في ليـالي الحياة المـظلمة وكـالسـراج المضيء في حنادس الظلام الا انه لا يملك كل ما يحتاجه الإنسان من زاد في طريقه ويجعله فائقاً على كـل الاحساسـات والغرائـز . ولذا فنحتـاج بالإضـافة لتـربية العقـل والإستفادة منه في ضبط الغضب إلى قوة أخرى هي الإرادة .

يقول الإمام الصادق :

« الغضب ممحقة لقلب الحكيم ، من لـم يملك غضبه لم يملك »[١١] .

---

(٨) نهج البلاغة ، الكلمات القصار .

(٩) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٢٨٦ .

(١٠) وسائل الشيعة : ج١١ ص٢٢٣ .

(١١) وسائل الشيعة : ج١١ ص٢٨٨ .

اما إذا تقوَّت الإرادة فانها فانها ستسرع لمعونة العقل فيتعاونان في القضاء على الشكل المحطِّم للغضب ، والإيمان هو أفضل عامل مقوٍّ للإرادة ، فمتى ما ابتلي العقل بالخطأ فان الإيمان يهديه سواء السبيل .

فالإنسان علاوة على احتياجه الضروري لهدايات العقل يحتاج إلى قيادات دينية بشكل كبير جداً .

يقول علي (ع) : « العقل شرع من داخل والشرع عقل من خارج »[١٢] .

وعليه للأمان من عواقب الغضب نحتاج إلى عقل قوي وإيمان راسخ .

يقول الإمام الصادق (ع) : « انما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق »[١٣] .

نماذج حية :

نستطيع ان نجد نماذج حية واضحة لمقاومة الإيمان في قبال الغضب في حياة قادة الدين .

ولنلاحظ نموذجين فيما يلي :

١ ـ روي ان النبي (ص) كان عليه برد غليظ الحاشية فجذبه إعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثَّرت حاشية البرد في صفحة عاتقة النبي (ص) ثم قال يا محمد حمِّلْ لي على بعيريَّ هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمِّل لي من مالك ولا مال أبيك فسكت النبي (ص) ، ثم قال : المال مال الله وأنا عبده

(١٢) مجمع البحرين مادة « عقل » .
(١٣) وسائل الشيعة : ج١ ص٢٨٦ .

ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي ؟ قال : لم ؟ قال : لانـك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي (ص) ثم أمـر ان يحمل لـه على بعير وعلى آخـر تمر[١٤] .

٢ ـ حكي ان الأشتر كان مجتازاً بسوق وعليه قميص خام وعمامة منه فرآه بعض السوقه فازرى بزيه فرماه ببندقة تهاوناً به فمضى ولم يلتفت فقيل له ويلك أتعرف لمن رميت فقال لا فقيل له هذا مالك صاحب أمير المؤمنين (ع) فارتعد الرجل ومضى إليه ليعتذر إليه وقد دخل مسجداً وهو قائم يصلي فلما انفتل انكب الرجل على قدميه يقبلهما فقال ما هذا الأمر فقال أعتذر إليك مما صنعت فقال لابأس عليك فوالله ما دخلت المسجد الا لأستغفرنَّ لك »[١٥] .

وينبغي ان يقتدي اتباع النبي (ص) والأئمة (ع) بسيرتهم وسيـرة اتباعهم الذين ربوهم أروع تربية فليلتفتوا ـ حين الغضب ـ إلى عواقبـه ويتخذوا سبيـل الحلم والصَّفح مع الناس بعد ملاحظة رضا الله .

وان القرآن الكريم أيضاً يذكر بان كـظم الغيظ هو أحـد صفات المؤمنين فهو حين يعرفهم يقول : ﴿وإذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[١٦] .

ويقـول في مـوضـع آخـر : ﴿ . . . وَالْكَـاظِمينَ الْغَيْظَ وَالْعَـافينَ عَنِ النّاسِ . . .﴾[١٧] .

سبل التحرز عن الغضب الآني المفاجىء :

قلنا ان الضبط القطعي للغضب ممكن مع تقوية الإرادة ، وتقوية الإرادة أيضاً يتم عن طريق تحقيق الإيمان والتدين .

---

(١٤) سفينة البحار : ج١ ص٤١٢ .
(١٥) سفينة البحار : ج١ ص٦٨٦ .
(١٦) سورة الشورى ، الآية : ٣٧ .
(١٧) سور آل عمران ، الآية : ١٣٤ .

ولكن ذكرت في الروايات الإسلامية وكتابات علماء النفس طـرق لضبط الغضب واطفاء سعاره والتحرز عن امتداد ألسنته إلى مواضع خطرة ، بحيث ان الإنسان إذا اتبع هذه الطرق أمكنه ان يتخلص من العواقب المشؤومـة للغضب وان يبقى مجالاً للتفكير ليستمد العون من العقل والإيمان وهنا نذكر بعضها .

١ ـ تبديل العمل والإستراحة :

فان الإنسان بعد ان يحس بحالـة غير طبيعيـة من الممكن ان تؤدي إلى غضب آني مفاجىء عليه في الحال ان يشغل نفسـه بعمل لينصـرف الفكر عن الأمور التي تجرُّ إلى الغضب ويتحرز عنه وذلك بان يقوم بأعمال بدنية كالتمشي مثلاً وإذا كان واقفاً فليقعد وبالتالي فيستريح .

« يمكننا ان نتدخـل في تنفُّسنا ونمنـح أعضاءنـا حالـة مريحـة . . . نمد أرجلنـا ونفتـح قبضتي أيـدينـا المعقـودة، نحني رقـابنـا ، نتخلص من حـالـة الإكتئاب . . فإذا قمنا بهذه الأعمـال فكأننـا قد تـدخلنا في بعض الأعمـال غير الإرادية التي هي من نتائج الغضب »[١٨] .

٢ ـ الماء البارد والغضب :

« ان الماء البارد يسكِّن الإلتهابات والهيجان البدني ويخفف من الدوران السريع للدم والخفقان المتتابع للقلب »[١٩] .

وقد أشار النبي الأكرم (ص) في حديث رائـع إلى هذين السبيلين فقـال « ان الغضب جمرة تتوقد في القلب ألم تر إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينه فـإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فان كان قائماً فليجلس وان كان جالساً فلينم فان لم

(١٨) علم النفس للحياة : ص٢٩٦ .

(١٩) علم النفس التربوي : ص٢١٦ .

يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد وليغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء »[٢٠] .

٣ ـ نسيان الغضب :

ان السعي لنسيان الحادثة التي أوجدت الغضب يساعد أيضاً على إطفاء نار الغضب فمثلاً لو جرت مشادة بينك وبين آخر وانجررت إلى نزاع فإن لحظات ذلك النزاع تخطر على الذهن دائماً وتوجب حالات من الهيجان وبقاء هذا الهيجان . . . فإذا سعينا بأن لا نفكّر في الحادثة ومن ثم ننساها . . . فانه يمكن القول باننا قد نسينا غضبنا وعادت إلينا حالة الهدوء .

٤ ـ ذكر الله :

والسبيل الرابع الذي يستطيع أكثر من غيره ان يبعث في النفس الهدوء والإطمئنان ويحدّ من طغيان الغضب ، هو ذكر الله الرحمٰن الرحيم والإرتباط الروحي به تعالى وقد أوحى الله تعالى إلى أحد أنبيائه فقال : « يا بن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي »[٢١] .

---

(٢٠) المحجة البيضاء : ج٣ ص١٧٩ .

(٢١) وسائل الشيعة : ج١١ ص٢٩١ .

التشاؤم وظن السوء

من الأمراض الروحية الخطرة ، التشاؤم وظن السوء .

وكل من ابتلي به ففي انتظاره المصائب ، والآلام ، والتمزق النفسي وغير ذلك من المصائب .

وهذا المرض قد يشتد أحياناً فيبلغ بالشخص إلى أن يسيء الظن بكل شيء يراه وكل أمر يفكر به فيسعى ليجد نقصاً وعيباً فيه غاضاً النظر عن محاسنه وناسياً إيّاها . . .

فإذا لاحظ عمارة رائعة ، كتاباً مفيداً قيِّماً ، كلامًا أو كتابة جيدين ، إنساناً كثير العطاء ، فبدلاً من أن يمدح ما في هذه الأمور من محاسن ، فانه يصرف وقته ودقته وهمه لتبيين ما إذا كان من الممكن أن يجد عيباً ونقصاً فيها ليعتبرها أموراً وضيعة حقيرة .

ان هذه الصفة القبيحة والمرض الأخلاقي يعتبر من البلايا الكبرى الخطرة في عالم اليوم بحيث ان سوء الظن وعدم الإطمئنان والوثوق بأي شيء وأي شخص حتى بالحياة ، يسيطر على الكثير من القلوب .

وبدلاً من البحث عن علاج هذا المرض نجد أيادي خفية تشعل نارها على لسان شاعر أو كاتب أو فليسوف غربي وغير ذلك فتطلق صيحات مألومة

محزونة حاقدة على البشرية والأشياء ، بأسلوب شعري أو روائي أو فلسفي مصطنع يحدِّث الناس عن الآلام وأنواع الشقاء واليأس .

والأنكى من ذلك ان يجري الإنسان للتشاؤم من الحياة والنَّفر منها وانها مما لا معنى له فما هي الا الخواء . وكل ذلك يدفع الأفراد بالتالي إلى الإنتحار .

الأضرار الإجتماعية :

ان (ظن السوء) هذه الصفة القبيحة تسلب ثقة الأفراد بعضهم بالبعض الآخر ، فهي بالتالي لا تدع للأشخاص أي اعتبار وحيثية .

ان ظن السوء أكبر مانع من التعاون الإجتماعي . والإتحاد والتجمع القلبي ودافع للإنسان نحو العزلة ، والتفرّد في السلوك والأنانية . . .

ان ظن السوء منبع لأنواع الغضب ، والحرب وإراقة الدماء . . . وما أكثر ما جرت الناس إلى الفناء ، وحطمت كيان العوائل . وما أكثر ما شاهدنا من أفراد ذوي مواهب عالية كانوا يستطيعون ان يقوموا بأعمال مهمة نافعة لكنهم لم يقوموا بها على أثر ظنهم السيء أو ظن الآخرين السيء بهم .

كما ان هذه الخصلة الذميمة تطفيء شعلة الحب والمودة وبدلاً منه تزرع بذور النفاق والشقاق في قلوب الأفراد وتنمِّيها ، ذلك لان المتشائم الظان سوءاً اما ان يعتزل الآخرين أو يتظاهر بالمحبة فقط ويبدي نفسه بشكل لا يعبِّر عن واقعه السيء .

ولانه ينظر للأشخاص والحوادث بمنظار السوء فهو لا يستطيع ان يحكم عليها حكماً موضوعياً محايداً فيفهمها كما هي عليه في الواقع ، وعليه فانه سيبتلي بالوصول إلى أحكام غير صحيحة وهذا نفسه يؤدي به إلى الضلال والتأخر الفظيع ، وتضييع الفرص الذهبية وعدم الإستفادة من الأشخاص الموهوبين .

فسوء الظن يؤدي للبحث والتجسس على أحوال الآخرين مما يؤدي إلى عوارض خطرة كما يوجب الغيبة واطلاق اللسان بالتعبير السيء عن الآخرين وهذا بنفسه ذنب عظيم مضر جداً .

الأضرار الفردية :

ثم ان ظن السوء يعتبر منبعاً لكل الآلام الروحية وموجباً ، للاضطراب والقلق . فصاحبه دائماً ، مغموم مهموم . تملأ نفسه الحسرة ويأكله ظن السوء هذا فلا يدع له راحة فهو على أثر ظنه السيء بالأشخاص والحوادث يتألم كثيراً أو تتحطم روحه تحت سياط العذاب الداخلي .

انه يهرب من مجالسة الأحبة والتجوُّل معهم ، ويميل للعزلة والتقوقع ولذا فهو محروم من النشاط الروحي ، وقد يصل به الأمر إلى حد يجعله يخاف من كل شخص وكل شيء ، ويرى كل الظواهر وأعمال الآخرين في ضرره ويتصور ان جميع الموجودات قد اتحدت لتعمل على محوه من الوجود .

ان القرآن الكريم يقول حول المنافقين انهم ﴿ ... **يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ**﴾[1] .

والشخص الظان سوءاً يقعد عن التكامل والرشد الفكري على أثر بعده عن انماط المعاشرة المفيدة ، وانزوائه عن أفكار الآخرين ... فهو يرى نفسه وحيداً بين ألف شخص ويعيش وحيداً حتى آخر عمره .

انه لا يمتلك صفاءً روحياً ، يظل دائماً يستغيب الآخرين في أعماقه ومن هنا فقد بحث بعض علماء الأخلاق عن (سوء الظن) تحت عنوان (الغيبة القلبية) .

ان احدى علل لجوء الناس وخصوصاً النسل الشاب في الأقطار المتمدنة

---

(١) سورة المنافقين ، الآية : ٤ .

صناعياً نحو مبادىء التحلل واللاإنتماء مثل الهيبِّية . . . هي هذا المرض الوبيل .

ومع الإلتفاف للآثار المشؤومة الفردية والإجتماعية لهذا الإنحراف الأخلاقي فان علماء النفس يرونه مرضاً خطيراً . والإنسان الظان بالسوء يصوغ حياته بشكل ما جهنّماً ، ويعذب نفسه في جهنّمه التي صنعها فيعيش دائماً في غضب ونفور وحقد .

العوامل التي توجب ظن السوء :

يجب ان نعرف كيفية نشوء هذا المرض الأخلاقي ومن أين ينشأ . وها نحن في هذا الكراس الصغير نذكِّر ببعض العوامل :

١ ـ نجد أحياناً ان التلوث الروحي للإنسان نفسه يوجب ظنه السيء بالآخرين تماماً كما ان الكثير من حسن الظن قائم على أساس الصفاء الباطني والطهارة القلبية ذلك ان الإنسان وفقاً للمبدأ العام « القياس على النفس » يتصور الناس خيِّرين أو شرِّيرين ويجعل نفسه مقياس حسن الناس وقبحهم وهكذا الحوادث ومن هنا قيل :

« ان الكافر يتصور الناس على دينه » .

٢ ـ وقد يحصل ظن السوء على أثر الحكم المسبق على الأشياء فمثلاً : نجد شخصاً يمر عليه صديقه مرة فلا يهتم به . . . وبَدلَ أن يجعل ذلك على محمل حسن كأن يكون الصديق في حالة تفكِّر في أمر قد أهمَّه فلم يلتفت . . . يجد هذا الشخص يحكم على صديقه حكماً جائراً بانه غير صادق في صداقته وانه لم يعتن به لخبث باطني لديه وانه كذا وكذا . . . في حين انه لو تأمل قليلاً فعسى يتوضح له ان عدم الإعتناء المذكور كان على أساس عدم الإلتفات لا عدم الإعتناء .

٣ ـ ان التكبر والأنانية يمكن ان يكونا عاملين أساسين لظن السوء ، فان

التمايل نحو العظمة والشموخ على الآخرين موجود لدى الكثير من الأشخاص ولان الناس لا يستطيعون ان يحرزوا العظمة والتوفق في كل مكان وبالنسبة لكل الآخرين فان هؤلاء يسعون لإثبات عظمتهم وتعاليهم عن طريق تحطيم الآخرين وتصغيرهم ، وارضاء هذا الميل الخبيث لديهم بذلك وهم بالتالي يصوغون في أذهانهم للآخرين نقاط ضعف تجعلهم هم أعلى منهم .

٤ ـ كما ان لمجالسة أهل السوء والفساد أثر مباشر في تكوين هذا الإنحراف ، فان نفس الإنسان تتلوَّن بصفة الجليس فهي بالتالي تظن السوء بالنسبة لكل أولئك الخيِّرين الذين لا ينسجمون معها . . . وجاء في الرواية ان « مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار »[٢] .

كيف نستطيع التخلص من سوء الظن :

وقبل كل شيء يجب ان نلتفت إلى ان المقصود من ظن السوء ليست تلك الخيالات الذهنية التي تحدث في الذهن بلا اختيار . وانما المقصود في هذا المقال من ظن السوء هو الخيالات السيئة التي ينمِّيها الشخص في ذهنه ويتتبعها في عالم الخيال والذهن ويستنتج من المقدمات التي يصوغها نتائج سيئة ثم يسعى لان يبني سلوكه على أساس من هذه الخيالات المصطنعة . . . ومن هنا يقول نبي الإسلام (ص) : « فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه »[٣] .

والآن لنتعرف على سبل علاج هذا المرض الأخلاقي :

١ ـ يجب ان نصلح أنفسنا لئلا نقع ـ في مجال المقارنة بيننا وبين الآخرين ـ في محذور الحكم بفسادهم . وفي مرحلة اصلاح النفس يجب ـ اضافة لنفي الصفات القبيحة . أن نلقنها بان الآخرين ليسوا أناساً شريرين بل يمكن بان يكونوا يمتلكون صفات روحية أعلى وأسمى من صفاتنا .

(٢) بحار الأنوار : ج٧٤ ص١٩٧ .
(٣) جامع السعادات : ج١ ص٢٨٢ .

كما انه ينبغي ان لا ننسى ان مبدأ « القياس إلى النفس » ينبع من حب الذات المفرط ولا أساس علمي له ولا يمكن ان يجعل مقياساً للحكم على الآخرين .

٢ ـ يجب اصلاح المحيط الذي نعيشه فقد يكون هذا المحيط هو العامل على خلق سوء الظن في نفوسنا . وذلك يعني ان لا نجالس الأشخاص غير المستقيمين في سلوكهم ، ونسعى لمعاشرة أناس خيرين لئلا يوجد فينا سوء الظن بالنسبة للآخرين بالإضافة إلى استفادتنا من الأفكار العالية والصفات البارزة التي يمتلكها هؤلاء الخيرون .

٣ ـ ان نحتاط فلا نسارع في الحكم على الآخرين حكماً لا مجال له . . . كما ينبغي ان نقلّل من توقعاتنا من الآخرين . فإذا ما رأينا مثلاً صديقاً أو فرداً من أفراد العائلة أو الآخرين لم يجيبوا على سلامنا أو أنهم عبروا من حيث نقف ولم يعيرونا اهتماماً أو لم يدعونا إلى وليمة معينة . . . فبدلاً من حمل الحقد في القلب وظن السوء فيهم ، وآلاف أخرى من الخيالات أو كما يقال : الحكم عليهم في الذهن غيابياً ، بدلاً من كل هذا ينبغي ان نلاحظ القضايا بكل تعقّل وبدون تحيّز ومن ثم نوجه سلوكهم الأنف توجيهاً حسناً . . . وعند ذلك سنرى ان ٩٠ بالمائة من ظنوننا السيئة المتعارفة تعالج وتنمحي من صفحة النفوس ذلك الذي لم يعتن بنا لم يكن في الواقع ملتفتاً لذلك أو انه قد نسي ان يدعونا أو انه كان قد غار في عالم الفكر والخيال بحيث لم يدرك من سلّم عليه ليجيب على سلامه .

ان الإنسان أحياناً يتصور ان الآخرين شكّلوا عاملاً على هزيمته في الحياة ولذا فهو يظن بهم ظناً سيئاً ولكن بعد ملاحظة واقع الأمر يعرف انهم لم يتدخلوا في ذلك وان عامل الهزيمة كان شيئاً آخر .

نعم ما أكثر ما كانت هذه الأحكام المسبقة السريعة على الآخرين في مجالات الحياة عند الكل منّا ، تقود الإنسان في النهاية إلى التأسف والندم .

ان الروايات الإسلامية توصي المسلمين كي يحملوا عمل اخوتهم المسلمين وقولهم على الصحة ، ويطرحوا احتمالات صحيحة ليتخلصوا من سوء الظن ويبعدوه عن أذهانهم .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « ضع أمر أخيك عن أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ، ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً »[٤] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء »[٥] .

كما انه يجب التوجه إلى نقطة أخرى هي :

ان من اللازم على المسلمين ان لا يقوموا بأعمال يحتمل فيها ان تبعث سوء الظن فيهم من قبل الآخرين لئلا يقع هؤلاء في هذا الخطأ . فمثلاً :

عليهم ان يبتعدوا عن مواطن التهمة ، ولا يقوموا بأعمال ولا يتفوَّهوا بأقوال توجب ذلك . . . وذلك كما يقول (ص) :

« إتقوا مواقع التهم »[٦] .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : « من عرَّض نفسه للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن »[٧] .

---

(٤) أصول الكافي : ج٢ ص٣٦٢ .
(٥) أصول الكافي : ج٢ ص٣٦١ .
(٦) جامع السعادات : ج١ ص٢٨٢ .
(٧) نفس المصدر .

تنبيه لازم :

رغم ان الشريعة الإسلامية حرَّمت ظن السوء والنظرة السيئة كما يقول (ص) « ان الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء »[٨] .

كما ان القرآن الكريم منع المسلمين من ظن السوء[٩] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظنّ إثم ﴾ .

ومع ان المسلمين مأمورون بحسن الظن تجاه بعضهم البعض ، الا أن من الواضح أيضاً ان ذلك لا يعني ان يلقي المسلم نفسه أو بمجتمعه في خطر نتيجة حسن ظنه المفرط . وعليه ففي تلك الموارد التي لا يقطع فيها الإنسان باستقامة الأفراد فانه رغم لزوم السلوك الصحيح معهم يجب ان لا نفقد الإحتياط والوعي فنوقع أنفسنا في الخطر والندم .

كما ان من الواضح أيضاً انه في المواقع التي يثبت فيها انحراف الأشخاص لا معنى لحسن الظن بهم ، فيجب بكل ما يمكننا ان نراقب هؤلاء لكي لا يستطيعوا ان يؤثروا في حياتنا الفردية أو في حياة المجتمع الإسلامي .

ومن هنا فانه لا معنى لان يكون المسلمون مُحسني الظن حتى بالأفراد الذين ثبت انحرافهم لا لشي إلا لأن الإسلام أمر بحسن الظن ، ومن ثم يجب ان لا يفسح المجال لتدخل هؤلاء في الأمور وتسليمهم مقاليد بعض الأمور لئلا يعملوا على تضييع القيم والمقاييس وتحويل الحياة جحيماً ، نتيجة حسن الظن المفرط هذا .

نعم يجب ان يفهم المسلم ان الإسلام كما دعا اتباعه إلى نفي سوء الظن

---

(٨) المحجة البيضاء : ج٣ ص١٥٥ .

(٩) سورة الحجرات ، الآية : ١٢ .

من حياتهم ، أوصاهم في نفس الوقت ان لا يفسحوا المجال للخائن الواضح الخيانة أن يتدخل في الأعمال ويستأمن على الأموال .

يقول النبي الأكرم (ص) :

« ليس لك ان تأتمن من خانك ، ولا تتهم من ائتمنت »[١٠] .

كما انه يجب ان لا نخلط بين التجسس على العيوب (وهو أمر باطل ينشأ من صفة « ظن السوء » وله أخطار متعقبة) والنقد الصحيح البناء .

قد نهى القرآن عن التجسس على العيوب ومنع اتباعه منه[١١] .

﴿ ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ .

اما النقد البنَّاء الصحيح فهو عبارة عن تنبيه الآخرين على عيوبهم وتذكيرهم بمساوئهم . . . والنقد بهذا المعنى ضروري لكل مجتمع يبتغي الرقي المادي والمعنوي . . . ومن الطبيعي ان النقد يجب ان يتجه إلى إصلاح المجتمع ليكون مفيداً ولا يكون على أساسٍ من غرض وعداوة شخصيين .

---

(١٠) وسائل الشيعة : ج١٣ ص٢٢٩ .

(١١) سورة الحجرات ، الآية : ١٢ .

مراجعة موجزة لبعض مضار الخمر

« رجل يقتل أباه في سكره : (عمره ٤١ سنة) أباه (عمره ٧٠ سنة) لانه اعترض عليه لشربه الخمر »
« عند التحقيق في قضايا أربعة أشخاص كل منهم قتل ولده تبين ان الجميع كانوا سكارى » .

الصحف

ترى هل لاحظتم الطوفـان الموحش لـلأنهار الكبيـرة . . . تلك التي لا تعرف أمامها سداً ، فتتقدم مزمجرة مزبدة ، محمحمة جارفة معها كل مـا يقف في طريقها من الصخور العظيمة إلى الأشجار الكثيفة الضخمة مكسرة أغصانها وجذوعها تاركة العمران قاعاً صفصفاً ؟

والحصان الجامح المجنون الذي إذا انطلق لا يكبح جماحه شيء يحطم كل شيء أمامه بضربات حافـره المميتة الاّ ان يصـطدم بمانـع أقوى منـه وأكبر فيهلك ؟

ان للخمر أثراً يشبه طغيان النهر وجموح الحصان ؟ فالسكران ، يزمجر ، ويطغى ويصرخ ، ويسبّ ويزبد فمه ، ويعيش السوء كله في حالته الفظيعة .

وما أكثر الأحبـة المتآلفين الـذين يجلسون حـول مائـدة واحدة يتبـادلون المحبـة والصفاء ويعيشـون الفرح ولكن مـا ان يلجأوا إلى السكـر حتى تحمى الـرؤوس وتخلو من الشعور وتحمـرّ عروق العين وتتبـدّل المحبـة إلى العـداوة

والثورة ويبدأ التهجم والجدال وما أكثر ما ينتهي الأمر إلى إراقة الدماء .

عدو الإنسان الأول :

ان القرآن المجيد يعبر عن الخمر تعبيراً دقيقاً هو :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[1] .

ان القوة المخربة للخمر تعطل العقل وهو مقياس تمييز الحسن من القبيح ، وان عوارضه الخاصة لها وقعها المخوف في عصرنا وخصوصاً في المدن الصناعية حيث كشفت عن وجه كالح مميت وعادت مشكلة مهمة تركت المسؤولين في حيرة ودهشة من أمرهم .

وكثرت الجرائم والإنحرافات التي تنشأ منها وراحت تلتهم القرابين واحداً بعد الآخر وبازدياد ملحوظ ، وقد اجتمع الأطباء من أنحاء العالم ـ قبل مدة ـ في مؤتمر عظيم وأعلنوا للعالم ـ مرة أخرى ـ ان « الخمر هي العدو رقم واحد للبشرية » .

وبعث يوانكاريه ، الرئيس السابق للجمهورية الفرنسية نداء إلى شعبه يقول فيه : « يا أبناء فرنسا ! ان أكبر أعدائكم المسكرات ، وقبل ان تحاربوا المانيا انهضوا لحرب الخمر وذلك لان الخسارات بالأنفس والأموال الناتجة منها سنة ١٨٧٠ فما بعد في قطرنا هي أكثر بمراتب من الخسارات الناشئة من الحرب مع الالمان » .

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ٩٠ ـ ٩١ .

لماذا تحرم الخمر ؟

المفضل بن عمر يسأل الإمام الصادق (ع) فيقول : لِمَ حُرِّم الخمر ؟ قال : « حرم الله الخمر لفعلها وفسادها لان مدمن الخمر تورثه الإرتعاش وتذهب بنوره وتهدم مروءته، وتحمله ان يجسر على ارتكاب المحارم وسفك الدماء وركوب الزنا ولا يؤمن إذا سكر ان يثب على حرمه وهو لا يعقل ذلك ولا يزيد شاربها الاّ كل شر »[٢] .

ويسأله شخص لا يؤمن بالله فيقول : فلم حرَّم الله الخمر ولا لذة أفضل منها ؟ فيجيب الإمام (ع) « حرمها لأنها أم الخبائث ورأس كل شر يأتي على شاربها ساعة يسلب لبَّه فلا يعرف ربّه ولا يترك مَعْصِيَة إلاّ ارتكبها ولا حرمة إلا انتهكها . . . والسكران زمامه بيد الشيطان ، ان امره ان يسجد للأوثان وينقاد حيث قاده »[٣] .

والآن إلى مراجعة موجزة لاضرار الخمر :

١ ـ الأضرار الفكرية والنفسية :

يقول البروفيسور باروك ، العالم النفسي الفرنسي : « ان الخط المنحني لتزايد الأمراض النفسية يطابق الخط المنحني لتزايد انتشار الخمر ، وان عدم التمكن من الحصول على الخمر أثناء الحرب هو أحد علل قلة المرضى آنذاك » .

ويقول الأمين العام للجنة محاربة الخمر في المؤتمر الرابع والعشرين

(٢) وسائل الشيعة : ج١٧ ص٢٤٤ ، علل الشرايع : ج٢ ص١٦١ .
(٣) مستفاد من الوسائل : ج١٧ ص٢٥٣ والإحتجاج : ج٢ ص٩٢ .

لمحاربة الخمر متحدثاً حول التأثيرات الضارة لها على الروح والعقل :

« ان مرض ٨٠ ٪ من المجانين و ٤٠ ٪ من المبتلين بالأمراض العصبية والإختلاط كان نتيجة لاستعمال المشروبات الكحولية وطبقاً لتحقيق العلماء الانكليز فقد ثبت ان ٩٥ ٪ من المجانين ابتلوا بالجنون أثر استعمال المواد الكحولية » .

« تتوضح شدة العلاقة بين الجنون والخمر من المطالعات النفسية واحصاء المبتلين . . . حتى ان الدكتور باركر الأمريكي ينسب نصف حوادث الجنون والقلق الروحي المحطم إلى الخمر ويعتقد أنه في الدول الكبرى يوجد تناسب مباشر بين عدد الحانات وعدد المجانين وان أول ما يفقده الخمر من الإنسان ومن الزاوية الروحية ، هو العقل والإدراك » .

ومن هنا نجد ان الإسلام ـ وهو يلتفت لهذه الأضرار ـ يصرُّ بقوة وجدية على محاربة الخمر ويعلن حرمتها صريحاً .

تأثير الخمر على عملية التوالد :

ان قوة تأثير الخمر كبيرة جداً بحيث لا يأمن تأثيرها حتى النسل السابع شاربها ولو وضعنا نطفة شارب الخمر ـ حال انعقاد الجنين في الرحم ـ تحت المجهر فانه يمكننا ان نشاهد الاضطراب الشديد الحاصل فيها على أثر تهييج الخمر لها فهي بدلاً من الحركة العادية تتحرك حركة سريعة قوية .

ان الخمر كما يؤثر على مخ الأم يؤثر أيضاً على الجنين وان تأثيرها (على الجنيات الجنينية) يصل إلى حد لابدَّ لمعرفته من ملاحظة الأرقام الاحصائية التي تتحدث عنه :

فان هناك ١٪ فقط من أطفال المدمنين على الخمر يتمتعون بصحة جيدة كـاملة امـا الـ ٩٩ ٪ الآخـرون منهم فهم مبتلون بـأنـواع الأمـراض الجسميـة والروحية .

وطبقاً لاحصاء تمَّ من ملاحظة وضع ٣٥٣ طفلاً نشأوا في عوائـل تشرب الخمـر فقـد ظهـر أن ١٤٢ شخصـاً منهم هم مـرضى ومتسـولـون ومسـاكين و٧٤ شخصـاً يفقدون القـدرة البدنيـة و٧٦ شخصاً يسلكـون مسالـك اجـراميـة و٦١ امرأة احترفت مهنة الرقص » .

ويجب ان تعلم النساء الحاملات انه علاوة على الأضرار التي يصبن بها من شرب الخمر فان الجنين الذي في بطونهن ليس في مأمن من ذلك وحتى انه يجب ان لا يسلم الطفل إلى مرضعة تشـرب الخمر لان الحليب الـذي تعطيـه ممزوج بالكحول .

وللخمر أثر مباشر وضارٌ على الأعضاء التنـاسلية ولـذا فهو يهـدد سلامـة الأجيال الآتية وكنموذج لذلك نذكر الرقم التالي :

وفقاً لآخر احصاء قد ولد في أمريكـا سنة ١٩٦١م ٢٥٠٠٠ طفـل ناقص الخلقة .

هذا ويجب ان لا نغفل عن الأضرار الروحية لنشوء الطفل في بيئة موبوءة لعائلة سكيِّرة بالإضافة للتأثيرات المباشرة للخمر نفسها .

الأضرار الجسمية :

بشهـادة من العلم الحديث المنـظور فان الخمـر يؤثر على جميـع أنحاء البدن وخصوصاً الجهاز العصبي تأثيراً ضاراً ؛ فيرفع من ضغط الدم ، ويزيد من

خفقان القلب ، ويجعل التنفس صعباً ، ويكون سبباً لظهور « الگاستريت » الذي يسبب النزيف الحاد للمعدة وكذلك حدوث (السيروز) أو التّشمّع الكبدي الذي يحمل معه خطر الموت .

وللخمر رابطة كبرى مع ظهور السل ؛ وان احصاء وفيات مستشفى « كوت » بشيكاغو يوضح ان ٤٩ ٪ من المتوفين بالسل وعددهم ٣٤٢٢ شخصاً كانوا مدمنين بشدة في حين ان ٣٤ ٪ منهم كانوا معتادين عليها .

وتقول شركات التأمين على الحياة اننا عرفنا بالتجربة ان عمر المعتادين على الخمر هو أقل بمقدار ٢٥ ـ ٣٥ سنة من الآخرين .

وطبقاً لاحصاءات النشرة الفرنسية (آ . وتر . سانته) فان الخمر في فرنسا يقتل في ٢٦ دقيقة شخصاً وفي سنة ١٩٦٢ مات ١٤١٩٤ شخصاً لحصول التشمع الكبدي (سيروز) وهو مرض المبتلين بشرب الخمر .

ويمكننا ان نضيف إلى هذه الأرقام ، تلك التي تتحدث عن الوفيات التي تحدث بعنوان آخر ظاهراً لكن سببها الواقعي هو الخمر فمثلاً هناك .

٨٠ ٪ من المبتلين بسرطان المريء .

٧٥ ٪ من حوادث الطرق .

٣ ٪ من حوادث العمل .

كلها حدثت على أثر شرب الخمر .

تقول مجلة علمية أنه : « علم اليوم ان الخمبر ليس محركاً مركزياً للمخ بل هو مضعف لـ « دبرسور » فيه وحتى انه بمقدار متوسط من الخمر يمكن القضاء على الكفاية العلمية للشعور » .

والإعتياد المزمن يبعث على النشاط الديوباتى الكحولي وهو نقص قلبي

يبتلي به المرضى الكحوليون بالتدريج ويرفع الضغط الوريدي للعنق ويكبر الكبد ويحدث الاسيت فعلى أثره يحدث التقلص المرضي في الرجلين وقد تكون علة ظهور هذه العارضة المرضية نقصاً متابولياً وفي الواقع هو نوع من سوء التغذية الذي يبتلي به أغلب المرضى الكحوليين .

الخمر يخلق الجرائم :

يقول (ص) : « ان ملكاً من ملوك بني اسرائيل أخذ رجلاً فخيره بين ان يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزني أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وانه لما شربه لم يمتنع من شيء اراده منه (٤) .

نعم ان علم معرفة الاجرام أيضاً يعتبر الخمر ـ استناداً لاحصاء مهول ـ أساس الكثير من الجنايات ويعتبره بلاءً عظيماً في المجتمعات الصناعية والمتقدمة .

وقد ذكر عالم اسمه (هيوگر Hyuoger) في محاضرة له (بمناسبة الذكرى السنوية لتأسيس مجلة العلوم سنة ١٩٥٦) ذكر احصاء عن الجرائم الناشئة من الخمر في فرنسا بالنحو التالي .

٢٠ ٪ من جرائم السرقة .

٣٠ ٪ من الجرائم الخلقية .

٦٠ ٪ من القتل العمد .

٨٠ ٪ من الحريق المتعمد .

---

(٤) الغدير : ج٢ ص٢٥٧ .

٢٠ ٪ من انماط سوء القصد والتجاوز .

وبالتالي فان ٧٥ ٪ من النزاعات التي يصحبها ضرب وجرح كل ذلك ناشيء من الخمر والحالة التي توجدها [٥].

يقول الإمام الصادق (ع) ـ بعد ملاحظة كل الأضرار المهدمة للخمر « ان الله عزّ وجلّ جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب »[٦] .

الأضرار الإقتصادية والمالية :

ان شرب الخمر يوجه ضربة قوية للكيان الإقتصادي للشعوب لان المبالغ التي تصرفها العوائل التي تشرب الخمر إذا جمعت وتوفرت شكلت رقماً كبيراً يمكن ان تحل به الكثير من المشكلات المالية للعوائل أو تتوفر على الأقل مصاريف دراسة أبناء العوائل المتوسطة تقول المجلة السويسرية « گازت دلوزان في عدد فبراير ١٩٦٠) :

« ان الشعب الأمريكي في الربع الآخر من القرن الأخير صرف على المشروبات الكحولية أكثر من ضعفي المبلغ الذي صرفه على المؤسسات الثقافية التي بلغت ٠٠٠,٠٠٠,٩٠٠,١٨١ دولار[٧] .

والملاحظ للأسف ان الدول أيضاً تعني ـ طمعاً في الضرائب التي تجبيها ـ بتوسعة شرب الخمر دون ان تتوجه إلى الخزينة الضخمة التي تصرفها في مجال ترميم مفاسد الخمر ومتلفاته .

---

(٥) النشرة السابعة للكلية الطبية : ص٦٦ .

(٦) وسائل الشيعة : ج١٧ ص٢٥١ .

(٧) فوائد ومضرات مشروبات الكلى : ص١١٢ .

ففي كل سنة يصاب الإقتصاد البريطاني بلطمة تقدر بـ ٢٥٠ ميليون دولار نتيجة غياب العمال والموظفين الكحوليين وذلك لان ٢٥٠ ألف شخص لا يستطيعون مباشرة أعمالهم كالمعتاد في أول يوم بعد العطلة الأسبوعية لانهم سكارىٰ .

وفي سنة ١٩٥٥ كانت مدخولات فرنسا من الضرائب والمبيعات والجمارك والباندورل على المشروبات الكحولية قد بلغت ٦٢ مليارد فرنك فرنسي (قديم) في حين بلغت الخسارات الواردة ـ في تلك السنة ـ على الدولة والشعب نتيجة لاباحة الخمر مقدار ١١٢٥ مليارد فرانك قديم .

كان هذا نموذجاً من الأضرار الإقتصادية التي يوردها الخمر على الدولة والشعب مع الأخذ بعين الإعتبار الأضرار الكبرى الأخرىٰ التي تنتج من الخمر مثل ميزانيات السجون الثقيلة وميزانيات المستشفيات ومستشفيات الأعصاب وأمثال ذلك .

وليس أي قطر في أمان من هذه الأضرار ممّا يُبدي لنا بوضوح عظمة الكلام القرآني في مورد الشراب والقمار الذي جعل منافعهما لا قيمة لها أمام اضرارهما حيث يقول تعالى : ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فيهِمٰا إِثْمٌ كَبيرٌ وَمَنٰافِعُ لِلنّاسِ وَإِثْمُهُمٰا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمٰا﴾[8] .

ويتساءل البعض فيقول :

ان البدن يحتاج للكحول فهو ضروري له يومياً ؛ فلماذا صار الكحول حراماً ؟

---

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩ .

ونحن نقول : ان الاحتياجات البدنية تشبع بالأسلوب الطبيعي عن طريق الأغذية حيث ان البناء الداخلي يشبه مختبراً عظيماً يقوم بتوفير احتياجاته من (الحديد والنحاس وغيره) عن طريق المواد المتوفرة في الأغذية ثم يرسلها إلى مواضع الحاجة .

ترى هل ان العقلاء يحكمون ـ نظراً لاحتياج البدن للحديد أو أوكسيد الكالسيوم مثلاً ـ بان يأكل الإنسان برادة الحديد أو يشرب ماء أوكسيد الكالسيوم .

وعلى هذا القياس يشبع احتياج البدن للكحول بشكل طبيعي ولا مجال هناك لأي عاقل ان يشرب الكحول محتجاً بهذا الإحتياج ذلك ، لانه كما ان شرب ماء النورة له أثره المهلك فان شرب الخمر أيضاً مضر ومهلك ؛ أليس هناك الملايين من الناس الذين لم يقربوا الخمر مطلقاً مع ان أبدانهم تحتاج للكحول ؟ ولو لم يتم الإكتفاء الا بتوفير كمية من الكحول عن طريق شرب الخمر فلماذا نجد هؤلاء أحياء مع انهم لم يشربوها مطلقاً بل انهم أكثر سلامة من أولئك الشاربين وأطول عمراً .

ان مثل هذه الحجج انما يتذرَّع بها من خلت شخصياتهم من عناصر التماسك والإرادة والإيمان وليست مطلقاً بالتي تجيز شرب الخمر حتى ولو كان قليلاً ذلك ان الطبع الإنساني المستزيد من الشيء ما ان يجد السد أمامه متحطماً حتى يتطلب المزيد ، وما ان يشرب جرعة حتى ينجر إلى الهاوية ليصرخ : تعال يا صاح واغرقني في بحر من الخمر .

ينقل الإمام الصادق (ع) عن رسول الله (ص) قوله : « كل مسكر حرام فقال له أحدهم أصلحك الله كله ؟ قال : نعم الجرعة منه حرام[٩] وقال : ان

(٩) مستفاد من الوسائل : ج١٧ ص٢٥٩ .

الله حرم الخمر بعينها فقليلها وكثيرها حرام كما حرّم الميتة والدم ولحم الخنزير»[10] .

فهنيئاً لأولئك الذين لم يلوثوا بواطنهم الطاهرة الصافية الناصعة بمساوىء المشروبات المحرَّمة وقذرها وتحية للشخص الذي جرَّه الجهل والغفلة إلى هذه العادة الذميمة ولكنه صمَّم منذ الآن وبخطى ثابتة على ان ينقذ نفسه من هذه الوهدة ويعيد بدنه وروحه طاهرين نقيين .

---

(١٠) مستفاد من الوسائل : ج١٧ ص٢٥٩ .

الاسلام يحارب شرب الخمر

لماذا نجد البعض يميلون لشرب الخمر ، وما ان تحين لهم أدنى فرصة أو يجدوا أقل ذريعة يعقدوا مجالسها مع انهم يعلمون ان الخمر هروب ووهم شيطاني وان لها أضرارها المميتة ونتائجها القبيحة المشؤومة ؟

حتى اننا نجد بعض من تحدَّث وكتب عن أضرارها يلجأ إليها أحياناً .

إن علل الإنحراف نحو هذه العادة السيئة كثيرة بحيث لا نستطيع من هذه العجلة ان نأتي عليها كلها .

إن فقدان الإرادة عند هؤلاء وأحياناً جهلهم من طرف والخطط الإستغلالية الإستعمارية من جهة أخرى لها دخلهافي توسعة هذه العادة القبيحة .

إن هؤلاء اللصوص المجرمين ـ المستعمرين ـ يحاولون قبل كل شيء اطفاء نور العقل والبصيرة عند الأمة ومن ثم يقومون بنهب الذخائر والنفائس التي تمتلكها ، فكرية أو مادية أو معنوية بكل سهولة ويسر .

انهم يخدِّرون أفكار الناس بالمشروبات والسبل الأخرى حتى إذا ما عاش الناس البعد عن الواقع وغفلة السكر قاموا بنهب وجودهم واستغلالهم بكل اطمئنان خاطر وسلبوهم كل ما يملكون .

وقد رأى التاريخ مثل هذه الحيل كثيراً فمصير الأقطار الإسلامية كالأندلس

(= اسپانيا) فلسطين سورية وغيرها في عهد الإستعمـار الفرنسي والانكليـزي وغيره من الشواهد على ذلك .

والبعض من الناس على أثر الدعايات التي تنطلق من المراكز الإستعمارية الخفيـة ـ يعتبرون شـرب الخمر عـلامة على كـون الإنسان مثقفـاً تقدميـاً ولذا يشربونها اداءً لضريبة الثقافة !

والدين الإسلامي الحنيف الرائع مع اطلاعه الكامل على الأضرار الكبرى للخمر قام بمحاربتها بكل حد وبأساليب مختلفة :

١ ـ اعتبرها من القبائح الشياطنية المحركة للعداوة فحرمها ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلوٰةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[1] .

وقد لعن النبي (ص) عشرة أصناف لهم ارتباط مباشر وغير مباشر في أمر الخمر وهم :

١ ـ غارسها .

٢ ـ حارسها .

٣ ـ عاصرها .

٤ و٥ ـ حاملها والمحمولة إليه .

٦ و ٧ ـ بائعها ومشتريها .

٨ ـ ساقيها .

٩ ـ شاربها .

---

(١) سورة المائدة ، الايتان : ٩ ـ ٩١ .

١٠ ـ الآكل ثمنها .

ويقول (ص) أيضاً : « من أدخل عرقاً واحداً من عـروقه قليـل ما أسكـر كثيره عذّب الله ذلك العرق بثلثمائة وستين نوعاً من أنواع العذاب »(٣) .

٢ ـ تذكير الناس بأضرارها المعنـوية وبـالتالي منعهم عنهـا يقول الإمـام الباقر (ع) : « من شرب الخمر فسكر منها لم تقبل له صلاة أربعين يوماً فان ترك الصلاة في هذه الأيام ضوعف عليه العذاب لترك الصلاة »(٤) .

« وفي رواية أخرى ان صلاته توقف بين السماء والأرض فـان تاب ردت عليه وقبلت منه »(٥) .

ويقول النبي (ص) لعلي (ع) : « يا علي جعلت الـذنوب كلهـا في بيت وجُعِلَ مفتاحها شرب الخمر »(٦) .

وقد قال الإمام الصادق (ع) :

« من شرب جرعة من خمر لعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون وان شربها حتى يسكـر منها نـزع روح الإيمان من جسـده وركبت فيه روح سخيفـة خبيثة ملعونة »(٧) .

ونقـرأ في رواية أخـرى ان « مـدمن الخمـر يلقى الله يـوم يلقـاه كعـابـد وثن »(٨) .

وسر انتصار الإسلام في مجال المنع من الخمر وسائر المفاسد الأخلاقية

(٢ و٣) فروع الكافي الطبعة الجديدة ج٦ ص٤٢٩ ـ ٤٣٠ .
(٤ و٥) وسائل الشيعة ، ج١٧ ص٢٤٢ ـ ٢٦٣ .
(٦) نفس المصدر السابق ج١٧ ص٢٧١ .
(٧) نفس المصدر السابق ص٢٣٨ .
(٨) نفس المصدر السابق ص٢٥٤ ـ ٢٥٦ .

والحد من انتشارها بين اتباعه المؤمنين به حقاً هو استفادته من طاقة الإيمان ، اما المجتمع البعيد عن آفاق الدين الوضّاء والغارق في ظلمات الجهل والغفلة فانه لا يستطيع ان ينقذ نفسه من هذا الجحيم الحارق الذي يحرق وجوده .

٣ ـ ومن طريق الوقاية التي يستعملها الإسلام في هذا الأمر عقاب شارب الخمر وحدّه[٩] ثمانون جلدة ويكون اجراء الحد بان ينزع ثوبه وتستر عورته فقط ويضربونه بالسوط مع ملاحظة عدم ضرب الوجه والأمكنة الخطرة .

فإذا عاد إلى فعلته فعل معه نفس العمل اما في المرة الثالثة فانه يقتل في رأي أكثر الفقهاء[١٠] .

٤ ـ الموقف السلبي :

وللإسلام أسلوبه السلبي في مجال ايجاد التنفر الذهني والعملي من شاربها وذلك ليرى الشاربون أنفسهم أذلة وحيدين فينتهوا عن عملهم كما ان ذلك يعد انذارا للآخرين .

وفي هذا المجال يصدر الرسول (ص) أمراً يطلب فيه إلى المسلمين ان لا يعودوا شارب الخمر ولا يشيّعوا جنازته ولا يقبلوا شهادته ويرفضوا خطبته للنساء ولا يستأمنوه وفي رواية أخرى يطلب (ص) : « عدم تصديقه وعدم قبول شفاعته في شيء وهكذا ، كما انه يطلب في رواية أخرى ان لا يتزوج منه ولا يجالس »[١١] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « فان من زوّج ابنته شارب خمر فكانما

---

(٩) يضطلع على المقدار المحدد شرعاً من العقوبة على المجرم والذي لا يمكن التنازل عنه بانه (الحد) .

(١٠) شرح اللمعة الدمشقية ج٢ ص٣٥٠ باب الحدود (وقال بعض بانه يقتل في الرابعة) .

(١١) وسائل الشيعة ، ج١٧ ص٢٤٨ ـ ٢٤٩ الاحديث ٤ و٥ و٧ و٨ .

أقادها إلى النار »[١٢] .

وسئل (ع) عن المائدة التي يكون عليها الخمر فقال : « حرمت المائدة » وقال (ع) : « لا تجالسوا شرّاب الخمر فان اللعنة إذا نزلت عمت من في المجلس »[١٣] .

ويقول (ص) :

٥ ـ وقد أعد الله ـ كما بينت النصوص ـ عذاباً أليماً لشاربي الخمر في الآخرة وأنذرهم .

فعن الإمام الصادق روي انه قال : « وكان حقاً على الله عزّ وجلّ ان يسقيه من طينة خبال وهو صديد أهل النار وما يخرج من الزناة »[١٤] .

ويقول النبي (ص) : « ومن شرب الخمر في الدنيا سقاه الله الأساود ومن سم العقارب شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل ان يشربها . . . وان مات قبل ان يتوب كان حقاً على الله ان يسقيه لكل جرعة يشرب منها في الدنيا شربة من صديد جهنم »[١٥] .

ويقول (ص) : « ان شارب الخمر يموت عطشان ويدخل القبر عطشان ويبعث وهو عطشان وينادي ألف سنة واعطشاه فيؤتى بماء كالمهل يشوي الوجوه فينضج وجهه وتتناثر أسنانه وعيناه في ذلك فإذا شرب صهر ما في بطنه »[١٦] .

ويقول أيضاً : « ما شَرِبَ الخمر الا معلون في التوراة والإنجيل والقرآن »[١٧] .

---

(١٢) نفس المصدر السابق ج١٧ ص٢٤٩ .
(١٣) نفس المصدر السابق ج١٧ ص٢٩٩ .
(١٤ و١٥) نفس المصدر السابق ج١٧ ص٢٦٠ ـ ٣٠١ .
(١٦) مستدرك الوسائل ج٣ ص١٣٧ .
(١٧) نفس المصدر ج٣ ص١٣٩ .

ويقول الإمام الخامس صلوات الله عليه :

« يأتي شارب الخمر يوم القيامة مسوداً وجهه مدلعاً لسانه ، يسيل لعابه على صدره ، وحق على الله ان يسقيه من طينة بئر خبال »[١٨] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « شارب الخمر لا عصمة بيننا وبينه »[١٩] فلا علاقة لهم بهم (ع) .

كيف يمكن لشارب الخمر ان يتخلّص منها ؟

١ ـ ويعتبر تقوية الإرادة وتقوية أسس الإيمان في النفس ، أول طريق في هذا المجال .

فالمبتلى بهذا المرض الخطير يجب ان يعترف بان هذا العمل يخالف الدين والفضيلة والرجولة وله نتائج مهوِّلة ومن ثم يصمم بقوة على ان يتجنبه ، ويستمد من الله الإنتصار عليه ويدعوه تعالى كي يعطيه عزماً قوياً . ويخلو إليه تعالى في مناجاة متسامية في معزل عن الجميع ويسأله :

يا من خلقت من التراب شجراً وروضاً يانعاً خذ بيدي أيضاً وخلِّصني من تراب الذل هذا لكي أعاهدك على ان أكون طاهراً وسالماً ووجيهاً أعمل لسعادتي ولسعادة الآخرين ، ولا أقرب مطلقاً هذا السم اللعين .

فمتى ما عقد هذا العهد المقدس وجب ان يعلم ان هذا العهد مقدس لا معنى لنقضه ، وان نقضه يعني الخيانة وعدم الإرادة بل هو في هذا المجال مجال العهد مع الله ـ يعتبر غاية الجرأة وعدم الحياء .

نعم ليس هذا الأسلوب أمراً غير ممكن ، فاننا نعرف أناساً كانوا مدمنين

---

(١٨) وسائل الشيعة ، ج١٧ ص٢٣٧ .
(١٩) فروع الكافي ج٦ ص٣٩٨ .

على الخمر ادماناً غريباً بحيث انهم عندما لم يكن يتوفَّر لهم الخمر كانوا يلجأون للكحول الصناعي فيخلطونه بالماء ليشربوه ، هؤلاء ، على أثر حالة وعي وتوجّه لله تعالى صمَّموا بكل رجولة على ان يعودوا وتركوه ووفِّقوا لذلك .

٢ ـ الطريق الثاني هو أسلوب تذكُّر المضار الجسمية والنفسية والإقتصادية .

والحقيقة هي ان المؤسسات والأجهزة الطبية العالمية والمسؤولين عن الأمور الصحية في مختلف البلدان لم يكتفوا بمقرارت وتوصيات تصدر من مؤتمراتهم وجلساتهم وانما جهَّزوا حملة متواصلة ضد الخمر فانهم بذلك يكونون قد قدَّموا خدمة كبرى للسلامة البشرية ، والأخلاق ، والإقتصاد والأفراد جميعاً .

ولكنا ـ ويا للأسف ـ نجد ان هذا المعنى لا ينسجم والسياسة الإستعمارية للدُول الكبرى . . .

٣ ـ يجب التحوّط من الإختلاط بالأفراد المصابين بهذا المرض الخطير ، والتعويض عن ذلك بمسايرة الأفراد ذوي السلوك الحسن الطاهر اللائق . . . كما يجب الإبتعاد عن المجالس والحفلات التي يقدم فيها الخمر . . . ولتأثير هذه المجالس الضارة نجد الإسلام ـ كما رأينا من قبل ـ يمنع اتباعه حتى من الإشتراك في هذه المجالس .

وبهذا العمل يصان الإنسان من الإنزلاق إلى الهاوية ويوجب ذلك تنبيه الآخرين هذا بالإضافة إلى ان هذا التصرف يعني ان كل الأفراد يعلنون تنفرهم من شاربي الخمر ومجالسهم .

٤ ـ ومن جملة أساليب ترك الادمان الأسلوب الذي لا تنهض بثقله غالباً الا المؤسسات المنظمة ذات النفوذ ويتلخص في تصوير حالات الأفراد السكارى عندما يعربدون وعندما يتخبطون ويتلوون على الأرض وتسجيل

أصواتهم المختلفة وكلماتهم القبيحة المخجلة التي تصدر منهم بتلك الحال حتى إذا ما صحا هؤلاء عرضت عليهم صورهم وتسجيلاتهم . . . فان هذا الأسلوب سيؤثر قطعاً في كثير منهم وخصوصاً إذا ما اقترن عرض الصور بتوصيات ومواعظ قلبية أخوية .

٥ ـ كما انه يجب على الدول والأجهزة المتخصصة لمكافحة الخمر والادمان عليه ان تجعل في متناول يد المعتادين كل الطرق الممكنة والسهلة لترك الإدمان كالدواء والعلاج وإيجاد وسائل تشغلهم عنها وتوجيهات علمية طبية دقيقة . ومن الطبيعي انه يجب ان نلتفت إلى اننا يجب ان نعاملهم أثناء العلاج كمرضى لا كمنحرفين .

الفقاع أو ماء الشعير :

يصوِّر البعض امكان شرب الفقاع على أساس ان الكحول المتوفر فيه أقل من الكحول في الخمر أو ان الخمر هو الحرام اما الفقاع فليس كذلك لكنهم غفلوا عن ان أول خطر يهددهم بعد شرب الفقاع هو الإعتياد على الخمر إذ انه مع الشرب التدريجي للفقاع يتعود البدن على المقدار المتوفر فيه من الكحول ولانه لا يكتفي بذلك المقدار فهو يتطلب المزيد ولذا فهو يقود صاحبه إلى مواد تحوي كحولاً بنسبة أكبر ويجعله معتاداً عليها .

هذا بالإضافة إلى ان الكحول المتوفر في الفقاع (البيرة) ليس قليلاً فقد يصل إلى ١٢ ٪ وأضرار هذا المقدار على المعدة والامعاء لا يمكن التغاضي عنها .

وقد حرَّم الإسلام الحنيف الفقاع .

يقول الإمام الرضا (الإمام الثامن) (ع) في جواب مسألة عن الفقاع : « خمر مجهول يا سليمان فلا تشربه اما انه يا سليمان لو كان الحكم لي لجلدت

شاربه ولقتلت بائعه »[٢٠] .

ويقول عمار بن موسى سألت أبا عبدالله (ع) عن الفقاع فقال لي هو خمر[٢١] .

ويرسل شخص رسالة للإمام الرضا (ع) فيسأله عن الفقاع فيجيب (ع) : « حرام وهو خمر ومن شربه كان بمنزلة شارب الخمر »[٢٢] .

ويقول نبي الإسلام وقائده محمد (ص) : « كل شراب عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام »[٢٣] .

وما يبدو من هذا الكلام الحكيم ان كل شيء (سواء الفقاع أو غيره) يعمل مثل الخمر على الاسكار والغيبوبة عن الوعي فهو حرام وشربه ممنوع إسلامياً .

وختاماً نذكر للجميع بان المسلمين عليهم بحكم وظائفهم الدينية ولرضا الله القادر العليم ـ ان يحذروا شرب أي مسكر أو على الأقل تركه لمصلحة جسمهم وروحهم ان لم يكونوا ـ والعياذ بالله ـ يخافون عقاب الله ويستحون منه .

فان ترك الخمر حتى لأجل سلامة البدن له أجر وثواب مما يعبر عن اهتمام الإسلام الشديد بترك الخمر .

ولنقرأ معاً ـ في هذا المجال ـ هذه الرواية :

عن النبي (ص) في وصية لعلي (ع) قال : « يا علي من ترك الخمر لغير

---

(٢٠) فروع الكافي ج٦ ص٤٢٣ ـ ٤٢٤ .
(٢١) فروع الكافي ج٦ ص٤٢٣ ـ ٤٢٤ .
(٢٢) فروع الكافي ج٦ ص٤٢٣ ـ ٤٢٤ .
(٢٣) مستدرك الوسائل ج٣ ص١٤١ .

الله ، سقاه الله من الرحيق المختوم ، فقال علي (ع) : لغير الله ؟ ! فقال : نعم والله صيانة لنفسه فيشكره الله على ذلك »[٢٤] .

(٢٤) وسائل الشيعة ، ج١٧ ص٢٤٣ .

التخطيط والنظام في الحياة

الزّواج .

الإلتذاذ والتحلّل .

القمار لعبة تخديريّة .

قيمة العمل ومنزلة العامل .

أبي أمّي أقبّل يديكما ولكن لماذا ؟

نظرة البعد الواحد .

الموسيقى .

ان الفهرست المنظِّم للكتاب يسهِّل بلا ريب مطالعته والتعرف على مواده بسرعة .

وإن لم ينظِّم كلمات دوائر المعارف وقواميس اللغة على النحو الأبجدي مثلاً فانه من الصعوبة جداً العثور على المصطلحات والمواد المطلوبة .

والمكتبة المجهزة بفهارس دقيقة مرتبة حسب الموضوعات أو أسماء الكتب أو غير ذلك تعتبر أفضل هادٍ للمحققين والمطالعين .

وإذا امتلكت الدوائر أماكن للمحفوظات والاضبارات حيث ينظم وضعها بشكل معين فانها يمكن ان تقوم بتمشية أعمال المراجعين بسرعة ودقة .

وغفلة واحدة أو فوضى بسيطة جداً أو اشتباه صغير في حسابات اطلاق وهداية السفن الفضائية الكبرى من الممكن ان يؤدي إلى تركها حائرة في الفضاء البعيد .

ان النظام له دوره الكبير في توفيق الإنسان وانتصاره ، كما اننا لو نظَّمنا ساعات عملنا ونشاطنا ، وأوقات فراغنا واستراحتنا ومواردنا ومصارفنا المالية وجميع الأمور المادية والمعنوية على أسس صحيحة فاننا سوف ننعم بحياة مثمرة سعيدة في الدنيا والآخرة .

وإذا نظرنا بدقة وجدنا الكون من الذَّرة إلى المجرَّة تحت نظام كوني دقيق وهذا نفسه يشكل نموذجاً لنا نحن المخلوقات لكي نقوم بتنظيم حياتنا وكل أمورنا .

ان النظام العظيم الذي يحكم أرجاء العالم هو من الدقة والعظمة بحيث يخشع في مجاله العلم الحديث كلما تقدم خطوة في بحوثه والأهم من ذلك هذا الإرتباط والتلاؤم الخاص الذي وجد بين نظام الظواهر الصغيرة وغير المرئية والعوالم الكبيرة جداً في المجرات والكرات السماوية البعيدة وبين كل هذا والأحياء من جهة أخرى .

ان الأجزاء والكريات التي تصنع شيئاً (كقطرة الماء) تبدو تحت المجهر من الدقة والروعة المحيرة بنفس ما تبدو به النجوم والمجرّات بالتلسكوبات القوية .

ان العناية الدقيقة الفائقة ونظام الكرات والعالم ، وحركتها ودورانها ، والنظام في عالم الأحياء والنباتات ، وكذلك في وجود الإنسان وسلسلة أعصابه . . . كل ذلك يعبِّر عن ابداع رائع جداً في التكوين بحيث يتصور المرء ـ كما يقول الشاعر ـ العالم كله كوجه فيه العين والخد والخال والحاجب وغيرها فكل شيء في محله جميل جميل .

ان القرآن المجيد يقول : معبراً عن هذه الحقيقة ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[1] .

سر الإنتصار :

ان الموفَّقين من الناس قد نظَّموا حياتهم وفق مخطط دقيق فهم يتقدمون في الحياة ضمن أسلوب صحيح . وان الإنتصارات والمعطيات الكبرى التي

---

(١) سورة الرحمٰن ، الآية : ٥ .

حصلت عليها الأمم والرجال العظام في الماضي والحاضر في مجال الزعامة والقيادة ، والسياسة والعلم والفنّ وغير ذلك مرهونة لذلك التخطيط الدقيق ، والعمل المنظم في الحياة .

وهل يمكننا ان نتصور عظماء مثل (إبن سينا والبيروني ، والرازي والطوسي والفارابي وأمثالهم) قد وصلوا إلى هذه المقامات الشامخة بلا تنظيم وتخطيط في المطالعة والتحقيق والحياة ؟

أضرار الفوضى :

والواقع انه من الحمق بمكان ومن البعد عن المنطق والعقل ان نعتبر النظام نوعاً من القيود على الإنسان ونقول ان السعيد في الواقع هو الشخص المتحرر في حياته من كل قيد .

انه منطق المتكاسلين الخاملين الذي يلجأون إليه لتبرير تخلّيهم عن حمل المسؤولية الفردية والإجتماعية .

فليس هناك أي جيش ينتصر بلا تنظيم ، فكل نصر وتوفيق له على تخطيطه ونظامه .

وليس هناك أي مبدأ أو حزب يمكنه ان ينتصر بدون ان يكون له تصوّر منظم ودقيق وتشكيلات معينة ، أما الفوضى فهي الفناء والإنحلال .

ان عوامل التفرقة والقلق التي تنبع من الفوضى هي التي توجب ضياع الشيء وفناءه . وان نظرة إلى حياة رجال الله وقادة الدين العظماء تؤكد لنا بجد قبول هذه الحقيقة .

فهذا أمير المؤمنين (ع) الذي ابتلي برؤية النتائج السيئة للتشتت وعدم النظام في المجالين الفكري والعملي للمسلمين في عصره نجده في آخر سويعات عمره الشريف وعلى فراش الشهادة في آخر رسالة للعالم يدعو أبناءه

والمسلمين إلى النظام في العمل حيث يقول :

« أوصيكم وجميع وِلدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم »[٢] .

وإننا لنجد الرسول الأكرم (ص) ـ في الحروب الإسلامية وخصوصاً في بدر وأُحد يقوم بعمل تنظيم كامل للجيش الإسلامي بحيث يبدو الجيش القليل عدداً وعدة كبيراً في عين الأعداء من جهة ومن جهة أخرى فان العدو لا يجد منفذاً إلى هذا الجيش ينفذ إليه إلا وكانت سيوف المسلمين تسد عليه الطريق[٣] .

النظام في أوقات العبادة :

والآن لاحظوا النظام الدقيق للعبادات الإسلامية والأوقات الدقيقة والمنظمة للصلوات في الليل والنهار ، وأوقات الصيام في شهر مخصوص فإذا أفطر الإنسان مثلاً بدقيقة واحد قبل موعد الأفطار بطل صومه . . . وهكذا الوقت المخصوص للحج في شهر ذي الحجة وغير ذلك .

تُرى أليست كل هذه التنظيمات تنبيهاً للمسلمين لكي يقوموا بتنظيم حياتهم طبق هذا الأسلوب .

نحن نجد الكثيرين ومن الطبقات المختلفة يقولون : ماذا نفعل حتى نستطيع ان نتخلص من ثقل الدراسة ، أو الوظيفة ومشاكل الكسب وباقي مشاكل الحياة ومن ثم نستطيع ان نحضر المجالس الدينية البنّاءة أو محال العبادة ؟

وهم يؤكّدون أنهم لا يملكون فرصة كافية حتى للإستراحة والغذاء

---

(٢) الرسالة رقم ٤٧ نهج البلاغة طبع الدكتور الصالح ص٤٢١ .

(٣) كان التخطيط الحربي له (ص) في بدر واحد وفق التركيب المثلث ومثل هذا التخطيط بمثل هذا الشكل المنظم لم يكن مألوفاً ، الذى العرب .

والنوم ، ومتابعة أعمال البيت واحتياجاته والزوجة والطفل فكيف يمكننا ان نعطي الوقت الكافي للمسائل الأخرى مثل صلة الرحم ، والوفاء بالعهد وعيادة المرضى والسؤال عن المحتاجين وأمثال ذلك .

والواقع انّ هؤلاء لو كانوا قد نظّموا أوقاتهم تنظيماً حكيماً لاستطاعوا بلا ريب وتحت أيّة ظروف أو عمل ان يحصلوا على ساعات فراغ يمكنهم خلالها القيام بكثير من الأعمال وخصوصاً مطالعة الكتب المفيدة مثل القرآن الكريم ونهج البلاغة مطالعة واعية مدركة .

واننا نجد في طبقات الناس المختلفة نماذج كثيرة من الموفقين حقاً في حياتهم فهم طبق نظام خاص يلاحقون أعمالهم الحياتية بدقة وهم يحضرون في المحافل البنّاءة الدينية وغيرها كما انّ لهم برنامجاً خاصاً للمطالعة .

ان الطالب المنظّم يمكنه ان يطالع درسه في أوقات مخصوصة ويؤدّي وظائفه البيتية ، كما يمكنه ان يمتّع نفسه في أوقات أخرى وفي نفس الوقت يكون قد وفّر جزءاً من من وقته ليصرفه في المطالعة المفيدة .

وخصوصاً إذا كان ينهض سحراً فإن مثل هذا الطالب سوف لن يعيش الإضطراب والقلق أثناء الإمتحان بل يؤديه بشكل سهل مريح كما انه ليس خالي الوفاض من الثقافة الإسلامية .

والحقيقة ان حياة النبي العظيمة الرائعة تشكل درساً عظيماً لنا جميعاً فهو رغم كل الآلام والمشاكل يتحمل عشرات المسؤوليات فيبلّغ رسالة الله ويقود المسلمين في حياتهم الإجتماعية ويقودهم في معاركهم الحربية ويدافع معهم كجندي متقدم ويجيب احتياجات الناس الداخلية والخارجية كما انه يشبع الإحتياجات العائلية الخاصة به (ص) هذا بالإضافة إلى عبادته الشاقة لله تعالى .

ولكن هل كان يمكن كل هذا لو لم تكن هناك خطة وتنظيم في البيت ؟

ولقد كان أمير المؤمنين (ع) أيضاً يقسِّم اليوم والليلة إلى ساعات مُعيّنة ويقوم بشكل منظَّم بالعبادة والطاعة ، ومتابعة امور المسلمين ومعونة المحتاجين ، والعمل والنشاط (كالزراعة في البساتين والنخل ، والقيام بشؤون البيت وتربية الأولاد وغير ذلك فيؤدي الجميع اداء حسناً .

فمن اللائق بنا حقاً أن نعتبر حياتيهما نموذجاً كاملاً للحياة السعيدة .

كيف ننظم حياتنا اليومية ؟ :

يقول الإمام الكاظم (ع) (الإمام السابع) : « اجتهدوا في أن يكون زمانكم اربع ساعات : ساعة لمناجاة الله وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقاة الذين يعرِّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تخلون فيها للذّاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات »(٤) .

وإذا استطعنا أن ننظم حياتنا هكذا امكننا أن نجد الوقت الكافي لكل اعمالنا ، لاننا نستطيع بذلك أن نمنع من تضييع الوقت وفوات الفرص .

يكتب احد كبار مراجع الشيعة وهو المرحوم السيد محمد كاظم اليزدي قائلاً « توزيع الوقت توسيعه وتشتيت الوقت تفويته »(٥) .

التنظيم الفكري

من الواضح أن تنظيم الأعمال انما يبدأ من تنظيم الأفكار . فيجب أن نفكر أولاً بدقة ونرتِّب الافكار ثم ننزلها بنظام خاص إلى واقع التطبيق .

فمن لم تكن افكاره منظمة فانه سوف لن يكون منظماً في حياته وسائر اموره الشخصية والاجتماعية وهو بلا ريب يعيش القلق والاضطراب والتمزق في

(٤) تحف العقول طبع بيروت ص٣٠٢ .

(٥) الكلمة الجامعة والحكم النافعة آخر العروة الوثقى الطبعة الاولى الكلمتان ١٤ و١٥ .

أعماله . كما ان الفوضى في القول أو الكتابة معلوله للفوضى في الفكر .

وعليه ولأجل أن نكون منظِّمين في امورنا الفردية والاجتماعية لحياتنا ، ولأجل تحويل حياتنا الموزَّعة إلى حياة مترابطه قوية نحتاج إلى تنظيم فكري وتنظيم عملي صحيحين .

الفوضى في الدخل والصرف

كان القدماء يقولون : ينبغي الرثاء لحال من كان دخله تسعة عشر ومصرفه عشرين .

إن عدم التنظيم والتخطيط في الصرف يشكل الارضية التي تفكِّك العرى الحياتية وتجر البناء الاقتصادي الفردي والاجتماعي إلى الخراب والفقر والفوضى .

إن أكثر الناس لا يعلمون كيف يصرفون دخلهم أو يحققون الانسجام بين مدخولاتهم ومصروفاتهم ! فما اكثر ما شاهدنا افراداً رغم امتلاكهم دخلاً كبيراً يتحطمون وتتهشم حياتهم على اثر اللعب واللهو والحسد والمصارف التبذيرية الباطلة حتى بلغوا الحالة التي عدموا فيها الوسائل الضرورية للحياة .

في حين نجد افراداً لا يملكون إلا الحد الادنى للأجور يعيشون حياة ناعمة البال والخاطر متحركة نشطة وليس ذلك إلا لوجود برنامج منظم وحساب دقيق وتجنب للاضرار المالية والاسراف .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « ترك التقدير في المعيشة يورث الفقر »(٦) ويعتبر الإمام الباقر (ع) : « حسن التقدير في المعيشة » علامة على الكمال والرشد وليس مراده منه إلا الدقة والتنظيم والموازنة بين الدخل والصرف(٧) .

---

(٦) بحار الأنوار ، ج٧١ ص٣ .

(٧) وسائل الشيعة ، ج١٢ ص٤٢ .

والإمام الصادق (ع) يقـول في ذيل حـديث له[8] وينبغي أن لا يـظن أننا ندعو المسلمين لئلا يسعوا إلى تحسين أوضاعهم الحياتية وتوسعة مواردهم ، أو اننا ندعو إلى البخل والتضييق على العائلة في المعيشة . كـلا وإنما نقـول انه يجب محـاربة انمـاط النظر إلى الاخـرين بحسرة سلبيـة والتشريفـات الباهـظة المغلوطة التي أوجدها اعمدة الاقتصاد والراسماليون ليقعوا المجتمع حتى أذنيه في (الربا) نعم يجب محـاربة هـذه التشريفـات الباطلة البـاهظة التي تجعـل الشعوب عبيداً تابعين اقتصادياً ومستهلكين بشكلٍ أعمى للمصنوعات الكمالية الغربية .

وفي الحديث الذي مرَّ يقول الإمام الكاظم (ع) : « اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال ومٰا لا يثلم المروءة وما لا إسـراف فيه واستعينوا بذلك على امور الدين »[9] .

وهذا أمير المؤمنين (ع) يقول :

« للمسرف ثلاث علامات : يـاكل مـا ليس له ، ويشتـري ما ليس لـه ، ويلبس ما ليس له »[10] .

إن المنع من الاسراف في الأكل ولوازم الحياة واللباس يمكنه أن يجعل قـطراً وشعباً يـولد من جـديد ويقـطع كل ايـدي الاستعمار الممتـدة اقتصـاديـاً وسياسياًلكي يعتمد على موارده ويستغني عن الآخرين .

يجب أن لا نقع في تصور خاطىء فنتصور أننا ندافع عن الروتين الاداري الجاف الذي يمتص الاوقات والميزانيات كلا بل نحن نخالف ذلك وينفيه النظام

---

(٨) بحار الأنوار ، ج٧١ ص٣٤٩ .

(٩) تحف العقول طبع بيروت ص١٠٢ .

(١٠) بحار الأنوار ، ج ص٣٠٤ والوسائل ج١٢ ص٤١ .

الصحيح للأمور فإن الكثير من انماط هذا الروتين والتشريفات المغلوطة والنظم الجافة التي يبعث على تراكم الاعمال ويمنع من تقدم الأمور الشخصية والادارية ، فكل هذا يتغير في المجتمعات الواعية والمتقدمة ويفسح المجال للنظام الصحيح الخالي من التعقيد .

بل إن النظام الصحيح غير المعقد قد يستوجب ان نفقد راحتنا واستراحتنا بل وحتى نفوسنا احياناً فنجعلها فداء للآخرين . فمثلاً نجد طبيباً يعمل ساعات معينة في عيادته أو في المستشفيات الرسمية يواجه في نهاية الوقت أو خارجه مريضاً مشرفاً على الموت ولكنه لا يكترث له بحجة انتهاء دوامه وان الدائرة أو المستشفى معطلة ، فهو بالتالي لا يهمه امر المريض !! مثل هذا النظام خيانة فضلاً عن كونه ليس بنظام حقاً .

ومما يؤسف له حقاً ان نشاهد بعض الاطباء المعالجين يتركون اماكن عملهم بأدنى عذر وحتى في ساعات عملهم ويبقى المرضى خلف أبواب المستشفيات وغيرها ساعات بل أيام حيارى ولربما فقد البعض منهم حياتهم .

أن النظام يجب أن لا يركز فقط على كيفية جلب الدخل الاكبر والتأمين المادي بل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار التأمين المعنوي والمسائل الانسانية والاخلاقية حيث يجب أن تشكّلا روح أي نظام .

ليس الإنسان آلة فقط ، يعمل ، ياكل ، ثم يستريح ليجدد القوى كلا بل هو انسان قبل كل شيء فيه بحر من العواطف والاحساسات والميول والحاجات الروحية والمعنوية . . . وإذا اضفنا إلى ذلك أن هذا الإنسان لم يخلق لهذه الحياة بل هو يكدح ويسير نحو حياة فسيحة لا نهائية أي نحو الآخرة حيث يعيش إلى الابد فيها ويكون سلوكه وعمله في هذا العالم محدِّداً لوضعه وحالته في عالم الآخرة .

وعليه فكما نحتاج لاشباع الاحتياجات الجسمية نحتاج للإجابة على

تساؤلات العواطف والاحتياجات المعنوية والانسانية ضمن التخطيط التنظيمي للحياة .

إن هذف الإسلام من النظام يعبر عنه نمط تنظيمي يستطيع أن يشبع الحاجات الدنيوية المادية الخاصة كما يستطيع أن يقوم بالواجبات الانسانية والمعنوية والاخروية فلا يضحِّي لاي منها في سبيل الآخر .

يقول الإمام السادس (ع) :

« ليس منا من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه »[١١] .

ونحن نعلم ان الدنيا ـ في نظر الإسلام ـ حياة منقضية سريعة الانقضاء وانه يجب على المسلمين في هذه الفرصة القصيرة (العمر) ان يسعوا لتأمين الحاجات المادية وتحسين الحياة في الدنيا وأن لا يغفلوا عن العالم الآخر ـ الذي هو الهدف الأصلي من الحياة ـ فيبذلوا له قصارى جهودهم ويستفيدوا من دنياهم لآخرتهم .

وان الوصول إلى هذين الهدفين خلال هذه الفرصة السريعة للمؤمن لا يتم إلا وفق تخطيط وتنظيم دقيقين .

ومن هنا فإن الروايات الاسلامية تدفع المسلمين للكسب والتجارة والحرفة لكنها تمنع المسلمين من الحرص في جمع المال والثروة وتأمر بأن يكون الكسب باسلوب حلال ولائق مع تبكير في طلب الرزق[١٢] .

وقدقال قادتنا : « ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن اليها »[١٣] .

---

(١١) من لا يحضره الفقيه ج٢ طبع النجف سنة ١٢٩٠ (هـ .ق) ص٩ .
(١٢) الوسائل ج١٢ ص٣ و٤ وص ٢٧ .
(١٣) نفس المصدر السابق ص٣٠ .

أي كن معتدلاً في مسيرتك لئلا تبتلي بالافراط من جهة أو بالكسل من جهة اخرى .

* * *

وينبغي أن نذكر هنا ، ان ما قرأناه إلى هنا من (آثار النظام والتدبير لصناعة حياة افضل) لا يتنافى مطلقاً مع التوكل . إذ ان المفهوم الحقيقي للتوكل ان يبذل الإنسان المسلم كل طاقاته ويلاحظ بكل تخطيط ما سوف يمر به العمل من مقدمات وعلل وأسباب ظاهرية ويهيّئها لذلك ثم يحسب النتائج وبالتالي يعتمد على الله الذي يؤمن به وبنصره فيدخل ساحة العمل تاركاً التردد والاضطراب والقلق والوساوس للحوادث الاحتمالية فهو « يعقل ويتوكل » حيث قيل (لا تغفل في التوكل عن السبب) .

نعم عندما يكون قد لاحظ مسيرة العمل ومعداته ووسائله وهيّأها جميعاً فإنه يقدم عليه متوكلاً على الله تعالى .

﴿ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[١٤] .

---

(١٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

الزواج

يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر واحصن للفرج .

الرسول الأكرم (ص)[1]

الشباب والتفتح الغريزي

بحلول ربيع البلوغ وتفتح ورود الشباب ، يحدث في نفس الشباب والفتيات احساس داخلي مجهول بالنسبة للجنس الآخر . . . وبموازاة نمو القوى الجسمية يقوى ذلك الاحساس وبالتالي يبدو بشكل ميل وحاجة نفسية حتمية شديدة . . . هذه الغريزة القوية هي نفسها الغريزة الجنسية .

دور الغريزة الجنسية في الجسم والروح

ينبغي أن نعلم

١ ـ ان هذا الميل ليس فقط لطلب اللذة . بل إن الله تعالى جعله بحكمته وسيلة للإنجاب والتكاثر وبقاء النوع الانساني فإن لم تكن هذه الجاذبية في الانسان لم يجد داعياً لأن يرتبط برابطة الزواج مع الجنس الآخر . . . وبهذا

---

(١) مستدرك الوسائل ج٢ ص٥٣١ ح٢١ .

ينجرُّ النسل البشري إلى الفناء .

إن حلاوة هذا الجذب تدفع الرجل والمرأة ليتحملا مصاعب الحياة الزوجية ومسؤولياتها المختلفة .

٢ ـ إن الغريزة الجنسية حاجة طبيعية إن لم تشبع اشباعاً صحيحاً فإن من الممكن أن يكون لها الاثر السيء في الروح والبدن وتعادل الغرائز خصوصاً في هذا الزمان الذي تنتشر فيه وسائل التهييج وموجبات التحريك وإثارة هذه الغريزة بشكل اكثر من غيره من الازمنة .

وعليه ينبغي بالنظر لأهمية هذه الغريزة أن ينتخب سبيل في مجال اشباعها يجعلها عاملاً مؤثراً في مسيرة التكامل الانساني .

والمسلَّم : انه لا يمكن غض النظر عن هذه الحاجة الطبيعية وعدم الاعتناء بمتطلباتها . كما انه لا ينبغي القضاء عليها لأن دوام النوع الانساني مربوط بها . في حين انه لا يمكن تركها بلا قيد ولا شرط حرة طليقة تؤثر ما تشاء إذ انها تُخرج الانسان والمجتمع عن الطريق الصحيح والحياة الانسانية وتجرّه إلى مهوى أخلاقي سحيق . . . وليس السبيل الصحيح إلا الزواج والزوجية .

وقد تصوَّر البعض غلطاً انهم إن كبتوا الغريزة الجنسية في وجودهم وعاشوا حالة العزوبة والتجرُّد فعلوا فعلاً حسناً لائقاً وحتى انهم يعتبرون التجرد والعزوبة فضيلة كبرى .

في حين ان الاسلام لا يرى هذا عملاً لائقاً ويطلب من المسلم أن يكمل فضائله الروحية والمعنوية في ظل الزواج فينعم بلذائذه ، ويربي الاولاد ويتحمل مشكلاتهم ولهذا لا يرى التجرد والامتناع عن الزواج عملاً مقبولاً ، ويطلب إلى الجميع أن يتزوجوا ويجعل الزواج أمراً مستحباً[٢] .

(٢) يراجع باب النكاح في الكتب التالية (جواهر الكلام) (الحدائق الناظرة) (العروة الوثقى) .

وعليه فإن الإسلام والقرآن لا يقبل مطلقاً معتقدات المسيحية في مورد الزواج اتباعاً لانجيل متى[٣] ورسالة بولس (كوزنتيان) ومجلس (الويرا) . حيث يرى الامتناع عن الزواج هو الأفضل .

وهناك فريق من الكاثوليك اسمه (الفريق الديني) يزعم انه لأجل الوصول إلى المقام المقدس والتقوى يجب غض النظر عن اللذة الجنسية[٤] .

وفي الكنائس الغربية نجد القساوسة والرهبان والراهبات ينذرون أن يبقوا مجردين عن الزواج ولا يتزوجوا . وكذلك نجد في الكنائس الشرقية أن الاساقفة تقريباً إنما ينتخبون من رجال الدين الذين لم يتزوجوا ، وليس للقساوسة حتى الزواج بعد وصولهم إلى مقامهم وإذا كان البعض قد تزوجوا سابقاً ثم ماتت زوجاتهم فليس لهم حق التزوج مرة ثانية[٥] . . . ولكن مسألة التزامهم بعزوبتهم، وإلى أي مدى وصلوا في تقواهم وسعيهم إلى المقام المقدس . . وما هي الاثار السيئة التي ترتبت على هذا المنع ؟ هذه المسألة لا تحتاج إلى بحث وهي خارجة فعلاً عن موضوعنا .

وما نريد التأكيد عليه وهو أن الإسلام لا يرى الزواج بشروط منافيا لحبِّ الله والمقام المقدَّس والتقوى بل يريد المسلم أن يحصل على فضيلته الروحية في الزواج ومشاكله .

ارضاء الغريزة من وجهة نظر المتطرفين

سلك البعض من أمثال (فرويد) ومن هم على شاكلته سبيل التطرف وجوَّزوا الحرية المطلقة للغريزة والفحشاء ، والتحليل للمجتمع .

(٣) انجيل متى الباب ١٩ ص٣٢ الاصحاح١١ ، والاصحاح١٢ .

(٤و٥) مترجم (المذهب الكاثوليكي) (ادوارد ك ـ تيلور) نشر مركز التحقيقات ص١٥٣ ـ ١٥٤

وهؤلاء إما أنهم لا يعرفون المفاسد العظمى المهلكة للتحلل والتطرف في اشباع الغريزة الجنسية ، وإما أنهم يقصدون عن شعور لتنفيذ مخطط مشؤوم لتسميم الأمم وخصوصاً لإفناء وجود الشباب المسلم .

لاحظوا بدقة

إن قادة الصهيونية يصرِّحون في مجال شرح سياستهم العالمية بأنه :

« من اللازم علينا ، أن نسعى بصورة اشد في مجال توسع الفساد الاخلاقي في كل مكان ، لكي نستطيع أن نمسك ازمة الامور بأيدينا . . . إن فرويد منا وهو ما زال ينشر المواضيع الجنسية بصراحة ووضوح لئلا يبقى شيء مقدَّس في أذهان الشباب ، ولا يبقى لهم تفكير إلا بالغرائز الجنسية فيفقدون بالتالي انسانيتهم »(٦) .

واشتباه اولئك الذين قلَّدوا افكار فرويد يكمن في انهم تصوروا ان اشباع الغريزة إشباعاً مطلقاً يستطيع أن يهدى منها . بعد أن رأوا كبتها وعواقبه السيئة فظنوا أن أي قيد للغريزة الجنسية يجرها إلى العصيان والانحراف فيجب اطلاقها على حريتها وفسخ المجال للرجل والمرأة ان يتَّصلا بأي شكل يشاءان . . . إلا أنهم لم يلتفتوا إلى أنه كما أن الكبت المطلق يخلق العقد النفسية والانحراف فإن الحرية المطلقة توجب الانحراف والنكبات .

وليس هذا سراً مخفياً بل هو حقيقة واضحة تجد نتائجها فعلاً في المجتمعات الشرقية والغربية بوضوح .

وقد نجد أحياناً أيضاً بعض الافراد المتحللين لا يستطيعون أن يشبعوا كل متطلباتهم فتكون غريزتهم قد كبتت باكثر وأشد ويبتلون بعقد اعمق واسوأ من غيرهم .

---

(٦) بروتوكولات حكماء صهيون

وعليه ولأجل الحصول على الراحة الجنسية نحتاج الى التخلص من الافراط والتحلل في اشباعها .

ـ ارضاء الغريزة من وجهة نظر الإسلام :

بملاحظة كل الاحتياجات الواقعية والفطرية ومع التوجه لكل المصالح الفردية والاجتماعية سلك الإسلام ـ لارضاء الميل الجنسي ـ طريقاً يبتعد بالانسان عن مفاسد الكبت والحرمان والعقد الناشئة منه كما يتخلص من النتائج السيئة والتحلل .

فالإسلام من جهة يمنع الإنسان من العزوبة والتجرد والتقوقع والإنعزال عن المجتمع ومن جهة اخرى ولارضاء الميل الجنسي في حد الحاجة الطبيعية يقترح الزواج بل يوجبه حيث يوجد خطر الإنحراف وطغيان الغريزة .

العزوبة في نظر الإسلام

إن الإسلام ليس فقط لا يحبذ التجرد والعزوبة بل يعتبر ذلك أمراً يلام عليه صاحبه بشدة فيقول الرسول الأكرم (ص) : « خيار امتيَ المتأهلون وشرارهم العزاب »[٧] . ويقول عبد الله بن مسعود : « كنا نغزو مع رسول الله (ص) ليس لنا نساء فقلنا الا نستخصي فنهانا عن ذلك »[٨] .

وإذا توجّهنا إلى أخطار كبت الغريزة والعواقب السيّئة التي تعقبه ـ وقد أشرنا إليها فيما مضى ـ تتوضح قيمة هذه النظرية .

الرهبانية في الإسلام

لقد ذم الإسلام (الرهبانية) أي ترك الدنيا ولذتها وخطرها فيجب على

(٧) بحار الأنوار ، ج١٠٣ ص٢٢١ .
(٨) صحيح مسلم ج٤ ص١٣٠ .

المسلمين تجنبها فقد قال (ص) (ليس في امتي رهبانية . . .)[٩] .

وقد سمع رسول الله (ص) أن عثمان بن مظعون يصوم النهار ويقوم الليل فخرج (ص) مغضباً يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي فانصرف عثمان حين رأى رسول الله (ص) فقال له : يا عثمان : لم يرسلني الله بالرهبانية ولكن بعثني ـ بالحنفية السمحة اصوم واصلي وألمس فمن أحب فطرتي فليستن بسنَّتي ومن سنَّتي النكاح[١٠] .

الزواج في الإسلام :

وقد جاءت النصوص الاسلامية لتشوق الناس للزواج وكنموذج لذلك تلاحظ الآية القرآنية الشريفة :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ انفُسِكُمْ اَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا اِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً . . . ﴾[١١] .

فالزواج في نظر القرآن ليس فقط امراً غير سيِّىء بل هو وسيلة للسكون ومنبع للمحبة . والحقيقة أن سكون الزواج إنما يشعر به من نال عذاب الوحدة واضطراب العزوبة واطلع على النفس المضطربة الهائجة للشباب الأعزب .

يقول (ص) :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباة فليتزوج فإنه أغض للبصر

(٩) البحار ج٧٠ ص١١٥ .
(١٠) وسائل الشيعة ج١٤ ص٧٤ .
(١١) سورة الروم ، الآية : ٢١ .

واحصن للفرج »[١٢] .

ويقول أيضاً : « من تزوج احرز نصف دينه »[١٣] .

نعم . . . حينما تضبط الغريزة الجنسية بالزواج ، وتسكن الروح الهائجة للشاب وتعتدل فانه يدرك حقائق الحياة بشكل اكمل ويخطو بخطوات اسرع في سبيل الدين والسعادة ولأجل الوصول إلى هذا الهدف يلزم على الجميع أن يقوم بالتعاون الاجتماعي بتهيئة وسائل الزواج وشرائطه ليستطيع الشباب أن يحصلوا على شبابٍ نشطٍ خي ، ويستنشقوا عطر المحبة في احضان السعادة . . . لكي تمطرهم الرحمة في ربيع شبابهم فلا تتلوث طهارتهم بقذارة الذنوب ، ولكي لا تغرق روحهم في ظلمات الغم والحيرة ولا تلجأ عيونهم إلى الانحراف . . . لئلا يخمد نشاطهم ولا تتحول حرارتهم إلى نار محرقة .

مشكلات الزواج وطرق حلّها

ـ في سنة ١٩٦٣ ولد ٢٥٠ ألف طفل غير شرعي في امريكا .

ـ في سنة ١٩٦٩ طبقاً للإحصاء الاخير في امريكا فقد الكثير من طالبات المدارس بكارتهن ولجأن إلى التحلل .

ـ وفي المانيا حاولت خمسة ملايين بنت الانتحار بسبب عدم تزوُّجهن .

ـ وفي فرنسا يوجد سبع اطفال غير شرعيين من كل مائة طفل

(١٢) مستدرك الوسائل ج٢ ص٥٣١ ج٢١ .
(١٣) وسائل الشيعة ج١ ص٥ .

يـولـدون ، وفي انجلترا تكون النسبة واحد إلى عشـــرين وقد حـدثت في لندن خلال سنة خمسة الآف حالة إجهــاض وفي السويد التي يسكنها سبعة ملايين نسمة يولد في كل سنة (١٧ ألف) طفـل غير شـــرعـي وهكذا . . . ومن البديهي انه لو ارتفعت موانع الزواج واختـار الشباب والفتيـات الزواج في وقت اسرع فإن مثل هذه الفجائع ترتفع أو تقل ـ على الأقل ـ ، وكما يقول ويل دورانت انه لو وُجِدَ سبيلٌ لحدوث الزواج في السن الطبيعي له فإن الفحشاء ، والأمراض الفتاكة ، والوحدة العقيمة ، والعزلة غير المطلوبة والانحرافات التي لوثت الحياة المعاصرة تتقلل إلى النصف .

مشكلات الزواج

١ ـ المشكلة الاقتصادية وعدم الدخل الكافي .

في عالمنا اليوم توجد هوَّة بين البلوغ الجنسي والبلوغ الاقتصادي ونفس هذا الأمر يوجب وحشة الجيل الشاب من الزواج فيتصورنـه غولاً ويقف الثقـل الاقتصادي سداً أمام زواج الشباب في حالة الحاجة إليه .

إن النمو الجنسي يتم بسرعة كالسابق في حين نجد النمو الاقتصادي يتم في وقت متأخر ، وتأخير الزواج امر صعب وغير طبيعي وهكذا نجد شعل الشهوة تضطرم تساعدها في اضطرامها عوامل البيئة الاجتماعية الفاسدة وحينذاك يكون كف النفس مشكلا .

ومن هنا فنحن نوصي الشباب بتقليل توقعاتهم في الحياة وان يعلموا انه ليس هناك من استطاع في أول شبابه أن يرفع كل احتياجاته ويحقق كل توقعاته . نعم يجب ملاحظة واقعيات الحياة وكسر قيد التشريفات الكمالية الزائدة ، وعدم الاكتراث بما فعل الآخرون ، وعدم التقليد الخاطىء فإذا احسّوا بأن الشـرائط

الاولية المعقولة للزواج قد توفرت اقدموا عليه بكل اطمئنان خاطر .

يقول القرآن الكريم :

﴿ وَانْكِحُوا الْاَيامىٰ مِنْكُمْ وَالصّالِحينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَاِمائِكُمْ اِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّهُ واسِعٌ عَليمٌ ﴾(١٤) .

٢ ـ ارتفاع قيمة مصاريف الزواج

والمشكلة الأخرى هي ارتفاع قيمة مصاريف الزواج ، كارتفاع المهور ، والتوقعات السخيفة ، والقيود المصطنعة للنساء واولياء الأمور والتشريفات التي قيَّدوا بها الزواج كل ذلك جعل الشاب ينظر بحذر إلى الزواج ويقلِّل من أمله فيه . ولكن من هو المسؤول عن هذه السنن المغلوطة .

من المناسب ان تستمع الفتيات والأباء والامهات إلى رسالة الرسول الأكرم (ص) لهن ويعرفوا الواقع تبعاً له (ص) ويتخلصوا من مشتهيات نفوسهم التافهة :

يقول (ص) :

إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه وإلاّ تفعلوه تكن في الارض فتنة وفساد كبير(١٥) .

ويقول ايضاً : « أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً واقلهن مَهْراً »(١٦) .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « من بركة المرأة خفة مؤونتها »(١٧) .

---

(١٤) سورة النور الآية ٣٢ .

(١٥) وسائل الشيعة ج١٤ ص٥١ .

(١٦و١٧) وسائل الشيعة ج١٤ ص٧٨ .

الكفاءة والتساوي في الشأن :

ويعتبر الخطأ في فهم الكفاءة إحدى علل التوقعات السخيفة والتشريفات المغلوطة . فما اكثر تصورات الناس عن مسألة الكفاءة والتناسب مع الشأن وهي تصورات مغلوطة غافلين عن ملاك الكفاءة الواقعي .

فالبعض يقولون : كيف نزوِّج بنتنا ؟ انه لم يـأتِ الرجـل المثالي الـذي يتناسب شأناً معنا من حيث الحياة والثروة والمقام والعشيرة والوسائل اللازمة .

والاخرون الذين ضاقوا ذرعاً بكل هذه القيود يلقون الذنب على المجتمع غافلين عن حقيقة اننا أنفسنا نكون هذا المجتمع .

أما الكفاءة في الإسلام فليست التساوي المالي والمقامي وباقي الجهات المادية الاخرى بل انه التقارب الديني والاخلاقي .

فهـذا جويبـر وهو رجـل من أهل اليمـامة ويتشـرف بحضرة النبي (ص) ويحسن اعتقاده واسلامه ، ولانه كان رجلاً قصير القامـة ، محتاجـاً ، عاريـاً ، اسود البشرة قبيحاً فإن الرسول (ص) كان يسليه كثيراً وكان ينام في المسجد بأمر منه (ص) .

وبالتدريج ازداد عدد المهاجرين والغرباء الذين لا ملجأ لهم ولا منام لهـم إلا في المسجد فجاء الوحي يطلب من النبي (ص) أن يسكنهم في مكان آخر غير المسجد ، فعمل (ص) بأمره تعالى وامر ببناء محل مستقل أسميَ بعد ذلك (الصفة) وأُسميَ اولئك باصحاب الصفة .

وفي يوم من الايام نظر النبي (ص) برأفة ورحمة وذهب الى جويبر واقترح عليه ان يختار زوجة . . .

قال جويبر . . . يا رسول الله بأبي أنت وامي من يرغب فيّ فوالله مـا من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال فأية امرأة ترغب فيَّ ؟

فقال له رسول الله (ص) : يا جويبر إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً وشرف بالإسلام من كان في الجاهلية وضيعاً وأعزّ بالإسلام مَن كان في الجاهلية ذليلاً ، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسق انسابها فالناس اليوم كلهم أبيضهم واسودهم وقرشيهم وعربيهم من آدم وان آدم خلقه الله من طين . وان احب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة اطوعهم له واتقاهم وما أعلم يا جويبر لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلا إلا لمن كان أتقى للّه منك واطوع .

ثم قال له انطلق يا جويبر إلى زياد بن لبيد فانه من اشرف بني بياضة حسباً فيهم فقل له اني رسول رسول الله اليك وهو يقول لك : زوج جويبرا ابنتك الذلفاء .

فانطلق جويبر برسالة رسول الله (ص) إلى زياد بن لبيد وهو في منزله وابلغه رسالة النبي (ص) .

فقال زياد : ارسول الله ارسلك الي بهذا ؟ فقال له : نعم ما كنت لأكذب على رسول الله (ص) . فقال له زياد : إنا لا نزوج فتياتنا إلا أكفاءنا من الانصار فانصرف يا جويبر حتى القى رسول الله (ص) فاخبره بعذري فانصرف جويبر وهو يقول : والله ما بهذا نزل القرآن ولا بهذا ظهرت نبوة محمد (ص) فسمعت مقالته الذلفاء بنت زياد وهي في خدرها فارسلت إلى ابيها ادخل الي فذخل اليها فقالت له : ما هذا الكلام الذي سمعته منك تحاور به جويبر ؟ فقال لها : ذكر لي ان رسول الله (ص) ارسله وقال : يقول لك رسول الله (ص) ، زوِّج جويبرا ابنتك الذلفاء ، فقالت له : والله ما كان جويبر ليكذب على رسول الله (ص) بحضرته فابعث الأن رسولاً يرد عليك جويبراً فبعث زياد رسولاً فلحق جويبرا فقال له زياد يا جويبر مرحباً بك إطمئن حتى أعود اليك . ثم انطلق زياد إلى رسول الله (ص) فقال له : بابي أنت وامي ان جويبرا اتاني برسالتك وقال ان

رسول الله (ص) يقول لك : زوج جويبرا ابنتك الذلفاء فلم الن له بالقول ورأيت لقاءك ونحن لا نتزوج إلا اكفاءنا من الأنصار فقال له رسول الله (ص) : يا زياد جويبر مؤمن والمؤمن كفو المؤمنة ، والمسلم كفو المسلمة فزوِّجه يا زياد ولا ترغب عنه فرجع زياد واخبر ابنته فطلبت منه بكل ايمان ان ينفذ ذلك وقالت له : إنك إن عصيت رسول الله (ص) كفرت فزوج جويبرا .

فخرج زياد فاخذ بيد جويبر ثم اخرجه إلى قومه فزوجه على سنَّة الله وسنَّة رسوله (ص) وضمن صداقه . . . ولما لم يكن يملك منزلاً فقد أهدى له منزلاً ، وبدأت الذلفاء معه حياة جديدة مطمئنة »(١٨) .

وهنا يجب أن لا ننسى ان أولئك الذين يتصورون أن كون مدة الدراسة طويلة يوجب تأخير الزواج ويمنع من حصوله مبكراً هؤلاء في اشتباه وغلط .

إذ أن الزواج ليس فقط لا يؤثر على الدراسة بل انه يمنح الراحة والطمأنينة فيساعد على الدراسة وادامتها .

وما يقال : من انه ما لم يحصل الشاب على الشهادة وما لم يوظف في عمل أو وظيفة ويحسن اوضاعه المالية لا ينبغي له الزواج كل هذا يعتبر كلاماً بلا مبرر ولا اساس له .

ذلك اننا قلنا ان الموانع الاقتصادية اكثرها وليدة السنن المغلوطة والمصطنعة . فإذا عملت العوائل باوامر الإسلام وقللت توقعاتها ورفعت اليد عن الخرافات والنظر للآخرين يصبح الزواج الذي يبدو الآن للشاب امراً مخيفاً ـ يصبح امراً سهلاً بسيطاً مقبولاً .

وبتعبير أوضح إذا رفع الطلاب ايديهم عن المتطلبات التافهة الخرافية الموهومة ، وإذا قلل الاباء والامهات من مستوى مصروفات الزواج وتوقعاته التافهة

---

(١٨) مقتبس من فروع الكافي ج ص٣٤١ .

بعد معرفتهم لآداب الإسلام الصحيحة والرسوم الواقعية للدين فإن طريق زواج الطلاب سيتعبد بنفسه بحيث يمكنهم ان يتزوجوا اثناء فترة الدراسة .

الزواج بلا تشريفات العرس

والحل الآخر لزواج الطلاب هـو أن يتم ـ بعد انتخـاب الزوجـة ـ العقد الشرعي والعرفي أما مراسم العرس فهي تؤجل إلى نهاية الـدراسة فهم بـالتالي يتخلصون من طغيان الغرائز والانحرافات الناشئة خلال مدة الدراسة .

الزواج الموقت

والطريق الآخر المفتوح لاولئك الذين لا يستطيعـون ان ينتخبوا من الآن شريك حياتهم ، أو أن الزواج بالشكل الذي بيّناه غير مقدور لهم هـو « الزواج الموقت » .

فلأجل أن لا يخرج الشاب عن إطار العفّة ولا يفقد نظافتـه في الأزمات الشديدة يقترح الزواج المـوقت وهو طـريق شرعي مشـروع يمنعه من الـروابط الباطلة غير المشروعة . ويخلّصه من نتائجه المهلكة .

يقـول الإمـام علي (ع) « لـولا أن عمـر نهى عنّـا المتعـة مـا زنى إلا شقي »(١٩).

وقد قبل العالم اليوم (الزواج الموقت) فيقول برتراند راسل بعد مراجعة المشكلات الجنسية لمرحلة الشباب :

وإنمـا الرأي ان تسمـح القوانين في هـذه السن بضرب من الـزواج بين الشبـان والشـابـات لا يؤودهم بتكـاليف الأسـرة ولا يتـركهم لعبث الشهـوات والمـوبقات ومـا يعقبه من العلل والمحـرجات واراد بـه أن يكون عـاصمـاً من

---

(١٩) الوسائل ج١٤ ص٤٤٠ ومن يريـد التوسـع في هذه النقـطة يمكنهم مراجعـة كراس (الزواج في الاسلام)

الابتـذال ومـدربـاً على المعيشـة المـزدوجـة قبـل السن التي تسمـح بتـأسيس البيوت »[٢٠] .

* * *

وفي الختام نوصي كل الشباب الاعزب (فتيات وشباناً) ان يكـون واعياً قبل الزواج فلا تسلب الغريزة الجنسية ارادته وحريته وتجعله عبداً قناً لها .

إن الشباب يجب ان يسعوا أولاً لأن يقووا إرادتهم وتقواهم بالايمان بالله تعالى إذ أن الشرط الاساس للبقاء على الطهارة هو التقوى الداخلية للإنسان وما اكثر ما نتوقع للشباب الذي لا يمتلك قوة التقوى ان ينحـرف حتى بعد الـزواج وتجره ميوله الشيطانية إلى القذارة والانحراف الجنسي .

يقول مولانا أمير المؤمنين (ع) :

« غالب الشهوة قبل قوة ضراوتها فانها ان قويت عليك ملكتك وقـادتـك ولم تقدر على مقاومتها »[٢١] .

ويقول ايضاً « مغلوب الشهوة أذل من مملوك الرق »[٢٢] .

* * *

وليدم طاهـراً منزَّهـاً ذاك الذي لم يـدنِّس ذيله بوحـل هذا العصـر . . . ولينتصر ذاك الذي إذا زلَّت قدمه يوماً لجأ إلى قوة الايمـان ونهض على قدميـه وأنقذ نفسه من الضياع والفساد .

---

(٢٠) الفلسفة القرآنية للعقاد .

(٢١) غرر الحكم طبع النجف ص٢٢٤ .

(٢٢) نفس المصدر السابق ص٣١٨ .

الاتخاذ والتحلل

فاجعة الاندلس

نتصفح التاريخ ونقرأ الحوادث التي مرَّت على المسلمين :

في النصف الثاني للقرن الهجري الأول[1] فُتِحَتْ شبه جزيرة اسبانيا الجميلة[2] وفُتحت بوابة أوروبا بوجه الإسلام وقد أبدع المسلمون خلال ٨ قرون حضارة رائعة ما زالت شامخة للعالم تعجز عن افناء آثارها تماماً يد الزمان . . . ما زال المؤرخون يدرسون شواهق هذه الحضارة بإعجاب وإكبار .

ومع انتشار الإسلام في اسبانيا ، أدرك كبار المسيحية انها اصبحت في خطر الزوال والاضمحلال في مقابل خصائص الإسلام الشاملة ، وعلموا ان الامم الاخرى في الاقطار الاوروبية التي كانت أسيرة براثن التوحش والخرافات المسيحية عندما تبصر النور الإسلامي الذي يبني الحياة سوف تنفض يديها من المسيحية وتطلب سعادتها في ظل الإسلام العظيم .

وهنا وجد هؤلاء الآباء الروحيون منافعهم ووجودهم في خطر فاستعدوا

---

(١) فتوح البلدان ، ص٢٣ .

(٢) اسمى المسلمين ارض اسبانيا (الاندلس) ويمكن للقراء مراجعة بعض الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

وأعدوا الكمائن للإسلام بكل حقد ثائر وخططوا الخطط المشؤومة الخدّاعة لافناء مسلمي الاندلس .

وفي مطلع الأمر عقدوا معاهدة مع قادة الأندلس الغافلين حصلوا من خلالها على امتيازات من قبيل :

١ ـ حرية الدين .

٢ ـ حرية التعليم والتربية .

٣ ـ توسعة الروابط التجارية .

وقد استفاد العدو من ذلك غاية الاستفادة واستطاع عبر النفوذ إلى المجتمع الاسلامي الاندلسي ان يرتبط بالشباب ارتباطاً مباشراً مستفيداً من المادة الثانية السابقة الذكر (حرية التعليم والتربية) نافثاً سمومه في نفوسهم . . . وأوجدوا أماكن اللهو والمجون يستميلون إليها الشباب يتمتعون بها وتستقبلهم فيها غيدٌ حِسان من المسيحيات الهادفات . . .

ومع تعليم الدين المسيحي استطاعوا أن يزلزلوا عقيدة الشباب المسلم شيئاً ما ومع احتضان البنات المسيحيات تداعت الطاقات وفسدت الأخلاقية الإسلامية في جمهور الشباب(٣) .

فالشاب الذي كان قبل أيام منشداً بأصوله وبالتقوى والطهارة الروحية وحقيقة دينه الحنيف ، وكان يسترخص نفسه ودمه في الدفاع عن الإيمان والأرض الإسلامية عاد اليوم غارقاً حتى اذنيه في مستنقعات الشهوانية والالتذاذ الحرام إلى حد جعله لا يملك في قلبه إيماناً بسوى طلعة الجميلات المسيحيات ، ولا شوقاً لسوى سلافة الخمر العتيقة .

---

(٣) مقتبس من تفسير الطنطاوي ، ج٢ ص١٨٠ ـ ١٨٢ .

وهكذا بدأت الفاجعة . . .

وتحوّل العدو من صديق يمنح الابتسامات إلى جبَّار يسلُّ السيف ويستفيد من ضعف المسلمين واستطاع لذلك ولغيره من العوامل ان يصنع المذبحة الإسلامية الرهيبة ويختم حياة الإسلام في اسبانيا .

* * *

ولم يكن هذا المخطط المشؤوم مختصاً بالأندلس وانما يعد الآن ايضاً من اشد الوسائل تأثيراً وأنفذ السبل التي يسلكها الاستعمار القديم والجديد لضرب المجتمعات الاسلامية فيسهل بذلك طريق بلوغه إلى اهدافه السرية الشريرة .

فإن الاستعمار في كل آن ومكان يقوم أول ما يقوم بالمنع من أي نشاط فكري أصيل بنَّاء ، ولهذا فهو يوجِّه الافراد بدلاً من التفكير في المسائل الجدية ومعرفة المسؤوليات وتحملها نحو الإنشغال بالأعمال التافهة وانواع الترويح والتمتع المبتذل وغير البناء ونحو التحلل والشهوانية الجامحة . . . ومتى ما سلك المجتمع هذا الطريق الخطر استراح الاستعمار واطمأنَّ للنتيجة .

ولأجل ان يثبت الإستعمار أقدامه في أي مجتمع كان ، فإنه يركِّز على الجيل الشاب من بين سائر الطبقات لأن الشاب اقرب إلى الغفلة واشد ميلاً نحو التحلُّل والتلذذ من جهة اخرى ولأن الشباب هم الذين سيصنعون مستقبل المجتمع . وعليه فأفضل مكان يركز عليه المهاجم المستعمر هو فكر الشباب وأرواحهم .

وإذا امكن للمستعمر أن يبني في المجتمع جداراً من أنواع التمتع والملاهي أمام الشباب ليعيش في ظلمة الانحراف بعيداً عن شمس التكامل المعنوي . . . إذاً أمكن له ذلك فقد عبَّد طريقه وامتطى مطيته المسرعة نحو هدفه اللئيم .

الإنسان ذو البعد الواحد

وهنا يُطرح هذا السؤال :

هل يمكن ايقاف نمو الفكر ورشده وتكامله ؟

وهل يمكن ان يصاغ الإنسان ذو البعد الواحد الذي لا يفكر بشيء سوى غريزته وشهواته ؟

وفي مقام الجواب على هذا السؤال ينبغي التوجه أولاً إلى كلام الإمام امير المؤمنين علي (ع) حيث يقول :

« العقل والشهوة ضدان ومؤيِّد العقل العلم ومزيِّن الشهوة الهوى ، والنفس متنازعة بينهما فأيهما قهر كانت في جانبه »(٤) .

وعليه ان خداع الشباب امر سهل جداً على الايدي الاستعمارية الخفية ، ذلك لأن الغريزة الجنسية تتفتح في مطلع عهد الشباب وتطوي تطورها الطبيعي إلا أن العقل يحتاج إلى سنين من التجربة حتى يتكامل ، فإذا كان توجه الشباب كله منصباً على الغريزة الجنسية ، وكانت وسائل تحريك الشهوة متوفرة في الخارج وكان التراجع العقلي آنذاك حتمياً والغريزة هي الطاغية واثناء ذلك يكون الشباب مزرعة مستعدة لأن تبذر فيها بذور الفساد الملونة بالوان زاهية خداعة ثم لتنمو هذه البذور فتطلع وتثمر ، ولا يصل دور العقل الناضج إلا بعد أن تتحول مزرعة روح الشاب إلى أرض بلقع لا تنبت شيئاً . . . وبهذا النحو فالشاب الذي لم يستجب منذ بلوغه إلا للمتطلبات الجنسية ، لا يمكن أن تتحكم في نطاق نفسه إلا هذه الغريزة ، أما الرشد والتكامل الفكري والعقلي فلا يجد امامه سبيلاً معقولاً وعند ذلك يعمل الإنسان على التخطيط لاضمحلال وجوده وهكذا ينمو الإنسان ذو البعد الواحد .

---

(٤) مستدرك الوسائل المجلد الثاني ص٢٨٧ باب ٩ .

ولنستمع مرة ثانية إلى كلام الإمام علي (ع) حيث يقول :

« غلبة الشهوة أعظم هلاك »[٥] .

نعم . . . إن الإنسان الذي يغرق في دوامة اللذة والتحلُّل والذي يرى سعادته كامنة في الاشباع اللا محدود ـ للغرائز ـ لا يمكنه ـ وكيف يمكنه ؟ـ ان يستجيب لنداء الوجدان وأوامر العقل الذي يحمله ثقل المسؤولية .

والإنسان الذي لا يفكر في تلك البيئة الفاسدة المحشوة باللذة الحرام إلا بشهوته وإشباع بطنه ، هذا الإنسان لا يمكنه أن يفهم معنىً للمشكلات الفردية والاجتماعية للآخرين .

والشباب الذي لا ينام ليلته إلا على أحلام العناق لكل ما يصوِّر على صفحات البؤس الصفراء ولا ينهض إلا على ذلك الخيال لا يمكنه مطلقاً أن يشعر بأمراض زمانه ويسعى لعلاجها .

والشاب الذي يملأ فكره وعينه بقراءة السطور المهيِّجة القاتلة للوعي لا يمكنه أن يجد فرصة أو قدرة على قراءة الكتابات البنَّاءة الباعثة على النمو والتكامل .

وذلك الذي يقضي الليالي بين السكارى وفي أحضان العاهرات ولربما سَحَق الكثيرين في سبيل تحقيق التذاذه الدنيء . . . كيف يمكنه ان يقف في وجه الظلم والقتل ويبقي الانسانية حيَّة آمنة ؟

نعم . . . إن هؤلاء الذين سخَّروا وجودهم لمصالح شهوتهم وقبلوا ـ كما تقبل العبيد ـ آثار الالتذاذ والحرية الجنسية الطاغية على كل قيد . . . هؤلاء عملاء وأجراء بلا أجرة للإستعمار قبلوا أن يجروا انفسهم ومجتمعهم إلى الهلاك والفناء تماماً كما حدث في الاندلس حيث ركع الشباب المنتسب للإسلام

(٥) غرر الحكم ص٢٢٣ سطر ١٤ .

والمتحلِّل في الواقع عنه ، لخطط الاعداء وراحوا يسبحون في عالم الخمر والشهوة فساعدوا عدوّهم على انفسهم وأفنوا انفسهم وإسلامهم وتركوا في قلوب المسلمين قرحة دائمة لا تنسى .

وهذه الخاتمة الفجيعة هي مصير حتمي لكل المجتمعات التي غرقت في الفساد والشهوة وابتعدت عن التفكير والتعقل .

وهكذا عرفنا ان الإستعمار بترويجه لتيار الشهوة والسِّكر والعربدة والحفلات الراقصة يسد طريق التكامل الفكري أمام المجتمع ويرى افراداً ومجتمعات ذات بعد واحد ، هؤلاء الأفراد لا يفكرون إلا بمتطلباتهم الجنسية وإشباع غرائزهم الجامحة .

ولهذا نجد الإستعمار يقف سنداً قوياً لكل المذاهب التي تدعو الى التحلل والميوعة الجنسية .

وهؤلاء قادة الصهيونية العالمية يقولون :

« يجب أن نخطط لتهديم الأخلاق في أي مكان ينفتح لنا سبيل النفوذ فيه .

إن فرويد منّا ولن يمرَّ وقت طويل حتى تجري الروابط الجنسية بين المرأة والرجل بشكل علني وأمام الملأ بحيث لا يبقى في نظر الشاب مفهوم لأي شيء مقدس[(٦)] .

كان هذا بحثاً قصيراً عن مرض ابتلي به المجتمع الاسلامي ايضاً بكل شدة ولنلاحظ الآن مدى امكان علاج هذا المرض .

من البديهي أن الله تعالى لم يخلقنا للعدم والفناء ، وقد أنعم علينا بقدرة

---

(٦) كتاب « سيماى جهل در غرب » ص١٤٩ .

نشخِّص بها الحسن ونعيِّن القبيح . . . ومن المسلم بـه أن كل انسـان حرّ في اختيـار الصّـراط المستقيم والتخلص من المسـاوىء للحصـول على الفـلاح النهائي ، أو اختيار السبل المنحرفة والوقوع في التيه والعمى والهلاك .

والقرآن الكريم يعبِّر عن هذه الحقيقة حين يقول :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[٧] .

وحين يقول ـ عزّ من قائل ـ :

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[٨] .

ومن جهة اخرى فان الله تعالى قد اصطفى انبياء أطهاراً لكي يقوموا بهداية الانسـانية ويسـاعدوا في نمـوها العقلي ويسـوقوا البشـرية إلى السعـادة باتِّبـاع تعاليمهم الالهية . . . ويبقى الأمر موكولاً لنا كي نقرِّر الاستماع بمـلء وجودنـا إلى نـداء الوجـدان وأوامر العقـل وهـدايـة القـادة الحقيقيين ويهيِّىء الأرضيـة المساعدة لكي ينمو ويزهر بعدنا الانساني الحق .

يقول تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾[٩] أي زكَّى النفس من المعاصي والانحرافات إلا أن الكلَّ منا يعلم مدى الضغط الذي تولِّده الغرائز وخصوصاً الغريزة الجنسية مما لا يـدع الصمود آنـذاك في وجهها امـراً سهلاً إلا لأولئـك الذين بنـوا سدّاً في أرواحهم بوجه الضغط والانحراف وأقاموا من وجدانهم الـديني الأصيل حصنـاً منيعـاً حول وجـودهم . يقـول الإمـام البـاقـر الإمـام الخـامس من ائمـة اهـل البيت (ع) :

---

(٧) سورة الشمس ، الآيتان : ٧ ـ ٨ .

(٨) سورة البلد ، الآية : ١٠ .

(٩) سورة الشمس ، الآية : ٩ .

« المؤمن أصلب من الجبل ، الجبل يستقل منه والمؤمن لا يستقل من دينه شيء »[١٠] .

نعم إن المؤمن الحق هو الوحيد الذي يمكنه أن يقف كالجبل الصامد أمام عواصف الشهوة الهدَّامة .

والواقع انه لا يمكن السيطرة على الغرائز وتعديلها بقوة العقل والعلم والوجدان الاخلاقي فقط وانما يجب الاستفادة ايضاً من الوجدان الديني الذي فطر عليه الوجود الانساني . . . ويمكن القول انه عندما يحدث الصراع بين الشهوة والعقل فإن وسيلة النجاة الوحيدة هي الإيمان ، وكلَّما قوي الايمان اشتد الثبات الانساني مقابل الغرائز الطاغية .

ولما كان الشاب كما مرَّ يقع مورد الهجوم الغريزي اكثر من غيره فإنَّ ما يجعلنا نجلُّه ونحترمه هو تأكيده على وجدانه الديني وتقويته له وبنائه سداً منيعاً من الايمان الحق في وجوده ، تجاه الامواج الهادرة التي تبعثها الغرائز ولا ريب في ان الله تعالى سيعينه في سبيل هذا يقول تعالى .

﴿ هُوَ الَّذي اَنْزَلَ السَّكينَةَ في قُلُوبِ الْمُؤمنينَ لِيَزْدادُوا ايماناً مَعَ ايمانِهِمْ ﴾[١١] .

* * *

وقد سعينا في هذا البحث لأن نبتعد عن طرح شعارات فارغة المحتوى وأمور ذهنية بعيدة عن الواقع . . . ولكي نثبت أنه باستطاعة الشاب أن يكون فوق سيطرة الإلتذاذ الوقتي في سبيل تحقيق هدفه وتقوية ايمانه ينبغي أن نطالع جانباً مشرفاً مما يحدثنا عنه التاريخ . . .

---

(١٠) الكافي ، ج٢ ص٢٤١ .
(١١) سورة الفتح ، الآية : ٤ .

ها هو الفتى حنظلة بن ابي عامر وهذه هي الليلة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر انها ليلة الزواج . . . ولكن الاوضاع في المدينة لم تكن بأي حال تواكب شوقه وفرحه .

فقد كان المجاهدون المسلمون في ذلك اليوم يستعدون للتحرك نحو « أُحد » وقد أعلن النفير العام بأمر من النبي الأكرم (ص) فكان يجب على كل رجل يستطيع ان يحمل عدة السلاح ويخوض غمار الحرب ان يستعدَّ لها . . . الحركة الهائجة العامة تسود المدينة . . . والنفير العام يعم ارجاءها . . . والنساء والأطفال في حالة من القلق من المستقبل بعد ان كانت الانباء تتحدث عن عدة العدو وعدده الكبير . . . على أي حال فجيش المسلمين كان يقل عن جيش العدو عدَّة وعدداً بلا ريب . . . نعم كانت هناك استعدادات سريعة جداً من قبل الرجال لإعداد السلاح وتهيئة المؤونة والتحرك نحو الميدان .

ولما لم يكن هناك أحد لم يبلغه امر الرسول الأعظم (ص) بالخروج من المدينة وقتال العدو الحاقد فإنه لم يكن هناك بيت يتحدث ـ ان كان يتحدث ـ إلا عن القتال المقبل ونتائجه وما تعقد عليه من آمال وما ينبعث تجاهه من قلق .

أما حنظلة فقد كان قبل ان تأتي فكرة الحرب قد أعدّ العدَّة لزواجه واستعدَّ بيت العريس والعروس لاقامة حفلته . . . وها هو الآن موزَّع بين تفكيرين : تفكير بالعرس ولذائذه ، وآخر بنداء الايمان الذي يدعو ان يلبس لامة الحرب بدلاً من لباس العرس . . . وبعد تفكير أسرع إلى الرسول الأعظم (ص) بروح مترعة بأنوار الايمان يستأذنه سواد هذه الليلة ليبني بعروسه وعند الصباح سيكون إلى جنب رفاقه الأبطال في قلب المعركة .

وأجازه الرسول الرحيم وعاد إلى البيت وعقد مجلس فرح رغم كل العوارض التي تصيب المدينة المقبلة على الحرب . . . وأدرك العروسين الصباح ، واستعد حنظلة للإنطلاق للحرب فاستشهدت العروس أربعة أنفارٍ من

الأنصار انه دخل بها فصدَّقها حنظلة وانطلق نحو (احد) . .

وكـانت المعركـة في أوج استعارهـا إذ وصل حنـظلة (العـريس) . . . فحمل لتوِّه على العدو حملة مفزعة كان المقدَّر له فيها ان ينال لذة الشهادة في سبيل أروع عقيدة الهية .

فسلام الله عليه ورضي الله عنه[١٢] .

ذهب حنظلة وترك لنا صورة رائعة لشاب مترع القلب بالايمان غض النظر عن حياته الزوجية الجديدة بكل سهولة في طريق ايمـانه وإسـلامه ورجَّـح في عنفوان شبابه ـ وحيث يحلو الالتذاذ ـ الموت في سبيل الايمان على اللذة الوقتية العابرة .

وما دامت فينا هذه العقيدة فإنَّا نأمل ان يحلَّ اليوم الذي يصنع فيه الشباب المسلم نفسه بشكل يستطيع معه في سبيل تحقيق هـدفه وإعـلاء شأن العـالم الاسـلامي ان يتخلى عن انواع اللذة والتحلل الهـدَّام ويعيش في قلب الواقـع ويهب وجوده للعقيدة الخالدة .

---

(١٢) مستفاد من بحار الأنوار الطبعة الجديدة ج٢٠ ص٥٧ ـ ٥٨ .

القمار لعبة تخديرية

الالعاب التخديرية الشيطانية

لماذا بدلاً من اللعب بورق القمار . . . لا نطالع كتاباً ، وبدلاً من الجلوس إلى مائدة القمار ، لا نجلس إلى منضدة المختبر ؟

ولماذا لا نلجأ لحل المعادلات الرياضية والمسائل الفكرية بدلاً من اللعب بالنرد والشطرنج ؟

ولماذا لا نخطط للنصر والتقدم في المجالات الحياتية ومعرفة عوامل الهزيمة والتاخر بدلاً من التخطيط لكسب اللعبة وتخلية جيوب الخصم ؟

نعم لماذا لا نقوم بدلاً من الالعاب المضرة بالأعمال النافعة فنطوي بذلك الطريق المستقيم الصحيح للحياة ؟

لماذا . . . ؟

الاستعمار الفكري

إن قيمة الإنسان تقدَّر بالطّاقة الفكرية التي يمتلكها فكلما شغَّل فكره وتوسَّعت آفاقه ، كانت شخصيته أجلّ وأهم منزلة في مجال التقييم .

فإذا خلا المجتمع من الفكرة الفاحصة والنظرة العميقة فإنه لن يمر وقت

طويل حتى نشهد وجوده فريسة للزوال والاضمحلال وان الخسارات المادية لا تعد شيئاً في حين ان فقد الذخائر المعنوية ضرر لا يمكن تعويضه ولا يمكن ان يقاس اليه فقدان الثروة المالية قط .

والمجتمع الذي فقد ثروته المالية ولكنه ظل محتفظاً بطاقاته الفكرية والعقلية يستطيع بكل سرعة أن يعمل هذه الطاقات الخلاقة لإرجاع مقامه المالي وقوته السابقة .

إن العقول المفكِّرة هي أثمن الذخائر والرساميل الاجتماعية لأي مجتمع ، ولن يبصر أي مجتمع ملامح السعادة بدونها .

ومعلوم أن الاستعماريين يتلوَّنون ويتشكلون في كل زمان بلباس خاص ثم ينفذون إلى قلب المجتمع ، فقد كان النفوذ سابقاً يتخذ شكل احتلال عسكري وسياسي واقتصادي في حين بدأ يتخذ اليوم شكل سعي وجهد للإحتلال الفكري للشعوب بحيث لا ينطبع في افكار مفكِّريها إلا ما يريده المستعمرون ان ينطبع ، ولا يفكر أو يسير هؤلاء إلا على هذه التلقينات والإيحاءات الإستعمارية ليكونوا بالتالي عبيداً حقيقيين ومستهلكين خاضعين لهم .

وخير شاهد على ما قلنا ، هذا الوضع المنحطّ لشعوب العالم الثالث ، وخصوصاً الشعوب التي تعيش تحت نفوذ الغرب ؛ فإنَّا نشاهد هذه المجتمعات تتخم بالاشاعية الجنسية ، وحفلات المرح الحرام ، وعبادة المال ، والشهوة وانواع السلوك التخديري . فتعتبر هذه الأمور أهم المشاكل التي فكر فيها في حين انها ليست إلا ما زرعته اليد الاستعمارية السخية بمثل هذه الامور . . . ففي ظل هذه الشجرة الملعونة للفساد تبذر الفرص والطاقات الفكرية والبدنية ويتأصل وجود هذه المجتمعات في حالات التراجع المقيت .

ويمكن اعتبار الالعاب الموسمية ، وتأسيس النوادي غير المفيدة نماذج لهذا الوضع المؤسف .

وكنا نرى اليوم التأكيد الشديد على ترويج هذه البرامج المبتذلة والالعاب التخـديريـة على صعيد عـالمي . . . وكيف تتلقى بكل اهميـة وتتابـع في كل آن . . . ومـا اكثر الاضـرار التي تصيب الامم عبر هـذا السبيـل ، ومـا اضيـع الفرص والطاقات الكثيرة فيه .

وقد خطط هؤلاء كثيـراً لكي يوجـدوا في ذهنية الشـاب اهتمامـاً شديـداً بالرياضة والمسابقات الرياضية بحيث لا تصل إلى ذلك مطلقاً الاهمية التي تولى للمسائل العلمية والتسابق في مجالات المعرفة . . . بل وان الشباب قد صيغوا بشكل جعلهم ينظرون للرياضة والمسابقات الـرياضيـة كهدف لا وسيلة وكـان الاحترام والإجلال الذي يبديه الشاب للبطل الرياضي اكثر بكثيـر من الاحترام الذي يبديه للاستاذ والعالم .

كل هذا لكي تفكر الشعوب بكمية اقل ، أو لئلا تجد فرصة تفكر فيها ، فلا تستطيع معرفة مشاكل حياتها وعواملها والمسائل الحياتية الاخرى المؤثرة في مصيرها ومستقبلها ، ثم تعمل فكرها لمعرفة العلاج والخلاص .

نعم . . . إن الاستعمار الفكري هو أخطر انـواع الاستعمار . . . ففي ظل مثل هذا الاستعمار تتخدَّر الأفكار والطاقات الدماغية للمجتمع وينشأ الافراد وهم يفقـدون الارادة القويـة المشخِّصة . . . وان الامـة المبتـلاة بمثـل هـذا الاستعمار تعمل لأعدائها كما يعمل العبد لسيده وتمشي مشية الأعمى في سبيل تحقيق أهدافهم المشؤومة ومنافعهم المحطمة لها .

القمار لعبة تخديرية

ومن تلك الالعاب التي اعطيت عنوان « الرياضة الفكرية » القمار . . . ولو كنا نمتلك احصاء دقيقاً لراينا الطاقات القيِّمة التي تصرف لا لشيء في هذا السبيل ، والفرص الخلاقة التي تفنى خلال هذه الأوقات .

ولا يمكننا ان نقدِّر قيمة الاوقات والفرص الثمينة التي تصرف في النوادي

وعلى مناضد القمار ، ونعرف مقدار الاضرار التي تنجم عن هذه الأنماط التخديرية بدقة إلا إذا فكَّرنا في النتائج العظمى التي كان من الممكن الحصول عليها لو ان هذه الفرص والطاقات الفكرية حوِّلت إلى المطالعة والتجارب في ميدان العلوم والعمل والصناعات بدلاً من تركها تذهب هباء وبدون أي مقابل .

إننا نلاحظ ـ حينما ندرس حياة العظماء ـ بوضوح ان انتصاراتهم . كانت مرهونة باستفادتهم التامة من اوقاتهم وفرصهم حتى انهم لم يكونوا ليتركوا التفكير وهم في زنزانات السجون بل يستفيدون من فرصهم بأقصى ما يمكن وحتى انهم دوَّنوا بعض آثارهم العظيمة في مثل هذه الفرص .

فهذا الشهيد الأول جمال الدين مكي الفقيد المجاهد الشيعي العظيم الذي ولد سنة ٧٣٤ هجرية واستشهد سنة ٧٨٦ . . . له تآليف علمية قيِّمة جداً منها كتاب (اللمعة الدمشقية) وهو من احسن الكتب الدراسية الفقهية للشيعة وقد ألَّفه في السجن ، والحقيقة ان سرَّ نجاحه وتفوقه كان يكمن في استغلاله لوقته ومعرفته لقيمته وسعيه لعدم تفويته مطلقاً[١] .

وإن التاريخ ليعرض علينا صوراً كثيرة لامثال هذه الأنواع العالية من السعي البنَّاء ، والاستفادة الحية من أوقات الفراغ ـ حتى في السجون ـ .

وعليه فليس ادِّعاء الرياضة الفكرية هنا إلا فخاً يراد من خلاله التوصل إلى خطف الأوقات وتضييع الفرص . . . وان الكثير مما جعل من « التمتع البريء » ليس فقط لا يؤثر في النمو الفكري وإنما له اضرار كثيرة منها : الأضرار الاقتصادية وضياع الفرص والافكار ، وخدمة الاستعمار والامتصاص الاستعماري للشعوب ، وتطبيق البرامج والخطط الكافرة التي تقود الافكار بشكل لا شعوري باتجاه مصالحها وتسرق طاقات التفكير الصحيح من الشعوب

---

(١) مقدمة بحار الأنوار ، ج١ ص١٢٢ وروضات الجنات ج٧ ص١٠ .

وتحقق الارضية الصالحة لاهدافها المشؤومة .

قيمة التفكير في الإسلام

ولـو حكمنا الانصـاف في البين عرفنـا لماذا يقيم الإسـلام بهذا الشكـل التفكير والتأمل ، ذلك لأنه لا يمكن نيل المعالي والحصول على التقدُّم المادي والمعنوي إلا في ظل التفكير الصحيح والتأمل العميق . . .

ولم تترقَّ الأمم إلا في ظل افكـار مفكِّريهـا وعظمـائها الـذين طووا بهـا مدارج الكمال والرقي . ولم يصل المقرَّبون إلى الله والربانيـون إلى مقامـاتهم السامية إلا بالتفكير الطويل العميق الذي اعقب معرفة واسعة أوصلتهم إلى هذه المقامات المعنوية والدرجات القريبة السامية .

يقول الرسول الاكرم (ص) :

« تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة » .

ونظراً لهذه القيمة الّتي يعطيها الإسلام للفكر والدور الهامّ الذي يمنحـه إياه في صنع مستقبل الفرد والمجتمع فانـه رفض كل مـا يوجب تخـدير الفكـر وإتـلاف الوقت الثمين ، ولهـذا وغيره أعلن الإسـلام رفض (اللهـو واللعب) وحاربه .

وقد كان القمار من الالعاب التي ذمها القرآن صريحاً وقد بيَّن الله تعالى عواقبه السيئة الخطرة بقوله :

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اِنَّمَا الْخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالْاَنْصَابُ وَالْاَزْلَامُ (٣) رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطانُ اَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ

---

(٢) بحار الأنوار ، ج٧١ ص٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

(٣) كان العرب قبل الإسلام يقسمون بعض الاموال المشتركة بواسطة (اللازلام) أي السهام ولم يكن هذا التقسيم عادلاً وقد منعه الاسلام .

الْعَدٰاوَةَ وَالْبَغْضٰاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلٰاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[٤] .

ومن الواضح أن القرآن بالإضافة إلى تقبيح القمار وجعله الى صف الجريمتين الكبيرتين (شرب الخمر وعبادة الأصنام) اشار إلى نقطتين نوضحهما في ما يلي :

الأولى : إن القمار دافع نحو الفرقة والعداوة . . . ولو تأملنا وجدنا أن كل خسارة تخلق الحسرة والتأثر في نفس الخاسر ومن ثم الحقد والتنفُّر من الشخص الرابح في حين أن الربح يوجد في الرابح شوقاً وحرصاً على النهب الأكثر للخاسر وبالتالي بعدم الإهتمام بحقوق الآخرين . . . وكل هذه تشكل أهمِ العوامل التي بامكانها أن تقطع علائق المودة والروابط الاجتماعية الاخرى لتسلِّم المجتمع إلى النفاق والحقد والبغض .

فما أكثر ما صادف أن انتهى الأمر بين الأحبة الذين جلسوا إلى منضدة القمار إلى التنفر والعداوة والتباعد وحتى النزاع والقتل احياناً .

ففي مدينة في نيوانگلاند كان يعيش صانع من صنّاع الرصاص حياة هي خير من حياة غيره ولكنه ابتلي بالقيام بالالعاب الثقيلة « پوكر » ولكي يجبر هذا خساراته فقد اصر على إدامة اللعب حتى بلغ به الأمر إثر تساهله وديونه أن يفقد شغله المتطور . وقد قال لاحد اصدقائه :

« لا يمكنني أن أملك زمام نفسي ويجب أن أنتقم لها »[٥] .

كما أن الغضب والتنفر الحاصل من القمار له آثاره المشؤومة التي تهدد حياة المقامر الخاصة من مثل الاختلافات العائلية ، والطلاق والتفرقة بين الزوج

---

(٤) سورة المائدة ، الآيتان : ٩٠ ـ ٩١ .

(٥) نشرة جمعية الامور العامة في نيويورك ص١ .

والزوجة ، وانحلال الترابط العائلي الوثيق .

الثانية : إن المقامر وهو مبتلى بهذه العادة القبيحة ينسى ذكر الله ، ونحن نعلم أن الإسلام يعتبر التوجه نحو الله ، وتذكره وتذكر عظمته ونعمه هو أساس الدين والسعادة .

وما أصدق القرآن حين يقول : ﴿ اَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنِ الْقُلُوبُ ﴾[٦] .

ذلك ان التوجه لله وذكره يشكل أحكم الاسس وأمنع ملجأ وأقوى عماد للإنسان عندما يواجه المشاكل . وها نحن نرى اولئك الذين لا يؤمنون بالله يجدون انفسهم في قلق وذعر شديدين ووحدة قاتلة رغم كل ما لديهم من وسائل مادية ولذا فقد يلجأون احياناً للانتحار ، ومن هنا نجد نسبة كبيرة من المقامرين مبتلين بالجنون والانتحار والاضطراب والهيجانات العصبية إلى الحد الذي يمكننا معه أن نعتبر القمار العدو الخطر للاطمئنان والراحة .

وقد جاء في نشرة جمعية الامور العامة في نيويورك قولها :

« لقد شهدنا مناظر مختلفة فهذه امرأة مرتعشة مخطوفة اللون تقف ساعات أمام احد اجهزة القمار ، وذاك رجل شاحب الوجه عبوسه يدير مقبض الجهاز وكأنَّ عجلات الجهاز المتحركة قد أغرقته في تنويم مغناطيسي عميق[٧] .

وقد قال أحد المقامرين لمراسل صحيفة « نيويوك تايمز » لقد ابتليت بالسقوط في هذه الهوة إلى حد أجد نفسي فيها مخيراً بين الخروج أو الانتحار »[٨] .

الأضرار الفردية والإجتماعية والأضرار المالية للقمار

إن أضرار القمار كثيرة جداً ونحن فيما يلي نشير إلى بعض نتائج القمار

---

(٦) سورة الرعد ، الآية٢٨ .

(٧ و٨) نشرة جمعية الامور العامة ص٩ ـ ١٤ .

واضرارها الاجتماعية والمالية كما جاء في نشرة جمعية الامور العامة وهي وإن كانت تركِّز على الظرف الاجتماعي الامريكي إلا انها نافعة لكل المجتمعات .

فقد جاء في هذه النشرة :

« إن أحد موظفي مدينة لوس آنجلس سرق من خزينة البلدية خلال سنة اكثر من . الف دولار ، لكي يسدِّد بذلك ديونه من لعبة الـ (لاتارى) .

وفي نيويورك سيتي . كان أحد عمال المرفأ يشترك في اللعبة اليومية للنرد (اللعب في الميناء) وقد خسر مبلغاً كبيراً مما دفعه للإقتراض من محتال يقرض الأموال . ولكي يستطيع ان يسدد ديونه اضطر للسرقة من بضائع الميناء ، والقاء التهمة على أحد العمال المسؤولين عن هذه البضائع .

وهناك ما لا يعدُّ من قبيل هـذه الحوادث المؤلمـة التي حدثت في حيـاة الافراد والتي كان منبعها جميعاً القمار .

إن تأثير القمار على حياتنـا القوميـة كبير الضـرر جداً وقـد سبب مشكلة اجتمـاعيـة في غـايـة التعقيـد . . . مشكلة مـا زالت في طـريقهـا إلى النمـو والاتساع .

وقد كان المبلغ المخمَّن صرفه كل سنة في القمار هو ٥٠ بيليون دولار أو أكثر ، وإذا لاحظتم ان كل شعبنا (والمقصود ـ الشعب الأمريكي) يصرف كل سنة ما يقارب من ٢٥ ـ بيليون دولاراً فقط في امور المعالجة أمكنكم ان تدركوا الجوانب والأبعاد الواقعية للقمار في الولايات المتحدة اليوم .

ويقال : انه من بلايين الدولارات التي تصرف في جلسات القمار يصب تسعة إلى عشر بلايين منها في جيوب المشرفين المحترمين عليها . . . وعليه فإن ربح الافراد المحترفين فقط هو أكبر بكثيـر من الخمسة بـلايين المصروفـة سنوياً على أي نوع من انواع التحقيق والتعليم والتربية الخاصة وكذلك هو اكبر جداً من المبلغ المخصَّص لمجموع الفعاليات الدينية والرفاه الاجتماعي .

ولا شك ان للقمار أثراً هداماً على الحياة العائلية . . . ويعتبر « پترسون » المحقق السابق للـ F . B . I القمار احد العلل الاساسية لاختلاس المأمورين والموظفين للعمل (والعلة الاخرى هي الحياة المترفة المفرطة) .

ويقول سيلوانس دويل Sylvanus Du vall الذي عني بالتحقيق في مشكلة القمار : « قد تتخيل العائلات الفقيرة والمتوسطة ان السبيل الوحيد للخلاص من قيود الحياة الذليلة هو الـ (جك پوت) وهو نوع من العاب الپوكر ويتضاعف هذا المرض لهذه العائلات ، ويصبح السعي للربح ليس فقط عاملاً على غرق امثال هذه العائلات في الفقر اكثر فاكثر بل غالباً ما يصبح فرصة مناسبة لفقدان الشرائط التي كانت متوفرة لاصلاح الوضع الحياتي مِن قبيل الفعاليات المتساوية والمتحدة ، وتكميل التخصصات العملية . . . وغير ذلك من الاعمال » .

ويقول : lycurbus - stroa الاستاذ في احدى مدارس « سن پول » :

« إن المقامر المزمن ـ عموماً ـ ينظر للقمار على اساس انه نوع من الهروب أو تعويض وجبر للمشكلات الشخصية له . . . ، والمقامر العصبي انما هو في صدد ان يجد حلاً لمشاكله كلها عن طريق القاء الورقة أو ادارة الجهاز . وواضح ان المشاكل نادراً ما تحل عن هذا الطريق بل انها تتضاعف في الواقع) .

(في سنة ١٧٨٣م قام جورج واشنگتن بتحقيق تحليلي حول القمار وتوصل إلى هذه النتيجة الدقيقة جداً والمعتبرة تماماً من الزاوية النفسية وهي : « ان القمار منبع الدمار لكثير من العوائل الشريفة والمحترمة والسبب لفقدانها شرفها وحيثيتها ، وهو علة للانتحار ، وخادع بالنسبة لكل الذين انضموا إلى هذه المجاميع على السواء ، فالمقامر الرابح يديم عملية المقامرة حتى يبتلى بالخسران في حين يديم الخاسر عملية الخسران على امل جبر سوء الحظ الماضي حتى يفقد كل شيء أما الذين يستفيدون من عملية القمار شيئاً فهم القلة في حين يبتلي الآلاف بالاضرار » .

القمار الجبري

لماذا نجد حرفياً ماهراً يستطيع أن يحصل على أجرة جيدة يترك عمله العائلي ليغرق في عمليات المقامرة ؟ . . . أو نجد بائعاً يترك عمله ليقضي فترات المساء في بيوت القمار ومحال المسابقات ؟

يمكن أن يبدو للنظر أن مثل هذه الأمور المسلية في البدء لا خطر فيها ، ولكن الخطر المتزايد يوماً بعد يوم هو ان هذه الامور نفسها تجر الاشخاص غالباً إلى الديون ومن ثم إلى القمار الجبري وان التخلص من ذلك للمدمنين عليه صعب صعوبة ترك الإدمان على الخمر والمواد المخدرة .

إن القمار اللا اختياري قد أصبح مشكلة خطرة جداً ومهددة تماماً للمجتمع . وان الرجال والنساء الواقعين بين براثن هذا الجبر يعرفون اكثر من غيرهم معاني القلق واليأس . . . وهذا القول بالخصوص هو ما تفوّه به احد المعتادين المطلعين على القمار تماماً فإنه بنفسه كان من المقامرين المجبورين إلا أنه استطاع بالنهاية ان يتخلص من الضغط الشديد الجارف .

ولا يعد القمار في نظر الاطباء المتخصصين أو نفس المعتادين مجرد عمل مخالف للأخلاق أو عمل قبيح فحسب بل يعد القمار الاجباري ـ فعلاً ـ مرضاً ومعبراً عن كثير من المشاكل العاطفية الشديدة .

وقد شبّه المقامرون المدمنون ـ غالباً ـ في احدىٰ الشهادات الشخصية ادمانهم بالسرطان واسموه « مرضاً » و« منهكاً لهم » وهم يقولون « كنا وشركاؤنا في العمل قد صممنا على ان نبيد انفسنا »[٩] .

القمار في الفقه الإسلامي

وبملاحظة ما سبق ينبغي أن نشخِّص نظرة الفقه الاسلامي للقمار .

(٩) نقلاً عن نشرة جميعة الامور العامة في نيويورك الصفحات ١ ـ ١٦ .

إن حرمة القمار في الإسلام بناء على تصريحات القرآن الكريم والروايات الشريفة الكثيرة قطعية ومسلمة ، والفقهاء متفقون على ذلك جميعاً بل ان حرمة القمار تعتبر من ضروريات الدين بمعنى ان من ينكرها يعتبر خارجاً من الـدين الاسلامي والامة الإسلامية[١٠] .

فاللعب بالقمار وتعليمه وتعلمه ، واعانة المقامر في عمل القمـار ، وبيع وشراء وصنع آلات القمار ، والجلوس في مجلس القمار ، كل ذلك حرام وذنب حتى انه ورد النهي في النصوص الإسلامية عن السلام على لاعب القمار[١١] .

ولأجل التعرف اكثر على موارد القمار والالعاب المحـرمة ينبغي التـوجه إلى التقسيم التالي :

١ ـ اللعب بالادوات الخاصة للقمار مع التراهن والربح والخسارة .

٢ ـ اللعب بادوات القمار ولكن بدون تراهن وربح وخسارة .

٣ ـ اللعب بأدوات غير الادوات الخاصة للقمار ولكن مع التراهن والربح والخسارة .

٤ ـ اللعب بلا وسائل مقامرة ودون تراهن وربح وخسارة .

أما النوع الأول فهو حرام في نظر كل العلماء المسلمين (سنة وشيعة) .

وأما النوع الثاني فهو محرم عند كل علماء الشيعة وبعض علماء السنة .

وأما النوع الثالث : فهو محرم عند كل علماء الشيعة واكثر علماء السنة .

ويجب الالتفات إلى أن الإسلام يحرِّم كل شيء يعود بالضرر على الفرد

---

(١٠) المكاسب للمرحوم الشيخ الانصاري طبع تبريز ص٤٧ المسألة ١٥ .

(١١) مفتاح الكرامة ج٢ ص٥٦ التذكرة ج١ ص٥٨٢ الوسائل ج١٢ ص١١٩ ـ ٢٢٧ ـ ٢٤٣ الخصال الباب الثاني عشر رقم ٩و . . .

والمجتمع ، ويحارب كل ما يعود بالسوء على الجسم والروح والاخلاق والاقتصاد السالم والسعي والفعالية الصحيحة الاصيلة . . . وانه يعمل على اقتلاع الفساد من جذوره ـ بسده لكل المنافذ التي ينفذ من خلالها ، ويرفض أي ميل له وان كان جزئياً بسيطاً . . . .

فإن الإسلام كما عمل على التحصين والوقاية من الاعتياد على الخمر وتحمّل مفاسده فحرم شرب قطرة منه ، يعمل على محو القمار ومفاسده عن طريق سد كل السبل المؤدية اليه فلا يجيز صنع آلات القمار وبيعها وشراءها والجلوس في مجالس القمار لأجل ان تصان افكار المسلمين عن الميل لهذه الهوة الخطرة ولئلا يدنو منها أي مسلم .

ومن المعلوم أن الإسلام أساساً يمنع أي تصرف في اموال الآخرين لم يتم عن طريق التجارة والمعاوضة المحللة فيقول القرآن الكريم : ﴿ **يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَأكُلُوا اَمْوالَكُمْ بَيْنَكم بِالْباطِلِ إلاّ اَنْ تَكُونَ تِجارةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ** ﴾[١٢] .

أما القسم الرابع من الاقسام الماضية أي اللعب بدون آلات القمار وبدون التراهن فإنه ينبغي أن يعلم ان الاسلام أساساً يعتبر الانشغال بأي عمل سالم ومفيد وباعث على النمو أو الترويح عن النفس وتجديد القوى الجسمية والروحية ومساعد للانسان على الاستعداد للصراع مع المشاكل الحياتية والحوادث السيئة ، وكذلك المهيّء للقيام باعباء الحرب والجهاد المقدس ، يعتبر أي عمل من هذا القبيل جائزاً بل يدعو إليه وقد بيّنا تفصيل هذا الموضوع في إحدى نشراتنا المعنونة بـ (التمتع السليم) .

أما الالعاب السخيفة التافهة غير المثمرة والموجبة للركود والتأخر والتي لا تمتلك نفعاً مادياً ولا معنوياً فإنها لا تعتبر امراً حسناً في نظر الإسلام لانه يصحبها

---

(١٢) سورة النساء ، الآية : ٢٩ .

اتلاف للوقت والطاقة ويعوزها التأثير في النمو والسلامة والنتائج الايجابية الاخرى يقول القرآن الكريم واصفاً المؤمنين :

﴿ وَالَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[١٣] .

فإذا كانت الالعاب التافهة غير المفيدة موجبة للمرح والغفلة المفرطة بحيث تنسي الإنسان ربه وتجعله فرداً لا مبالياً فإن حكمها سيكون حكم القمار[١٤] وتعتبر محرمة اسلامياً فإن « كل ما ألهى عن ذكر الله فهو من الميسر »[١٥] .

كيف نحارب القمار ؟

إن الصراع مع هذا المرض يمكن أن يكون على نوعين .

النوع الأول : الوقاية .

إن أفضل طريق للوقاية هو ما خطَّطه الإسلام فانه قبل كل شيء أعلن أن القمار عمل حرام قبيح ثم قام بسد كل المنافذ المؤدية إلى هذا المرض في وجه اتباعه فإن صنع الات القمار وبيعها وشراءها وتعلمها وتعليمها كان ذلك محرم في الإسلام[١٦] وحتى انه لا يجيز للمسلم ان يجلس مجلساً يُعصى الله فيه بلعب قمار أو غيره[١٧] ومن طرف آخر فإن قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجب على الأفراد جميعاً أن يقوموا بالمنع من المحرمات وهذا الاسلوب

---

(١٣) سورة المؤمنون ، الآية : ٣ .
(١٤) المكاسب للشيخ الانصاري ص٥٤ مسألة ٢٠ .
(١٥) الوسائل ج ١ ص٢٣٥ .
(١٦) القمار حرام تعلمه واستعماله والكسب به وحتى لعب الصبيان بالجوز والخاتم ـ التذكرة ج١ ص٥٨٢ .
(١٧) لا ينبغي للمؤمن ان يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره الكافي : ج٢ ص٣٧٤ .

هو أنجح الاساليب للعمل ضد أي فساد ومعصية .

ونحن نقترح للوقاية من هذا المرض بعض السبل :

١ ـ التأكيد على الحسن الاخلاقي في المجتمع والارتفاع بمستواه الايماني العقائدي وهو أول السبل وافضلها .

٢ ـ الصراع العنيف المتواصل ضد عوامل انتشار القمار والنوادي المعدة لذلك مع التأكيد على غلق النوادي التي تنشأ للقمار وتضع لها أسماء خداعة للتستر على الانحراف ، والعمل على عقاب الافراد المتخلِّفين . على ان المحاربة يجب أن لا تقتصر على المراكز التي تشكِّل للقمار بدون اجازة رسمية وبشكل غير قانوني ، بل يجب ان يكون الصراع عاملاً وفي مختلف الجوانب فلا نبقي على اي نادٍ للقمار بحجة انه نادٍ رسمي وانما نعمل على ازالته .

٣ ـ يجب منع البطالة والمرح الحرام ، ومجالس اللهو الّتي تشكِّل عوامل لتوسيع الانحراف الاخقلاقي والميل نحو القمار ودعوة الناس للتفكير في المسائل البناءة والنشاطات الأصيلة بدلاً من التفكير بالحظ والنصيب وغير ذلك .

النوع الثاني : العلاج

ولأجل علاج المبتلين بالقمار ونجاة المعتادين عليه نقترح الطرق التالية .

١ ـ من الافضل للشخص المدمن والملوَّث بالقمار ان يلجأ في ساعات الفراغ إلى بعض الأعمال المفيدة كقراءة كتاب والقيام باعمال يدوية ، ورياضة سالمة ، والاشتراك في مجالس علمية واجتماعية وجلسات دينية وغير ذلك . وان يواظب على ذلك حتى يعتاده فإن علماء النفس يعتقدون بلزوم التعوُّد على عادة حسنة تكون بديلاً للعادة السيئة التي يراد تركها .

٢ ـ يجب أن يترك الملوثون بالقمار المعاشرة مع الملوثين الآخرين

وخصوصاً مع المقامرين المحترفين ، في حين يعملون على اختيار أصدقاء سالمين لائقين يعاشرونهم ويفتحون لهم صدورهم .

٣ ـ عند اللزوم وعندما لا يمكن التخلص من حبائل البيئة الفاسدة المملوءة بالملوثين بهذه العادة فإنه تجب (الهجرة) فإنه في الظرف والشرائط التي تهدِّد فيها عقيدة الانسان ومعنوياته تهديداً حتمياً يلزم الاسلامُ المسلمَ بالهجرة للعيش في مكان آخر بشكل أفضل واسلم .

٤ ـ يجب شرح الاضرار المختلفة للقمار والتذكير بها وهنا يجب على العلماء والكتَّاب والوعَّاظ والمتحدثين أن يرشدوا المبتلين بهذا المرض .

٥ ـ يجب على الاباء والامهات أن يمنعوا ابناءهم من الإشتراك في مجالس القمار ، وهدايتهم نحو الاعمال الاخرى وتشويقهم اليها مع مراقبتهم مراقبة تامة ضمن إطار من المحبة والبشاشة هذا بالإضافة إلى الامتناع التام من قبل الابوين من لعب القمار .

وقد جاء في نشرة الأمور العامة انه « عندما يلعب الوالدان القمار فإن الأطفال سوف يتشوقون ويتحركون نحو هذا العمل . . . ومع انه يمكن أن يسعى الأبوان لاقناع أولادهم للاقلاع عن هذا العمل إلا انهما لن يوفَّقا في هذا السعي عندما يبصر الاولاد ابويهما يلعبان القمار »[١٨] .

٦ ـ ويمكن للزوجات ان يكون لهن دور مهم ومسؤولية اكبر في شد شركاء الحياة اكثر واكثر بالجو العائلي ، والمنع من مثل هذه الانماط من الاعمال الشهوانية الطائشة والانحرافات الشيطانية .

٧ ـ ومن أهم طرق الوقاية من القمار وأي ذنب آخر تحسيس المذنب بالعواقب الوخيمة للذنب وإلفاته إلى العذاب والجزاء الوخيم الذي سيصيبه بعد

---

(١٨) نشرة جميعة الامور العامة ص١٣ .

الموت في الحياة الاخرى .

إن القمار نفسه ذنب كبير ، والأموال التي تـأتي من هذا الـطريق ليست ملكاً للرابح المقامر وأي تصرف منه فيها يعتبر محرّماً وذنباً آخر ، وأي ذنب ينتج بدوره ذنباً آخر وهكذا فان النتيجة هي انّ المقامر يصبح إنساناً لا يبالي بـطاعة الاوامر الالهية وسائر التعاليم الدينية . . . وعلى هذا النسق يضيف يوماً فيوماً ذنوباً إلى ذنوبه ويحمل نفسه الشقاء والعذاب الاكبر في الأخرة .

﴿ وَمَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَـةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النّـارِ هَلْ تُجْـزَوْنَ اِلاّ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١٩] .

---

(١٩) سورة النمل ، الآية : ٩٠ .

قيمة العمل ومنزلة العامل

مقدمة

إننا لو دقَّقنا في النظام الكوني أدركنا أن الله تعالى أقام الكون على اساس الحركة والعمل ، وسيَّر الموجودات في طريق تكاملها على هذا الاساس المتين .

إذ نجد الموجودات من الذرة الى الشمس ، الصغير فيها والكبير يؤدي دوراً في النظام العام ، وما ان يتوقف احدها عن النشاط والعمل فانه سيؤثر بمقداره على سير النظام كما انه بتوقفه يكون قد عرقل سيرته نحو الكمال .

والإنسان جزء من هذا العالم فلا ينبغي أن يبقى عاطلاً في عالم من النشاط المستمر ، وليس من الانصاف والتعقل حقاً ان يستفيد موجود من فعاليات الموجودات الاخرى وحركتها دون ان يعطي من نفسه شيئاً لغيره بل يكون مجرد عالة على غيره .

ونحن نعلم انه انما يمكن الوصول إلى التقدم المعنوي والمادي عن طريق العمل والسعي ، ومن لا يتحمل ثقل العمل ولا يريد تجرع الألم سوف يقعد بنفسه عن سيره التكاملي .

وقوانين الإسلام تقدر العمل غاية التقدير بعدما كانت كل قوانينه قائمة

على اساس فطري متين ونظرة واقعية أصيلة شاملة لاشباع كل متطلبات الوجود الانساني ضمن الوجود الكوني العام وذلك خلافاً لبعض الاديان التي تمنع اتباعها من العمل والنشاط وتحبِّذ لهم التقوقع والرهبانية المقيتة .

وقد جاء في أخبار القادة المسلمين قولهم « إياك والكسل . . . »[١] .

ذلك لأن الإنسان يعيش في هذا العالم ولا يمكنه لكي يعيش أن يستغني عن العمل .

الدنيا والاخرة

من الطبيعي انه ينبغي ان لا يربط الانسان كل آماله بالدنيا كما أن من الطبيعي أيضاً أن لا يغض النظر عنها كلياً : فلا تكون الدنيا هي كل الهدف فينسى الاخرة ، ولا يهرب الانسان منها فيلجأ كالمسيحيين إلى المغارات . وإنما يجب جعل الدنيا الفانية وسيلة لتلك الحياة الخالدة في الاخرة .

فإن ترك الدنيا بتاتاً يعني الصراع ضد النظام الكوني وينتهي إلى فناء المجتمع وهو يعني بالنهاية تعويق الانسان عن الوصول إلى أهدافه العليا في الآخرة . . . ذلك ان التفكير الصحيح بالمعاد والاخرة لا يتم إلا في ظل اطمئنان خاطر وبال من الحياة المعاشية وتحرر من همومها .

يقول النبي الاكرم (ص) : « ان النفس إذا أحرزت قوتها استقرت »[٢] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « نعم العون على الاخرة الدنيا »[٣] .

ويقول (ع) : « ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه »[٤] .

ويقول حول الآية الكريمة : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة

---

(١) وسائل الشيعة ، ج١٢ ص٣٨ .
(٢) نفس المصدر ، ج١٢ ص٣٢٠ .
(٣ و٤) نفس المصدر ص١٧ ـ ٤٩ ـ ٣ .

حسنة ﴾ « رضوان الله والجنـة في الآخرة والسعـة من الرزق والمعـاش وحسن الخلق في الدينا »[٥] .

نظرة الإسلام إلى العمل

نحن نعتقـد أن الإسلام دين النشـاط والعمـل لا دين الخمـود والكسـل والضعف . ولإثبات هذه الحقيقة ـ التي بدت خفية على بعض الناظرين ـ يجب أن نقوم بتقييم سريع للعمل والعامل من وجهة نظر الإسلام .

وقبل كل شيء نودّ أن نذكر بان « العمـل » جاء بمعنى الفن[٦] والحـرفة والصنعة ؛ وعليه فان أي فن أو صنعة أو حرفة يتطلب وقتاً من فردٍ ما وله نتيجة ومردود يعتبر عملاً سواء كان ذلك عملاً جسمياً أو فكرياً .

فالعالم الذي يقود المجتمع ويهديـه بعلمه وتحقيقـاته ، والـطبيب الذي يداوي المرضى ، والمهندس الذي يضع خارطة البناء ، والمتحـدث الخطيب الذي يتحدث ليرشد الناس ، والكاتب الذي يخدم الأمة والحضارة بكتاباتـه ، والطالب الذي يتحمل المتاعب في سبيـل العلم . . . كل هؤلاء يعملون وان كانت اعمالهم تختلف من حيث التقييم وسنحاول في فرصـة اخرى ـ إن شـاء الله ـ ان نحدد القيم أولاً ونعيِّن اكبرها قيمة وان كان هذا واضحاً لأولئك الذين ينظرون بعمق ويلاحظون نتائج أي عمل بدقة .

وهذه بعض آيات القرآن الكريم وروايات القادة الحقيقيين « النبي (ص) وأهل البيت (ع) » حول العمل يقول تعالى في القرآن الكريم :

﴿ وَلَقَـدْ مَكَّنَـاكُمْ فِي ٱلۡأرْضِ وَجَعَلْنَـا لَكُمْ فيهـا مَعَـايِشَ قَليـلاً مـا

(٥) نفس المصدر ص١٧ ـ ٤٩ ـ ٣ .

(٦) طبيعي ان بعض الفنون مشروع في الإسلام والبعض الآخر مرفوض وممنوع لانه يعود بالضرر على الافراد والجماعات واخلاقهم .

تَشْكُرُون ﴾[٧] .

وعلى لسان صالح النبي (ع) يخاطب قومه ثمود يقول القرآن الكريم : ﴿ هُوَ اَنْشَأَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيها ﴾[٨] ويقول أمير المؤمنين (ع) في ذيل هذه الآية :

« فأعلمنا سبحانه أنه قد امرهم بالعمارة ليكون ذلك سبباً لمعايشهم بما يخرج من الارض من الحب والثمرات وما شاكل ذلك مما جعله الله تعالى للخلق »[٩] .

ويقول القرآن الكريم أيضاً : ﴿ فَإذا قُضِيَتِ الصَّلاٰةُ فَانْتَشِروُا فِي الْاَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾[١٠] .

وقد قال علي أمير المؤمنين (ع) : « إن الله يحب المحترف الامين »[١١] .

وقال شخص للإمام الصادق (ع) : رجل قال : لأقعدنَّ في بيتي ، ولأصلِّينّ ولأصومنّ ولأعبدنّ ربي ، فأما رزقي فسيأتيني فقال ابو عبد الله (ع) : هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم[١٢] .

وقال أيضاً « ارأيت لو أن رجلاً دخل بيته وأغلق بابه أكان يسقط عليه شيء من السماء »[١٣] .

---

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ١٠ .
(٨) سورة هود ، الآية : ٦١ .
(٩) مستدرك الوسائل ج ص٤٢٦ .
(١٠) سورة الجمعة ، الآية : ١٠ .
(١١) الوسائل ، ج١٢ ص١٣ .
(١٢) نفس المصدر السابق ص١٤ .
(١٣) نفس المصدر السابق ص١٤ .

ويقول الإمام السابع الكاظم (ع) : « من طلب هذا الرزق من حلّه ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله »[١٤] .

ولم يهتم قادتنا وأئمتنا بالعمل والعامل في القول فقط وإنما كانوا يدعون اليه عملاً فقد كانوا هم يعملون ويشوِّقون الآخرين للعمل .

يقول محمد بن المنكدر[١٥] .

« خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارَّة فلقاني أبو جعفر محمد بن علي (ع) وكان رجلاً بديناً ثقيلاً وهو متّكىءٌ على غلامين أسودين ، فقلت في نفسي : سبحان الله شيخ من مشايخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا أما اني لأعظنّه فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ علي بنهر وهو يتصبَّبُ عرقاً فقلت : أصلحك الله شيخ من مشايخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا أرايت لو جاء أجلك وانتِ على هذا الحال ، فقال ، لو جاءني الموت وأنا على هذا الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عز وجل أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وانما كنت أخاف لو أن جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله فقلت : صدقت رحمك الله أردت أن اعظك فوعظتني »[١٦] .

ويقول عبد الأعلى « استقبلت ابا عبد الله (ع) في بعض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحر فقلت : جعلت فداك حالك عند الله عز وجل وقرابتك من رسول الله (ص) وانت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم ؟ فقال يا عبد الأعلى ! خرجت في طلب الرزق لأستغني به عن مثلك »[١٧] .

---

(١٤) وسائل ج١٢ ص١١ .

(١٥) احد علماء السنة ورؤساء الصوفية .

(١٦) فروع الكافي ج٥ ص٧٣ و٧٤ ـ الوسائل ج١٢ ص١٠ .

(١٧) فروع الكافي ج٥ ص٧٣ و٧٤ الوسائل ج١٢ ص١٠ .

شخصية الإنسان بعمله

إن العلاء والشخصية المتكاملة تتوفران في ظل العمل وتحمّل آلامه والراغب في احترام المجتمع وافادته لا بد وان يكون عاملاً والتشكل الحقيقي لشخصية الانسان يكمن في اشتراكه الفعّال في المجتمع ونشاطاته وسعيه الشخصي في المساهمة فيها .

وينبغي أن يعلم شباب الأمّة ان التعطل يشكل ضربة كبرى لشخصيتهم واحترامهم الاجتماعي في حين يكسبهم العمل والاشتغال موقعاً ممتازاً وشخصية محترمة ، وطبعاً حراً سامياً وعزة انسانيّة اصيلة .

إن الإسلام بالاضافة إلى نظرته للعمل كممر للحياة ومؤمِّن للمعيشة اللازمة يُنظر اليه على اساس من مردوده الاخلاقي ودوره في بناء شخصية الفرد المسلم .

يقول المعلى بن خنيس : « رآني أبو عبد الله (ع) وقد تأخرت عن السوق ، فقال : أغد إلى عزك »[١٨] .

وقال رجل للإمام الصادق (ع) : انني لا أُحسن أن أعمل عملاً بيدي ولا أُحسن ان أتَّجر وأنا محارف محتاج . فقال : « إعمل واحمل على رأسك واستغن عن الناس »[١٩] .

وهكذا نجد الإمام (ع) يطلب منه ان يحمل الأحمال على راسه ولا يمدّ يد الحاجة إلى الناس ذلك ان التعطل والاحتياج بالتالي للآخرين يمحو شرف الانسان وعزته .

يقول الإمام الكاظم (ع) : « اليأس مما في أيدي الناس عزّ المؤمن في

(١٨) الوسائل ج١٢ ص٣ .

(١٩) الوافي المجلد ٣ ج١٠ ص٨ .

دينه ومروته في نفسه وشرفه في دنياه وعظمته في أعين الناس وجلالته في عشيرته ومهابته عند عياله وهو اغنى الناس عند نفسه وعند جميع الناس[٢٠] .

ومن الضروري أن نذكّر بنقطة هامة هي ان العمل بكل قيمته وفوائده ، له دوافع مختلفة وبعض هذه الدوافع ليست مستحسنة .

فأحد الدوافع هو رفع الاحتياجات الشخصية ، ولكن يجب ان لا يكون هذا هو الهدف الوحيد بل يجب التوجه اثناء سدّه لاحتياجاته الى سد احتياجات المجتمع وخصوصاً إلى تأمين احتياجات اقربائه والمتعلّقين به والمجاورين له إلى الحد الممكن . فلو سعينا نحو العمل والثروة على اساس هذا الدافع الشريف كان سعينا مشكوراً ولم نكن عبّاد دنيا وانما نحن في الواقع طلاب آخرة .

يقول رجل للإمام الصادق (ع) : والله إنّا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال : تحب ان تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي وعيالي ، واصل بها واتصدق واحج واعتمر ، فقال ابو عبد الله (ع) : ليس هذا طلب الدنيا ، هذا طلب الاخرة[٢١] .

ولكن إذا لم يكن الدافع للعمل خدمة للآخرين ولا سد الاحتياج فإن عمله غير لائق ولا مستحسن .

الكسب الحلال والكسب الحرام

والنقطة الاخرى التي يجب الالتفات إليها هي أن العمل يجب أن يكون مفيداً وصالحاً ولخير الفرد والمجتمع ، أما الاعمال التي تضر الفرد والمجتمع وتخرّب الجسم والروح ، أو تؤثر تأثيراً سلبياً على العفة والاخلاق العامة ، كل

(٢٠) سفينة البحار ج٢ مادة غنى ص٣٢٧ .
(٢١) الوسائل ج١٢ ص١٩ .

هـذه الاعمال يـرفضها الإسـلام ويقبحها . إن المسلم حـر في اكتساب الثـروة والمال إلى الحد الذي لا يوجب الفساد والضرر بالاخرين ولهـذا قُسِّمَ الكسب في الإسلام إلى نوعين : نوع مشروع وحـلال مثل : الـزراعة وتـربية المـاشية والحـرف الصناعيـة ، والتجارة الصحيحـة ، والتعليم والتربيـة وغيـر ذلـك من الحرف والمهن المفيدة غير الضارة .

ونوع آخر غير مشروع ومحـرَّم مثل : بيـع الخمر والمقـامرة وبيـع آلات القمار والموسيقى ، والربا والأعمال الأخرى التي ذكرت في محلِّها بشكل اكثر تفصيلاً .

ومن هنـا فإن الإسـلام يُلْزِمُ المسلم قبل الشـروع في العمـل ان يعـرف الانـواع المحللة والمحرمـة من الكسب ، ويتعلَّم التعاليم الـدينيـة في مجـال التجارة والتعامل لئلا يبتلى بعد ذلك بالانحراف في الكسب .

كان أمير المؤمنين (ع) يقول على المنبر :

« يا معشر التجار الفقه ثم المتجر ، الفقه ثم المتجر ، الفقه ثم المتجر ، والله للرِّبا في هذه الامة أخفى من دبيب النمل على الصفا »[٢٢] .

بمعنى أنـه ما لم يكن المستلم واعيـاً للشروط الـدقيقة للتجـارة وأحكـام المعاملات فإنه لا يمكنه التخلص من حبائل الربا .

تأثير العمل في الاخلاق

ويجب أن يعلم ان لحرفة الشخص أثراً مباشراً على اخلاقه وإذا لم يتأكد الإنسان تمـامـاً عند اختياره لعمله ، واتجه لتجميع الثروة عن طـريق الاعمال غير المشروعة فانه سيضر نفسـه قبل غيـره ويحطم شخصيتـه الانسانيـة . ومن الطبيعي انه لا يمكن للإنسان أن يكون ذا روحية اخلاقية جيدة متفرقة مع كونه

---

(٢٢) الوسائل ج١٢ ص٢٨٢ .

يمتلك عملاً غير مشروع وعليه فإن من يقيم اود معاشه بالربا والغش في الكسب ، وخداع البسطاء والسذج ، والتفنن في ذلك ، والرشوة ، والاعمال المنافية للعفة ، والقمار وبيع الخمر واضرار الآخرين . . . هذا الانسان لا يمكنه مطلقاً أن يكون شخصاً شريفاً ذا فضائل يحمد عليها في حين يمكن للكاسب الصحيح العمل ، والمعلم المجتهد الذي يخدم هدفه أو أي موظف وعامل ومحترف يعيش على حرفة لائقة ويمرِّر معاشه من خلال السبل الانسانية . . . يمكن لهؤلاء أن يحتلوا مكانا إجتماعياً مرموقاً ويمتلكوا شخصيات انسانية حية لا يمكن انكار قدرها .

نعم يجب أن نكون واعين عند اختيارنا للعمل ، فإن العمل سيؤثر ـ إن عاجلاً أو آجلاً ـ في شخصية الانسان ، ويوجد فيها تغييرات مختلفة .

ويجب التأكيد من مشروعية العمل ونظافة البيئة التي نعمل فيها ليكون ذلك خيراً معيناً لنا في تشكيل شخصية اخلاقية تسعى نحو الفضيلة والتقوى وتجنب السوء والرذيلة والعيش الحرام . بل من المستحسن ان لا نقصِّر في اختيار الاعمال المشروعة بل نؤكد من خلال هذه الاعمال المشروعة على تلك الاعمال الاسمى والاكثر نتيجة .

يقول الإمام الصادق (ع) : « إن الله عز وجل يحب معالي الامور ويكره سفسافها »[٢٣] .

مسؤولية الآباء في عمل ابنائهم

والنقطة الاخرى التي تؤكد اهمية العمل في الاسلام هي المسؤولية التي يضعها على عاتق الاباء مقابل تشغيل ابنائهم ، فالإسلام يوظف الأب ـ ضمن مسؤولياته الاخرى ـ كي يهتم بشغل الابن وآثاره على مصيره ويتدخل بحرارة

---

(٢٣) الوسائل ج١٢ ص٤٧ .

ومراقبة في اختيار العمل المناسب له .

يقول النبي الأكرم (ص) : في مجال (حقوق الابن على الأب) مخاطباً علياً (ع) « يا علي حق الولد على والده ان يحسّن اسمه وادبه ويضعه موضعاً صالحاً »[٢٤] .

وهذا الأمر بنفسه من الموضوعات التربوية الهامة التي يجب ان لا يغفل عنها الاباء مطلقاً .

(٢٤) الوسائل ج١ ص١٢٣ .

أبي ! أمي
أقبِّل يديكما ، ولكن لماذا ....؟

أبي ! أمي ! اشكركما ولا أنسى محبتكما أبداً فوجودي منكما وبدني وروحي مرهونان للمشاق التي تحملتماها فما اكثر فضائلكما اني لخجل حقاً إذ لا استطيع ابداً ان اشكركما وأجازيكما بما ينبغي للآلام والأتعاب التي تحملتماها من أجلي . . . كنت صغيراً ضعيفاً وكنت مشقة كبيرة لكما ولكنكما أمطرتماني رحمة وحناناً وأخذتما بيدي وربيتماني بعرق الجبين وبهجة القلب . وقد بذلتما في سبيلي كل منافعكما ، لا طمعاً في شيء وإنما لإسعادي ، وبدون ان تنتظرا جزاءً قمتما بتمريضي وإعانتي على حياتي حينما كنت لا اقوى على ان اشد بيد أو أمشي برجل ، سهرتما من أجلي وبذلتما وقتيكما لئلا تؤذي راحتي ذبابة تطن حولي ، وحينما كنت لا افقه شيئاً كنتما تراقباني بحذر ودقة لئلّا اقع في خطر .

انتما في مقام سام بحيث يذكركما القرآن مع ذكر الله ويجعل الاحسان لكما مع الاحسان لله تعالى فقال :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ اَلاّ تَعْبُدُوا اِلاّ اِيّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ اِحْساناً ﴾[1] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

وانتما في مقام سام من الاحترام بحيث ان الله امر الابناء بخدمتكما وعدم أذيَّتكما حتى بلفظ (أفّ) .

﴿ إمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ اَحَدُهُما أوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما اُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُل لَهُما قَوْلاً كَريماً ﴾[٢] .

وما أروع كلام الإمام الرابع زين العابدين (ع) حيث يقول :

« واما حق أمِّك فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي احدٌ أحداً ووَقَتْكَ بجميع جوارحها ، ولم تبال ان تجوع وتطعمك ، وتعطش وتسقيك وتعرى وتكسوكَ ، وتضحي وتظلَّلك ، تهجر النوم لأجلك ووَقَتْكَ الحَرَّ والبرد لتكون لها فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه »[٣] .

« وأما حق ابيك فان تعلم انه اصلك فانك لولاه لم تكن فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم ان اباك اصل النعمة عليك فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلا بالله »[٤] .

نعم يا ابي وامي : اعرف مقاميكما وأقيِّم شخصيكما واعلم انه يجب ان اطيعكما عغلى اي حال وأسمع لأوامركما اللهم إلا أن تأمراني بسوء ـ والعياذ بالله ـ فيجب أن لا اتبعكما لأن امر الله فوق أمريكما ﴿ وَانْ جاهَداكَ عَلى اَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً ﴾[٥] .

---

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .
(٣ و٤) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦٢١ و٦٢٢ طبع مكتبة الصدوق .
(٥) سورة لقمان ، الآية : ١٥ .

مقام رفيع ومسؤوليَة أرفع

امي العـزيزة وأبي الكـريم ! إن الله جعل احتـرامكما والشكـر لكما من الواجبات ولكنه مقابل ذلك جعل عليكما مسؤوليّات جلًى ووظائف كبرى . . . انها مسؤوليات التربية الـروحية لأبنـائكما والتخـطيط الصحيح لبنـاء الشخصية الاخلاقية والدينية لهم .

أبي : لقد كان اللازم عليك أن تختار زوجة من الافراد الطاهرين الشرفاء المصونين النجباءو وتتجنب الحسنـاء في منبت السوء والعـوائل الفـاسدة اللواتي ليس لهن إلا حسن ظاهري عابر فإن مثل هؤلاء النسوة كنبات اخضـر نما في مـزبلة ومحـل قذر يقـول الرسـول الاكرم (ص) : « إيـاكم وخضراء الـدمن . قيل يـا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء »[٦] .

وكان هذا الواجب عليك لئلا يتصف إبنك بحكم الوراثة أو التربية الأوّلية في حضن الأم بالصفات السيئة ويتلوث بأوبئة الفساد وانت يا أمي ايضاً ! .

كان يجب عليك أن تتوجهي منذ الأول فلا تنتخبي زوجاً تخدعين بمظهره المكّار أو ماله أو جاهه بل تعملين الدقة في اختيار رجل كامل ، قدير عـالم ، واعٍ ، في شخصية متماسكة طاهرة متديِّن غيور وقد قال الصادق (ع) : فإن من زوَّج ابنته لشارب خمر فكأنما قادها إلى النار[٧] .

ومن المسلَّم به ان سائـر المفاسـد في الرجـال توجب انـواع الشقاء في الحياة الزوجية والانحراف في تربية الاطفال .

نعم ابي وامي العزيزين ! فقد كانت هناك مسؤوليات عديدة تنتظركما بعد ان عقدتما رباط الزوجية باختيار الزوج اللائق وشروع الحياة المشتركة ؛ وكان

---

(٦) بحار الأنوار ج١٠٣ ص٢٣٢ ووسائل الشيعة ج١٤ ص٢٩ .

(٧) وسائل الشيعة ج١٧ ص٢٤٩ .

اي تقصير في أداء اي منها مؤثراً في مصير اولادكما فلماذا لم تراعياها ولم تعتنيا بها مما أنتج نشوئي في محيط منحرف أنا الآن مبتلى ، فبدلاً من ملامتي إعملا على مساعدتي ، واسمعا إلى آلام قلبي التي أبثُّها اليكم ، خذا بيدي ، وانقذاني من هذا الوحل المميت . . . أنا متألم بالمقدار الكافي من هزائمي وشقائي فلا تقطعا أملي بتقريعكما ودعائكم علي . . . انتما تريان عوامل كثيرة اخرى قد ساعدت على انحرافي من مثل المحيط الملوَّث ، والتعاليم والدروس المنحرفة التي بثتها وسائل الاعلام ، والأفلام المعيَّنة ، والنشرات والصحف والمجلات القذرة المنحرفة . . . إنها كلها جرتني للهاوية فلا تبعداني انتما بجفائكما وإعراضكما . . . ولا تمطراني بوابل الألقاب القاتلة (ملوث) (كافر) (منحرف) . . . فتصبَّان في جرحي ملحاً وتساعدان على شقائي .

انظرا !! فاني بعد كل هذا الشقاء اصطدمت بصخرة الواقع فعرفت غلطي وأدركت ان طريق السعادة مفتوح بلطفه تعالى وإن كان الامر يحتاج إلى سعي استطيع معه ان أعبِّد طريق الرجوع إلى الصواب .

وعلى أي حال فقد صممت واريد الرجوع وسأرجع حتماً وأعوِّض عن الماضي . ولكني بكل اعتذار اريد أن استعرض الوظائف الاخلاقية والدينية والانسانية التي يحملها الأبوان تجاه مصير الإبن ، عسى ان يكون ذلك لكما ولسائر الآباء مصباحاً ينير الطريق لحل المشاكل فلا يبتلى الأبناء في المستقبل بنفس المصير الذي ابتليت به .

التربية العائلية

تُرى هل تعلمان ان الأب والام قبل غيرهما مسؤولان عن تربية ابنائهما وان بناء كل انماط التربية المستقبلية تقوم اسسه بأيديهما . . . فإن الطفل الذي لا يسمع فعلاً والذي يمتلك ذهناً منفعلاً جاهزاً لتقبُّل أي نوع من التعليم يستمد مثلَه ونماذجَهُ من كبار العائلة ويكتسب اخلاقيته منهم .

فهل انت يا أبي وانت يا أمي في تلك المرحلة الحساسة مـرحلة ضعفي وجهلي كنتما تقومان بوظائفكما ؟ وهل كنتما تسلكان سلوكاً إسلامياً ودينيـاً مع افراد العائلة ؟ وهل كنتما تجتنبان الكذب والنفـاق والخيانـة والفجور والكـلام النابي ؟ وهل كنتمـا تقومـان بالسلوك الاسـلامي الحسن وتعتادان عليـه ؟ وهل كنتما تعملان بما تقولان لكي يؤيِّد العمل القول ! أو انكما كنتما تعملان خلاف ما تقولان فتعود اقوالكما صوراً مرسومة على صفحة الماء ؟

الحرية أو العنف

يتصور البعض من الآباء والامهات انه يجب ان يعطى الطفل كل الحرية ليفعـل ما يـريد وإن لم يكن فعله لائقـاً ، ويذهب إلى أي مكـان يشاء ، واي مجلس كان وإن كان ذلك المكان بؤرة فساد وانحراف ، وهذا النمط من التربية مغلوط ويوجب الانحراف والميوعة والتحلُّل لدى الطفل . ولأنه لم يجد مطلقاً مقاومة مقابل تحقيق ما يشتهيه من امور حسنة أو قبيحة فهو ينمو انسانـاً سريـع الغضب متطلباً للراحة والكسل وهذا هو ما يبعثه لعـدم النمو الفكـري والنضج الروحي .

هـذا في حين يبني البعض على انه يجب في اسلوب التـربية أن يكـون الإنسان عنيفاً بكل ما يستطيع ، فهناك ضرب موجع لكل خطأ من الطفل ، وكل نوع من أنواع الارشاد والتوجيه يجب ان يصاحبه ثورة عصبية وصياح والفاظ نابية تماماً كما يقف الإنسان أمام المحقق العدلي الظالم ليعترف بجـريمة منكـرة . كما يعتقدون بـأن النظرات التي تتـطلب خير الـطفل يجب ان يصحبهـا صراخ وعنف وكأن الاب قائد عسكري ذو رتبة عالية يصدر امره في جبهة القتـال إلى جنوده . . .

إن نتيجة هذا الاسلوب ليس إلا تحطيم شخصية الطفل والمنع من تفتق براعم استعدادته وخلق عقدة حقارة في روح الطفل وايجاد نوع من الكمبلكس في روحه ، أي العُقد .

وترى هل كنتما تعلمان بأن هذا الافراط والتفريط في تربية الأولاد لم يكن امراً مقبولاً ؟ وهل كنتما تعلمان أن اسلوب الإسلام يخالف المنهجين ؟ وهل علمتما أن الإسلام يقول : انه يجب اعطاء الطفل في بعض الامور الحرية وتختص الشدة ببعض الامور الاخرى المعينة .

ابي ! امي ! ان كنتما قد اطّلعتما على المسائل الاخلاقية والتربوية في الإسلام واهتممتما بها وعملتما بموجبها كنتما تستطيعان تقوية الاسس العقائدية والاخلاقية لأولادكما وكنتما تستطيعان بعد تأطير الجو العائلي بالمحبة والمساواة والتألف ، أن تبذرا في قلوب الاطفال المحبة والعاطفة والفضائل الأخلاقية وتربيانهم مسلمين حقاً .

وهل سمعتما نداء النبي (ص) حيث يقول :

« أعدلوا بين اولادكم كما تحبون ان يعدلوا بينكم في البِر واللطف »[٨] .

كان من اللازم عليكما ان ترفضا العنف الذي لا ملزم له والتفرقة التي لا مبررّ لها بين الاولاد لئلا ينشأوا عصاة مردة ، يقول (ص) :

« رحم الله من أعان ولده على بِرِّه ، قال الراوي قلت كيف يعينه على برّه ؟ قال يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه ولا يخرق به »[٩] .

ويقول ايضاً :

« أن يعفو عن سيئته ويدعو له فيما بينه وبين الله »[١٠] .

التأثّر العميق السريع

أبي ! أُمي ! لأنكما لم تكونا ملتفتين لواجباتكما ، أو كنتما غير مهتمين

---

(٨) بحار الأنوار ، ج١٠٤ ص٩٢ .

(٩) وسائل الشيعة ج١٥ ص١٩٩ .

(١٠) بحار الأنوار ج١٠٤ ص٩٨ .

بها فلم يكن حظي من البيت عدم التربية السيئة فحسب بل كانت الزيارات وانواع المعاشرة من موجبات دسّ المعلومات المنحرفة في نفسي وزرع الانحراف في وجودي . وقد كانت لبعض اللقاءات وخصوصاً في بعض المجالس الليلية والسهرات ـ من التأثير بحيث تركت فيّ اثراً عميقاً اغرق وجودي .

أليس الطفل حساساً جداً ؟ إنه أشد حساسية من جهاز استقبال دقيق ؟ أليس الذهن آنذاك يتقبل ما يتقبله كنقش على حجر ؟

ولكنكما لم تكونا غير مهتمين في وضع أُسس اخلاقي وعقيدتي في البيت فحسب بل اغفلتما هذه الحقيقة أيضاً وبدلاً من ضبط لقاءاتي ومعاشرتي ، وبدلاً من تعريفي على الاشخاص الصالحين الأبرار ، والذهاب بي إلى المحافل العلمية والمجالس الدينية لأتربى هناك وأهتدي . . . بدلاً من كل هذا ـ وبلا أي احساس للمسؤولية أخذتماني معكما للمجالس الموبوءة المنحرفة ! .

ترى هل فكرتما ان هذا الطفل النزيه البريء سوف يتأثر بكل الحركات ، والأقوال ، والهيئآت السخيفة للأفلام التي كنتما تصطحبانه اليها ، ويحفظها في ذهنه الطاهر ثم يستفيد في مرحلة الشباب من هذه المخزونات ويستلهم سلوكه منها ويعيِّن مسيرته في الحياة طبق تلك المثل الواهية والسخيفة وبنفس اتجاهها ؟

وإني لأتساءل ـ واقعا ـ :

. . . لماذا لا يلتفت الآباء والأمهات الذين يملأون أوقاتهم باللهو والطرب ولا يلتفتون لسعادتهم . . . لماذا لا يلتفتون ـ على الاقل ـ إلى مصير اولادهم الذين يمرون بمرحلة التقبل والانفعال الشديد الحساس ولا يشركونهم في مجالس الذنب والانحراف ـ مجالس الرقص والشراب والقمار . . . وباقي

الانحرافات ، ولا يلوِّثون مستقبلهم مثلهم .

بالله عليكم أيها الآباء إرحموا أطفالكم الأبرياء .

أي أم وأب يقدمان عن سابق اصرار وعمد على تقديم الطعام المسموم لأولادهما ، وإذا وجدا فيهم مرضاً خبيثاً لا يسرعان لعلاجهم ؟ إن من المسلَّم به أنّ مثل هذا معدوم وان وجد هذان الأبوان فليسا هما بإنسانين .

فلماذا إذن نجد نفس هؤلاء الآباء المحبين لا يفكرون مطلقاً في التسميم الفكري والأمراض الاخلاقية لأطفالهم ؟ لماذا لا يمنعان براعمهما العزيزة من الامراض الروحية ؟ ألا يلتفتان إلى ان التسميم الفكري والمرض الاخلاقي اشد خطراً بكثير من التسميم الغذائي والمرض البدني ؟

ألا يعلمان أن هذه المتع المنحرفة القاتلة للفضيلة ، وهذه المجلات والنشرات القذرة الملونة ، وهذه البرامج الّتي تقتل وقت الانسان الثمين بالتّوافه والدروس السيئة سواء من الراديوات أو التلفزيونات أو الافلام المعيَّنة وغيرها من مبتدعات الفساد . . . ألا يعلمان انها تستتبع اخطر انماط التسمم الفكري والمرض الروحي ؟!

ابي ! امي ! لماذا لم تفكروا بكل هذا الشقاء ! لِمَ لم تفكروا في أنّ اتّباع تلك البرامج ، وسلوك سبل اللذة الحرام ، وتناول كل تلك الوجبات الفكرية الملوثة سيلقي مصيركم ومصير اولادكم في يد العدم والضياع والانحراف . . .

أبي لماذا بدلاً من شراء المجلات الخليعة لم تشتر الكتب المفيدة البنّاءة وتجلبها معك إلى البيت ؟ لِمَ لم تعرِّف ابناءك أبداً على الكتب الدينية والأخلاقية والعلمية ولم تشوِّقنا لقراءة مثل هذه الكتب ؟ ولماذا لم نكن نملك في البيت كتاباً واحداً يتحدث عن حياة الرسول الأكرم (ص) وحياة الأئمة (ع) وسلوكهم وأقوالهم ؟

لماذا في حين كنت ترى ان الاطفال الصغار في البيت يعرفون اسم

الراقصات والمغنيات المعاصرات الداخليات والخارجيات لم يكن هناك أي ذكر لشخصيات مثل سلمان ، وابي ذر ، والمقداد وعمار بن ياسر ؟ ولماذا كانت معلوماتي عن الإسلام تتلخص في بعض المواضيع البسيطة التقليدية ؟ أما القرآن وهو كتاب الله كتاب العمل وبرنامج العمل والحياة الاسلامية فلم اره إلا في زاوية مهملة من الرف العالي أو في مجلس الفاتحة ! عجباً وأسفاً هذا الكتاب العظيم الذي هو أساس كل المعارف الاسلامية الوسيعة ، الكتاب الذي هو كما يقول النبي الأعظم (ص) :

« إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى »[١١] .

هذا الكتاب لم اكن اعلم عنه شيئاً ولم اعرفه حقا . . . ولكن هل أنا المقصِّر لوحدي ؟ أو أنت معي ايضاً ؟

لقد كنت في صغري كالشمعة المائعة في أيديكم اقبل التشكل بأي شكل تشاؤون ، وكنتم تستطيعون أن تصوغوا مني فرداً مستقيماً مسلماً متقياً ، خائفاً عابداً لله وخادماً للمجتمع . فلماذا والحال هذه لم تقدموا على أيَّة خطوة في هذا السبيل لصالحي ولصالح مستقبلي ؟ أعلم أن المحيط متلاطم بالأمواج العاتية ، ومراكز الفساد ليست قليلة ، وأعلم أن عوامل الانحراف والتلوث كثيرة . . . ولكن المحافل المفيدة والمجالس العلمية والدينية والتربوية المنيرة للعمل متوفرة أيضاً فلماذا لم تشركني في هذه المجالس ؟ ولماذا لم تعرِّفني على العلماء الواعين المتقين ؟ لماذا لم تهدني إلى مجالسهم ومكاتبهم المربِّية وهي مدارس القرآن وأهل البيت ؟ لكي يجيبوا على تساؤلاتي الروحية ، ولكي يرفعوا الاشكالات التي طرحتها الدعاية الكافرة . لئلا أنظر لديني بعد ذلك أفيوناً للشعوب وعاملاً رجعياً لمسيرتها التقدمية .

أبي أمي ما أجمل عملكما لو أنكما كنتما في مجالسكما الاسبوعية والشهرية التي كنتما تقيمانها طبق العادة كنتما تدعوان الخطباء والأفاضل الواعين من العلماء المتَّقين الذين يمكنهم ان يعرفوا الاسلام بعمق وذلك لكي أحصل

ـ وانا مجبور على الحضور في هذه المجالس ـ على معرفة جيدة عن قوانين الاسلام . . . اسفاه . . . لم تفعلا هذا العمل البسيط ايضاً . . . وكنتما في الواقع بعيدين عن هذه المعاني ولم تفكرا فيها .

الآن فقط عرفت ان هناك وهنا من أرجاء مجتمعنا توجد مجالس دينية ، ومحافل بنَّاءة ومفيدة وكتب مربِّية وأفراد متحرِّقين واعين ولكني كنت غريباً عنهم ألم يكن واجبك يا أبي يملي عليك أن تعرِّفني بهم وبهذه المجالس ومثل هذه الكتب ؟

الإشراف على التعليم

ترى هل كنتما في عهد دراستي تلتفتان إلى الجهات الأخلاقية والدينية لمعلميَّ وكيفية الدرس ومادته . . . ؟

وهل تساءلتما وحققتما عما أدرسه وما أراه وما أسمعه وأين أذهب ، ومع من أجلس ، والخلاصة كيف أدرس ؟

وهل تساءلتما يوماً : لماذا تأخرتُ وأين كنتُ وما كنتُ افعل ؟ هل سألتماني : مَنْ أصدقائي ، وما هي وظيفتهم ومن أي عائلة وما هي روحياتهم ، ولماذا صادقتهم ؟ وهل ذكَّرتماني يوماً بأن من الممكن أن يكون بعض الأحبة عن شعور أو لا شعور مصدر خطر عليّ وأن مجالستهم تجرُّ عليَّ وبالاً وتلوثاً وضياعاً واعتياداً على المسكرات وتحللا ؟ ألم تكن هذه المراقبة بعهدتكم يا والدي ؟

أنا أعترف بأني لم اكن غير مقصر ولكن كل المسؤوليات لم تكن بعهدتي .

أبي لقد كان ينبغي بحكم وظيفتك الدينية أن تعلمني ديني ولكنك لم تكتف بعدم تعليمي بل كنت تمنعني ذلك لقد كنت تطمع فقط أن يتعلم ابناؤك ويتقدموا في دراستهم أو يحصلوا على فن وحرفة يمتلكون من ورائها في

المستقبل مصدراً مالياً محترماً ويحصلون على مال اكبر وعنوان وشهرة واسعتين ولم تكن تفكر يوماً ما بمعنوية ابنائك .

أبي ! هل تعلم أن نبي الإسلام (ص) كان يتألم من هؤلاء الآباء فيقول : « ويل لأولاد اخر الزمان من آبائهم فقيل يا رسول الله من آبائهم المشركين ؟ فقال لا من آبائهم المؤمنين لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض وإذا تعلَّم اولادهم منعوهم ورضوا عنهم بعرض يسير من الدين فأنا منهم بريء وهم مني براء »[١٢] .

موضوع الزواج

أبي ! أمي ! هل كنتما تعلمان بأهيمة الزواج وتأثيره الكبير في حفظ الانسان من الانحراف والتلوث ؟ وهل سمعتما قول الرسول (ص) وطبقتماه « من تزوج أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر »[١٣] .

ومع أن الإسلام سهَّل الزواج وألغىٰ كل التشريفات والرسوم الثقيلة فقد كنتما تفكران في اختيار زوجة لإبنكما من العوائل الثرية المعروفة ذات المقام الاجتماعي الفريد وهكذا القيتماه في النتيجة في براثن شعل الفريزة ولم تفكرا في عواقب تصوُّركما . . . إذ متى كان الابوان لا يشعران بأن الزواج من الحاجات الطبيعية للأبناء ويقيدان انفسهما في مجال اختيار زوجته بقيود الجمال الظاهر والثروة والمقام ويغفلان عنصر الاخلاق والنجابة فإن النتيجة ليست إلا الابتلاء بمشاكل التشريفات المغلوطة وبهذا يتأخر زواج الشباب وكلما تأخر صار في معرض التلوث والانحراف وتزداد الجرائم يوماً بعد يوم .

ها أنا ـ بعد سنين من الشقاء والضلال والانحراف ـ اجدني لا أضرّ إلا

---

(١١) الوافي ج٢ ص٢٦٠ .
(١٢) مستدرك الوسائل ج٢ ص٦٢٥ .
(١٣) وسائل الشيعة ج١٤ ص٥ حديث١١ ، ١٣ .

نفسي وأبذّر عمري ، والآن إذ استعرض ما مرّ بي اقوم بوضع تصميم محكم يخلّصني من العاقبة التي انتهيتما إليها ويجعلني واعياً لوظيفتي تجاه أبنائي .

وإني لأحذّر كل الآباء والأمهات وأطلب أن يتأكدوا من واجباتهم ولا يخطّوا بأيديهم سبل شقاء أبنائهم ، وأذكّرهم بالتفكير خصوصاً بالنقاط التالية والسعي لمراعاتها :

أن يتخذوا جانب الدقة والحيطة في برامجهم التربوية لأطفالهم .

أن يشرفوا تماماً على المجالات الدراسية ، ومحيط الدراسة وشغل الإبن وحرفته .

أن يراقبوا أنماط المعاشرة ، والذهاب والإياب ، واللقآت والصداقات التي يعقدها الأبناء ويذكروهم بأخطار ذلك .

أن يسعوا لملء ساعات فراغ أطفالهم بأنماط من الترويح والمتعة السليمة كمطالعة الكتب والنشرات العلمية والدينية والاخلاقية البنّاءة مع توفير بعض الهوايات المفيدة الأخرى .

أن لا ينسوا الحاجة الطبيعية للفتيان والفتيات في الزواج ولا يؤخّروا ذلك بلا مبرر ، ولا يضحّوا بمصالحهم وسعادتهم فداء لمتطلبات الأبوين السخيفة .

أن يسعوا ليكونوا هم صالحين فيكون أبناؤهم مثلهم وأن يلتفتوا إلى أن أي سلوك وأيّ قول يصدر منهم سوف يؤثر بشكل أو بآخر في روحية الطفل .

التغذية الفكرية للشباب وتتم بتهيئة الكتب والنشرات المفيدة ، والاشتراك في المجالس البناءة والمعاشرة مع العلماء الواعين المتقين .

أبي ، أُمي :

إذا كنت قد قلت الحقيقة مكشوفة ، وانتقدتكما بشدة فإني اعتذر لأنه ، يمكن أن لا يقع عبء التقصير كلّه عليكما ؛ فإن عوامل الفساد والضلال كثيرة ،

البيئة الفاسدة ، التعليمات الاجتماعية المغلوطة ، وسائل الاعلام ، الأفلام المسمومة بعض الكتب ، وباقي الأيادي الاستعمارية الخفية التي تعمل بجد متين على أن تجر الشباب نحو الانحراف . . . كل هذه العوامل كان لها دورها الرئيس في جرّنا نحن الشباب إلى الضلال .

ولكن في نفس الوقت لو أنه توفرت لنا تربية صحيحة وعقيدة قوية ووعي ضروري للإسلام لم نكن لننحرف بهذا الشكل وكنا ننجو بقوة الإيمان من دوامات الغرق الهائلة .

وفي الختام

أشكر الله جلّ وعلا على ألطافه التي لا تعد ، والذي يقبل التوب ويغفر الذنب ولا يحرم الضالين من رحمته ، ولا يبخل بعفوه وتوبته على المذنبين العائدين اليه . . . فتح طريق السعادة للجميع لكي يستطيع المنزلقون إلى الضلال مثلي أن يعودوا ويواصلوا طريق التكامل الانساني وإن كانوا قد ربُّوا في بيئات فاسدة .

نظرة البعد الواحد

لا ريب في أن اولئك الذين يـركزون نـظرهم على بعد واحـد هم اناس نـاقصون لأن وجـودهم يتلخص في ذلـك البعـد لا غيـره . . . في حين انهم جاهلون باحتياجات الانسان المختلفة الاخرى . . . انهم يقيسون كل واقعيات الحياة بمقياس واحد ولا ينظرون إلا من منظار واحد وإلى جانب واحد فقط .

إنهم على قسمين :

١ ـ اولئك الذين يظنون أن دافعاً نفسياً معيناً هو المحرك الاصيل لنشاط الانسان والمؤثر الواحد في الروابط الفردية والاجتماعية .

٢ ـ اولئك الذين يعتبرون أن هناك دوافع نفسية متعددة إلا أنهم يؤكدون على احد هذه الـدوافع على انـه الدافـع الرئيس المؤثـر تأثيـراً كلياً ويـرون أن البشرية تندفع في سلوكها بهذا الدافع الجبار المتحكم .

ولسنا نحاول هنا مطالعة اقوال هـذين الفريقين وحصـر وتمييز المـدارس المتطرفة وتصنيفها إلى هذه المجموعة أو تلك . . . بل نريد أن نبين النواقص والتساهلات الأساسية لمثل هذا الاسلوب من التفكير .

وعندما نتصفح التاريخ يطالعنا تاريخ اسود لهؤلاء ونعرف ان في كل عصر كانت تبرز نظرات « ذات بعد واحد » .

ففي عصر « سعدي » المتكلم والشاعر الشيرازي وامثاله كان معيار الشخصية قائماً على اساس التمكن من زمام الأدب . . . فقيمة الشخصية وعظمتها يقاس بمقدار تضلعها في علم النحو والأدب وصاحبها حينذاك استاذ واع عميق ، وهكذا كان التكامل الانساني يقاس على هذا الاساس وفي ظل العلم والقدرة .

ولهذه الجهة كان الناس بعيدين عن مشاكل العصر ، والعواقب السيئة لسيطرة الأجانب على الدين ، والتفكير في رفع مستوى الفقراء المفترشين للتراب وعشرات المسائل الضرورية الاخرى .

نعم عندما يكون المرض متفشياً في المجتمع قد لا يدرك الناس ضرر المرض ويظنون انهم يعيشون في مجتمع سالم .

البعد الواحد في مذهب ماركس

ويمكننا القول بأن أعظم ازمة وثقل لنظرية البعد الواحد تتمثل في مذهب ماركس حيث يتصور هو واتباعه ان القوى المنتجة تشكل أساساً لكل المسائل السياسية والحقوقية والظواهر الفكرية والدينية وغيرها .

ونحن نسأل : لو أن المجتمع كان يمتلك اقتصاداً سليماً وان الافراد وصلوا إلى حقوقهم الاقتصادية فهل يستغنون عن أي شيء آخر ؟ وهل لا يبقى لديهم امل آخر أو ضالة ينشدونها ؟ وهل لا يبقى مجال للتساؤل عن المبدأ وسر الخلق وإلى اين المسير على لسان الناس وضمائرهم ؟

ولا شك في أن مذهب ماركس مع تصوراته المغلوطة عن الكون لا يمكنه أن يستوعب كل ابعاد الانسان ذلك لانه يحصر الوجود بالمادة ولا ربط له مطلقاً بالابعاد الروحية المعنوية والاحتياجات الداخلية العميقة للانسان . فالانسان في نظر ماركس واتباعه وسيلة انتاج تقف إلى جنب الفأس والمطرقة وأمثالهما .

والحقيقة أن الماركسية لم تكن المدرسة الاولى والاخيرة في التاريخ والتي ركزت على جانب معين واغفلت الجوانب الاخرى وارجعت إليه كل انماط الغضب والمودة ، والتجاذب والتدافع والتعايش والتنافر ، والاحترامات والانتقادات وكل حوادث التاريخ الانساني وتقلباته . . .

فهذا فرويد جاء بمدرسة اخرى ، مدرسة عاهرة وضيعة مخيفة تقع فريسة في شباك عامل اخر ـ فينظر إلى العالم البشري بمنظار الغريزة الجنسية لا غير فهو يبحث بنظرة فاحصة في الظواهر ، وانماط السلوك ، والتنافرات والميول عساه يجد في كل هذه الأمور اثراً للعامل الجنسي فيفسرها به لا غير .

إنه يعتقد أن كل العقد والاحساسات بالنقص تشكل ردود فعل للكبت الجنسي في حين أننا نعلم أن الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع التي لها كلها تأثيرات في شخصية الانسان ولاجل اشباع احتياجات الانسان إشباعاً صحيحاً وتأمين سعادته الشاملة فردياً واجتماعياً لا يمكن أن نهمل أياً منها بل نحسب حساب الجميع .

العنصرية

وتعتبر العنصرية نموذجاً آخر من نظريات العامل الواحد والنظرة المركزة على بعد واحد حيث يعتبر العنصر الواحد هو (العنصر النقي) في حين تعتبر العناصر الاخرى عناصر متأخرة في سلَّم الرقي الاجتماعي .

فهؤلاء اليهود يُسمُّون أنفسهم «شعب الله المختار» ويعتبرون باقي الشعوب عبيداً أو حيوانات مملوكة لهم ويجيزون لانفسهم أن يسلكوا أي سلوك مع اعدائهم[1] .

---

(١) يراجع (اليهود بين الدين والتاريخ للدكتور ضابر عبد الرحمن طعيمة ص٥٥٠ طبع مصر وما بعدها وكتاب (الصهيونية في فلسطين) لصبري جرجيس .

وهذه توراتهم المحرَّفة نفسها تشهد على جناياتهم ومذابحهم العامة القاسية في اراضي الآخرين[٢] .

وهذا هيتلر القائد النازي يعتبر احد قادة العنصرية حيث كان يرى العنصر الجرماني أقوى العناصر وأسماها ويرى أن الحكم والتحكم في العالم إنما يليق به دون غيره وكلنا يعلم كيف اشعل هيتلر في سبيل تحقيق هذه العقيدة حرباً طاحنة وحملها على البشرية وبالتالي لم يخسر هيتلر موضوع ايصال العنصر الجرماني والمانيا إلى القيادة والنصر فحسب بل صار سبباً لتقسيم المانيا إلى قسمين : شرقي وغربي وضياع الوجود الالماني وانهزامه وذلته أمام الحلفاء .

ونحن نجد فعلاً المسألة العنصرية في بعض الاقطار الاوروبية كإحدى المشكلات الرئيسة التي لم تحلّ بعد إذ أنه في بعض الولايات لا يقبل البيض ابداً بالتعايش مع السود الذين يعيشون في الحرمان والضغط ، وعليهم أن يتحملوا هذا الحرمان وشظف العيش لا لشيء إلا للون بشرتهم ، في حين أن أي عاقل لا يمكنه أن يقبل أن يعيش الاخر في الحرمان والشقاء لأن لونه اسود .

نعم إن العنصر لا يؤثر في إنسانية أي انسان والتفوق العنصري ليس اكثر من خرافة . . . إن الإنسان إنسان بعلمه وعقله وفضيلته لا بلونه الفاتح أو رشاقته أو عضده القوي .

* * *

أما الأن فلنرجع إلى مجتمعاتنا المعاصرة نحن ونحاول استجلاء بعض مواقع هذه النظرة فيها :

فإن البعض من الناس تقبلوا الإسلام على أنه مجرد طقوس عبادية ولم يعيروا بالاً لأيٍّ من الواجبات الاسلامية الاخرى فهم يلخصون الإسلام في سجادة ومسبحة .

---

(٢) التوراة سفر التثنية الفصل الثاني الاصحاح ٣٢ ـ ٣٤ .

ونحن لا ننكر حقيقة أن الاعمال العبادية هي من اركان الإسلام وتشكل في محلها جزءاً حياً يوجب نجاة الإنسان وله دخله في مسيرته الحضارية ولكن لا بالشكل الذي يغض النظر فيه عن سائر المسائل الحياتية ويترك فيه الكسب والعمل والزوجة والاطفال والوظائف الاهم فردية أو اجتماعية وتصرف كل الطاقات في العبادات وتنسى الواجبات الاخرى وتُذكر لها اعذار مختلفة فلا نفكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً وبناء النفس وتربية الاخرين ولو بمقدار واحد بالمائة من تفكيرنا بالسجادة والمسبحة .

وهذا هو الغلط الكبير والنظرة إلى جانب واحد والمتغافلة عن الجوانب الاخرى في الانسان .

ونجد الفريق الاخر من الناس يركزون على جانب (الطهارة) البدنية وهي من اسهل الاحكام الاسلامية فيصلون فيها إلى حد (الوسوسة) في حين لا تجدهم يهتمون للغيبة والكذب والقبائح الاخرى .

ومجموعة اخرى تعتبر الدين مجرد (طهارة القلب) أما النشاط والسعي العلمي الإسلامي فهي امور المسؤولية والوظيفة وليس لديهم دليل إلا أن غرض الدين هو (صفاء القلب) فحسب فإذا قِيْلَ لاحدهم : لا تشرب الخمر قال : (دعنا يا هذا وليكن قلبك صافياً) وهكذا وبهذه العبارة الجوفاء يتخلى عن تحمل المسؤولية ويبرىء نفسه ويتصور نفسه طاهراً رغم تلوثه بآلاف الذنوب والرذائل الاخلاقية ويعتقد انه وإن كان في الظاهر شريراً ملوثاً إلا أن له باطناً يفوق المرآة صفاء وجلاء .

هذا في حين تجد البعض يتحدث دائماً عن محبة أهل البيت (ع) ومع انهم يتصورون محبتهم أساساً للإسلام فهم يغفلون عن الآداب والسنن الإسلامية في ظل هذه المحبة فيقولون : وكن محباً وافعل ما تشاء ، ولتخرج من عينك دمعة على الحسين ثم لا تخف من أي ذنب ، هذا مع أن هذا ليس من

تعاليم الإسلام والتشيع في شيء .

وهؤلاء في الواقع لم يعرفوا المعنى الحقيقي للحب ، وذلك لأن المحب الواقعي لا يسلك طريقاً لا يقبلهُ المحبوب .

نحن نعترف أن المحبة والارتباط القلبي بالنبي الأكرم (ص) وأهل بيته الكرام من أول الوظائف للمسلم الواعي وانها توجب نجاة الإنسان ولكن لا بالشكل الذي يستغل هذا الحب استغلالاً سيّئاً فيجعل ذريعة للإستهانة بالاداب والسنن الاسلامية والتساهل فيها وعدم الحذر من الوقوع في الذنوب .

يقول الإمام الباقر (ع) في حديث طويل : من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع[٣] .

* * *

إن الفاجعة اليوم التي تتحكم اكثر من غيرها في حياة الناس وتجر البشرية نحو الفناء هي فاجعة (الحياة الآلية) . والواقع انه في مجال العلاقة بين الآلة والمجتمع نجد الانسان قد تبدَّل إلى حد بعيد إلى آلة . . . والحياة الآلية تحصر الجذور الرئيسة لمختلف الظواهر والروابط في مجتمعات اليوم في وسائل التكنيك الحديثة .

إن الإنسان موجود له احتياجات مختلفة إلا أن الحياة الآلية الميكانيكية تجره على أن يتخذ شكلاً خاصاً وإطاراً وعملاً معيّناً وان يبقى مع عمله إلى نهاية عمره يعمل ويعمل يدور كما تدور الآلة ويقف عندما تقف فهو يدور كالمروحة دون ان يستطيع ان يشبع احتياجاته الاخرى . . . ومثل هذا الإنسان جهاز مسخر للآلة بدل أن تكون الآلة مسخرة له وليس انساناً يملك احتياجات متفاوتة . . . فهو يسعى دائماً ليأكل ويأكل ليعمل . انتاج للاستهلاك واستهلاك للانتاج .

---

(٣) الكافي ، ج٢ ص٧٤ .

في المجتمع الذي تقوده الآلية يستعبد الافراد بدون أن يفكروا في عبوديتهم هذه ويقعدون عن التكامل فهو يقضي كل يوم كما قضى الآف الايام قبله ، ومثل هذا المجتمع يسعى بسرعة لأن يحل النظام الصناعي محل كل انماط التفكير المسلكي والايديولوجي للانسان ويتقولب الافراد بلا شعور مع اعمالهم وتنشأ شخصياتهم شخصيات غير مبالية ، نعم الأمر الوحيد الذي يشغل بالهم هو المسألة المالية ومقدار الدخل ومقدار الانتاج والاستهلاك في الحياة .

يلبسون لباساً واحداً ، ولهم مظهر واحد وإذا أرادوا التغيير استمعوا إلى وسائل الاعلام وغيروا انفسهم على توجيهاتها فليسوا هم الصانعين والمفكرين والعاملين والمبتكرين .

وهم عادة يمتلكون نوعاً واحداً من الحرية الصناعية الالية فهم فرحون بذلك وبدون أن يدروا يضعون في ايديهم قيود الآلة والميكانيك .

***

فإذا فكرنا في نجاة المجتمع من هذه الامراض يجب أن نلتفت إلى كل ابعاد الانسان وجوانب وجوده . . . فإن إهمال الواقعيات وانكار الاحتياجات الانسانية ، وغض النظر عن الدوافع المختلفة والنظر إلى جانب واحد دون غيره هو في الواقع نوع من الامراض الوبيلة التي ابتلي بها عصرنا مع الأسف وبشكل واسع جداً . فهل هناك اخطر من ان يكون المقياس العام في المجتمع المال لا غير فهو معيار الروابط وأساس الحياة .

في مثله هذه الظروف نجد الجميع بدلاً من الاطلاع على حقائق الاحتياجات الاجتماعية والتعاون الديني العاطفي والسعي الحثيث المترابط للتكامل والتعايش الاكمل وبدلاً من التوجه إلى آفاق الفضيلة والتضحية والايثار ومحبة الاخرين ، نجدهم لا يهتمون إلا بملء الجيوب والتمتع اكثر فاكثر بالمواهب المادية . . . فالطبيب دون توجه لمسؤوليته الدينية والاجتماعية يتحول إلى انسان مستغل يتطلب الربح والمال لا غير ، والقاضي بأخذه الرشوة الكبرى يهتم ببناء

العمارات والقصور ، والتاجر بدلاً من أن يتاجر بالاشياء المفيدة للمجتمع لا يفكر إلا بالاشياء المربحة اكثر ، واصحاب الرساميل لا مانع لديهم من انشاء مراكز الفساد واضلال جيل من الشباب لا لشيء إلا لتجميع الثروة ، والطالب يدرس لتحصيل المال لا لخدمة المجتمع .

في مثل هذا المجتمع تقاس الافضليات ، القيم ، الانحطاط بمقاييس جوفاء من هذا القبيل فوجود الشخص في المجتمع يشخصه رصيده المصرفي والملكي المشخص وتنسى القيم الواقعية والانسانية وفي خضم هذا التسابق المالي تصاب الافكار والاستعدادات بعقم قاتل ويبذر بانماط النبوغ ويطفو على السطح الفكر السخيف والتصورات الجوفاء في حين ترسب الاحجار الكريمة في القاع وتدفن في الرمال .

رأي الإسلام

خلافاً لنظرة هؤلاء فإن الإسلام راعى كل الاحتياجات الجسمية والبدنية ، الدنيوية والاخروية ، الفردية والاجتماعية .

ولا بد من وجهة نظر الإسلام ، لتأمين السعادة البشرية من التوجه لكل الابعاد الوجودية لها . فيجب أن تشبع الاحتياجات الغريزية للإنسان ولكن على اساس من ضوابط تقيم الحياة الفردية والاجتماعية على أُسس عادلة وعند ذلك فلا بد أن يؤول الامر إلى مسيرة تكاملية معنوية متصاعدة تستغل فيها مواهب الكون بكل سهولة ويُسر وتصميم لتنتهي المسيرة إلى الحياة الخالدة في العالم الآخر .

أي قانون هذا الذي يستطيع أن يستوعب الوجود الانساني المليء بالأسرار وفي مختلف المراحل ومن جميع الزوايا ؟ انه ليس إلا القانون الإلهي الذي يضعه الله المطَّلع اطلاعاً لا يحدّه حد على عمق وجود جميع الأفراد .

إن الإسلام هو قانون الله ، الله المطَّلع على كل فرد في أرجاء هذا العالم

وماذا يواجه هؤلاء في كل القرون وتحت كل الظروف الزمانية والمكانية المختلفة والبيئات المتفاوتة والأجواء المتباينة وما يلاقونه من مشاكل ، الله العالم بخفقات قلب كل موجود والمطّلع على ما يحتاجه الجنين في رحم الأم والميت في لحد القبر وذلك اكثر مما يطّلع عليه نفس الموجود المحتاج ، الله الذي يعلم حاضر كل موجود ومستقبله والذي يعلم حالة كل مجتمع هذه السنة وفي كل سنة ، والذي هو بعلمه اللا محدود مع كل موجود والعالم بكل الأسرار المخفية لكل عباده .

نعم مثل هذا المشرِّع له صلاحية وضع قانون دائم لسعادة الانسان والإسلام قانونه .

﴿ فَاَقِمْ وَجْهَك لِلّدينِ حَنيفاً فِطْرَةَ اللّهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها ﴾(٤) .

إن الإسلام يلاحظ جسم الانسان وروحه ويهتم باحتياجات كل منهما ويعتبر إشباع الاحتياجات الروحية والتكامل المعنوي والوصول إلى السعادة الخالدة الاخروية أهم من غيرها ويراها هدفاً أصيلاً .

إنه يتوجه لاحتياجات الجسم ذلك انه لو لم يكن الجسم لم يكن للروح ان تديم السير في كمالها ، انه يأمر بحفظ البدن وصحته فإن لم يكن هناك بدن سالم تقاعدت الروح عن الفعالية والنشاط .

ويرى الإسلام أن كبت الغرائز وقهرها وعدم الالتفات لاشباعها امر مردود ، ويمنع اتباعه من الرهبانية والرياضات الروحية الباطلة ويصنع للاجابة على تساؤلات كل الغرائز طرقاً واساليب صحيحة واصولية ليقف في وجه التحلل أو الحرية غير المحدودة التي تضر بالمسيرة الانسانية .

وتعاليم الإسلام في المسائل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعبادية

---

(٤) سورة الروم ، الآية : ٣٠ .

وغيرها تشكل اكبر شاهد حي على أن هذا الدين الحنيف لم يهمل حساب أية حالة ضرورية لحياة الإنسان .

فلرفع الاحتياجات الاقتصادية امر بالعمل والسعي والزراعة والاعمار واصلاح الاراضي ، وتدجين الحيوانات ، والتجارة واتخاذ الحرف والصناعة ، وذم التعطل وعدم العمل ومن وجهة اخرى ولأجل تعديل الانسان في عمله وتحصيل ماله ولأجل التقريب بين الطبقات فقد وضع طرقاً لتعديل الثروة وعلّم اتباعه أن العمل والمال وسيلة لاهداف لئلا تتعلق ابصارهم بالثروة فقط ولئلا يتخلوا عن واجباتهم الشرعية وأداء الضرائب الشرعية لتحقيق التوازن والتكافل الاجتماعيين

ولا يرى الإسلام أن من الجائز أن تنمى الثروة بأي طريق كان فهو يمنع الربا وامتصاص دماء المساكين ويعتبر الربا من اكبر الذنوب واعتبره حرباً على الله تعالى .

والإسلام يأمر بالصلاة لتبقى الصلة الدائمة بين المسلم وربه ولئلا يغرق في الامور المادية ، ويأمره بالصوم لئلا يعتاد على اللذات ويصبح اسير بطنه وتبقى روحه وعقله الموجهين لبدنه .

ويطلب من المسلمين الدعاء والعبادات المستحبة ذلك لأن الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى هو غذاء الروح وهو يصعد بالنفس إلى مجالات القرب الالهي ويخلصها من قيود الارض ويمنح الانسان في المشاكل القوة والأمل والصبر ولكنه في نفس الوقت يرى الإكثار في العبادة المستحبّة إكثاراً مؤثراً على تأدية سائر الواجبات أمراً غير مقبول .

كما أن الإسلام يرى أن المحبة القلبية بالنسبة لله والنبي (ص) واهل بيته الاكارم وشيعتهم ، والتنفر والانزجار من اعداء الله والنبي واهل بيته من الامور

اللازمة إلى الدرجة التي يعتبر فيها الإيمان هو (الحب والبغض)[٥] ولكنه في نفس الوقت ولأجل أن لا يتصور البعض أن المحبة بدون (العمل الصالح) هي وسيلة النجاة يأمر باتباع سائر اوامره ونواهيه ، ويقيم المحبة بالمقدار الذي تستطيع ان تتجسد في عمل صالح واتباع الله والنبي واهل البيت .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[٦] .

ويقول الإمام الصادق (ع) عند وفاته :

« ان شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة »[٧] .

نعم . . . إن الإسلام قانون كامل يتلاءم مع واقع الانسان وفطرته وياخذ بعين الاعتبار كل ابعاد الوجود الانساني وله في كل الامور والجهات أوامر معينة كاملة .

وعلى أمل ذلك اليوم الذي لا نعود فيه نحن المسلمين ـ بعد التوجه إلى هذه الحقيقة ـ ننظر إلى بعد واحد بل نقيم حياتنا على اساس اسلوب صحيح وضعه لنا الإسلام العظيم ، على أمل ذلك اليوم . . . نعيش وندعو الله لتحقيقه .

---

(٥) وسائل الشيعة ج١١ ص٤٣٥ ـ ٤٤٠ .
(٦) سورة آل عمرآن ، الآية : ٣١ .
(٧) وسائل الشيعة ج٣ ص١٦ .

الموسيقى

الهدف السامي

إننا لنعلم أنّ الإنسان خلق لهدف أسمى من الأكل والنوم والتمتع والغفلة . وان مسألة تميّز الانسان عن الحيوان تكمن في أن الانسان لا يمكنه أن يكون دائماً محكوماً لاحتياجات جسمه ومنشغلاً بتأمين اللذة والاستراحة الجسمية وذلك لأن (جسم الانسان شريف بانسانيته وروحه) ونفس هذه الروح الانسانية هي التي تملك سعادة التكامل الاختياري ولياقة النمو والتسامي المتواصل اللا محدود الذي يوصل الإنسان إلى أسمى المراتب من القرب والطهارة والنور والكمال العلوي .

إن ازدواج الجسم والروح في الانسان ازدواج ذو أسرار عجيبة بحيث يستطيع من جهة أن يمنح قيادة للعقل فيتصاعد حتى يصل إلى أسمى من مرتبة الملائكة كما يستطيع ان يتسافل حتى يهوي إلى مهوى الهوى والمتع المادية الرخيصة فيكون اقلّ من الحيوان واخطر من السباع . . . ومن المسلّم به ان الحيوان لا يلام بأنه يشبع نهم غرائزه الحيوانية فقط وذلك لأنه لا يتمتع بقوة عقلية ضابطة تقف أمام طغيان الغرائز واحتياجاتها ، فهو ودون أن يدري محكوم لغرائزه ، ولكن الإنسان المتمتّع بنعمة العقل وهداية الانبياء ان رفض هذه النعم وصار أسيراً لأكله ونومه ومتطلبات بدنه فهو في الواقع أضلّ من الحيوان

﴿ أُولئكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغـافِلُون ﴾[1] و﴿ اِنَّ شَرَّ الـدَّوابِّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذين لا يَعْقِلُونَ ﴾[2] .

الحياة الحقيقة

إن الحياة الحقيقة والمعنوية للانسان تتفتح بارتباطه بالله تعالى فبذكر الله تظمئن القلوب ، وتتحرك الطاقات نحو الترقي المعنوي والكمال .

ولهـذا سعى كـل الانبيـاء ليـربـطوا الانسـان بـالله ، وكـل الفـدائيين والمجاهدين في طريق الحق والفضيلة جاهدوا في سبيل هذا الهدف السّامي ولا بقاء هذه العلاقة والرابطة .

إن هذه الرابطة والمعرفة الواقعية هي الّتي تنقذ روح الانسـان من شراك الارتباط الأرضي المانع عن الانطلاق وتشدها للافاق السماوية البنّاءة ففي ظل هذه العلاقة فقط يتواجد الايمان والشهامة والجهـاد والتحمل ومعـرفة الـواجب واتباع الفضيلة .

وإن التاريخ ليذكر نماذج كثيرة استطاعت بإقرار هذه العلاقة والاعتقاد ان تنتقـل من أبعد نقـاط الضلال واعمق وديـان الانحراف إلى أعلى قمم الهـداية والقرب والواقعية .

هذا سلمان : كان ايرانيا مشرداً مضـطهداً يعيش وينتقـل ليرى الأراضي الجديدة . . . وكان بالتالي أسيراً يباع عبداً ليهـودي ويشتغل فـلاحاً في حقـل سيِّده اليهودي في نخيل المدينة .

. . . ويهاجر الرسول الأكرم (ص) إلى المدينة ويتشرف سلمان بلقائه في حالة ملؤها الروعة ولا تمضي مدة حتى تتصاعد درجات ايمانه حتى تصل اَوْجِّها

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٧٩ .
(٢) سورة الانفال ، الآية : ٢٢ .

فيعدَّه النبي (ص) من أهل بيته الطاهرين (سلمان منا أهل البيت)[٣] ويقول في التعريف به (سلمان بحر لا ينزف وكنز لا ينفذ)[٤] .

وهذا أبو ذر : الراعي المجهول في صحراء الربذة[٥] البعيد من قصة خلق الله للعالم ، البعيد عن الانسان ، البعيد عن الله ولذلك كان بعيداً عن الفضائل ولم يكن بالطبع يمتلك أي تاثير أو وزن اجتماعي . . . هذا الراعي المجهول يرى النبي (ص) بعد ذلك ويعرف الله ويرتبط وجوده به برابطة قوية لا تنفصم . . . فلم يعد في صفحة التاريخ ذلك الراعي المجهول بل عاد عاصفة قوية لا تلين أمام سياط الإنحراف ، يقف أمام قصر معاوية فيمطره بالحملات الشجاعة ليرتجف القصر لأن قامته النحيلة الهزيلة كانت شعلة من شعل الحق تنهدُّ لهولها أوكار الانحراف والكذب فتعود وهي رماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، اما لسانه الناطق بالحق فقد كان سيفاً لا يضرب إلّا رؤوس المنحرفين المتخاذلين عن الحق .

أويس القرن . . . راعي الإبل . . . البدوي المجهول الذي يعيش مع أم عجوز في اليمن . . . انه ينمو في ضوء الشمس الإسلامية كنبت غصن مورق في أرض بلقع مجهولة ويقبل الإسلام ويتسامى حتى يصل إلى المرتبة التي يقول فيها رسول الله (ص) في محبته :

« واشوقاه اليك يا أويس »[٦] .

لقد كانت عيونه المعلقة بالوجود الالهي اكثر سهراً في الليل من النجوم اللوامع في الصحراء ولربما كانت قامته القويمة تصل طلوع الشمس بغروبها

---

(٣) بحار الأنوار ، ج٢٢ ص٣٢٦ .
(٤) نفس المصدر ص٣٤٨ .
(٥) وهي منطقة جافة حارة في الحجاز وفد دفن فيها ابو ذر ايضاً .
(٦) سفينة البحار : ج١ ص٥٣ .

بالسجود والقيام والركوع .

وما اكثر عدد هؤلاء العظماء الذين يملأون صفحات التاريخ بحيث يصعب عدّهم :

الهوايات والمتع المضرة

إن الفكر العميق الصادق للإنسان المعتز بالانسانية هو أرفع من أن يسلّم صاحبه لبعض المتع الجوفاء الطفولية . . . فالإنسان الحق لا يرضى أن يخدش مقامه الإنساني السامي ويقلّل من قيمته الحقيقية .

فمن الضروري لكل انسان واعٍ لكي يصل إلى أهدافه السامية ويرتبط أكثر فأكثر بمبدأ العالم ويتكامل جوهر وجوده ، ان يرفع كل العقبات التي تقف في سبيله ويتمسك بكل ما من شانه ان يرفده بالقوة للسير على طريقه المرسوم .

ولهذا الامر نجد أن القوانين الإلهية وشرائع الانبياء وخصوصاً الدين الاسلامي الحنيف يمنع ويكره أنماط المتع المضرة وكل العوامل التي تقعد بالانسان عن التقدم المعنوي وتجره إلى السقوط والانحطاط الحضاري .

و(الموسيقى والغناء) من هذه العوامل الخطرة . فإن من المسلّم به أن هذه الألحان المهيّجة والأغاني المخصوصة التي يقوم بأدائها المغنون أو من يسمون بـ (الفنانين) تحرِّك القوى الشهوانية والحيوانية لدى الانسان ، وتقعد بالانسان عن التوجه لله والآخرة . وهل هناك ضرر أكبر من ان يفقد الانسان حياته الواقعية التي يجب أن تتوفر في ظل العبودية والاهتمام بالجوانب المعنوية ، يفقدها نتيجة لهذه المتع الرخيصة المضرة .

يقول القرآن الكريم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَري لَهْوَ الْحديثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً ، أُولئكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهينٌ ﴾[7] .

---

(٧) سورة لقمان ، الآية : .

الاثر التخديري للموسيقى

يسعى المستعمرون بكل جهدهم لكي يجرُّوا الشعوب التي تقع تحت نفوذهم إلى الغفلة والجهل لئلا يفكر أحدٌ بالمسائل الحياتية وواقعيات الحياة ، ولهذا كانت العوامل المخدّرة للأفكار هي أكبر وسائله ، وقد ساعد كل من الخمر والفحشاء والقمار والحرية الجنسية والتمتع الحرام والتحلل والرقص والموسيقى ، ساعدت الاستعمار بشكل وآخر لتحقيق هدفه المشؤوم . . . ومن الطبيعي أن هذه الأمور في نفس الوقت الذي تكون فيه مضرة بنفسها تفسح المجال لأنماط من التلوث بباقي الانحرافات ، فمن يشرب الخمر لا مانع لديه من القمار ، ومن يسلّم نفسه للفحشاء يسلم نفسه للخمر ، ومن يستمع بكل وجوده وأشواقه لصوت فلانة الفنانة لا يمتنع مطلقاً عن الزنا مع تلك المرأة لو امكنه ذلك فهو إذن يقبل الفحشاء . . . ان مثل هؤلاء سوف لن يكونوا مصونين من الذنوب والانحرافات الأخرى ، ولا ريب في ان الانحرافات تشكل عاملاً مساعداً لانتصار الغزو الاستعماري للشعوب . فإن قوى الاستعمار بمعونة هذه البرامج التخديرية تلقي الشعوب في عالم الغفلة والضياع اكثر ليخلو لها الجو فتنهب ما تشاء بسهولة وتسرق وجودها بلا رادع . نعم انها افضل معادلة استفاد منها العدو أحسن الاستفادة . . . تخلية الدماغ أولاً ثم تخلية الجيب ! . . .

ومن العجيب حقاً ان يتصور البعض الموسيقى غذاء للروح فهم يلجأون إليها فراراً من الآلام ونسياناً للمصائب في حين أن الموسيقى ـ بالاضافة إلى انها ليست غذاءً للروح ـ سمّ قاتل لها فهي تقضي على روح الانسان المؤمن ووعيه . ان للموسيقى اثراً يشبه اثر الخمر والأفيون إذ انها بحالة الخفة والطرب التي توجدها في الأعصاب تجعل الانسان يغيب مؤقتاً عن واقعيات الحياة . . . فإذا كانت هذه الخاصية تعني تغذية الروح فالخمر والهروويين يليقان اكثر منها بتغذية الرّوح !

إن للموسيقى لذة وتخديراً آنياً سريع الانقضاء ولكن لها مقابل ذلك

مساوىء واضطرابات كثيرة ، وأهم من جميع المضرات انها تبعد الانسان عن ربه وتجعله إنساناً غير مسؤول وهذا الضرر كبير جداً لمن يؤمن بالله والرسول واليوم الآخر .

الأمراض الجسمية والروحية

يؤكد علماء النفس في العالم والعلماء الواعون أن الموسيقى تبعث على الهيجان بل ان هذا امر تجريبي بمعنى ان كل من استمع للموسيقى يعلم انها تبعث هيجاناً معيناً .

وهذا التهييج له أثر واضح حتى في الحيوانات أحياناً فإن بعض حداة القوافل يعرفون لحناً خاصاً يستطيع تهييج الإبل بحيث تحمل اضعاف طاقتها وتسير مسافات أطول .

ومن جهة أخرى وبناء على تحقيقات لعلماء كبار فان المسلَّم به أن أمراضاً كثيرة مثل (الحملة العصبية) و(ضعف الاعصاب) و(الامراض الروحية) و(الامراض القلبية) و(امراض المعدة) و(الضغط الدموي) وحتى (تساقط شعر الرأس) و(تسوُّس الاسنان) كلها تنشأ من هيجان الأعصاب حتى ان بعض العلماء يقول (ان الارتعاشات والهيجانات النفسية تتبدل فوراً إلى ارتعاشات بدنية تؤثر على البدن) .

بالإضافة أن الموسيقى الحادة قد تكون مضرة بشدة بحيث يكون لها ضرر آني .

(فهناك خمسون الف شخص من الشباب في ملبورن استمعوا الى كنسرت موسيقى وتهيجوا الى حد جعل بعضهم يحمل على بعض وبلا اي مبرر جرحوا بعضهم البعض وحتى انهم قاموا ببعض الاعمال المنافية للآداب)

(إن الالحان القوية المفرطة للموسيقى ، تحرِّكُ الأعصاب وتهيِّجها إلى درجة يبتلى معها السامع بالتدريج بالآلام النفسية وهذه الآلام النفسية تحصل نتيجة للسهرات الليلية والنشاطات في غير محلها ، والتمتعات المفاجئة ، والضحكات السخيفة والكلام الهزل ، والحدَّة المزاجية ، والآلام الأخرى التي تلازم الاستماع إلى الاوركسترا وجلسات الموسيقى . . . وإذا تكررت هذه الآلام والمتاعب واستمرت فان الشخص يبتلى بمرض يسمى « manie » وهو نوع من الجنون) [8] .

وقد يعمل الموسيقيون فنهم بحيث يحوِّلون المسرح والقاعة إلى مستشفى مجانين (. . . ففي يوم ما اغمي على ٣٠٠ بنت في كلاسكو إثر إجراء كنسرت مؤثِّر وفي آخر قام رجل بخلع ثيابه من شدة الهيجان وبحالة جنونية بدأ يمشي على رؤوس الجالسين واكتافهم . . . حتى تمكن البوليس اخيراً من القبض عليه وأودع السجن) [9] .

ونفس العازفين والموسيقيين معرَّضون انفسهم لهذه المضار والامراض . . . يكتب احدهم قائلاً (أنا الآن انتظر دائماً انتهاء حياتي وانقطاع خيطها الرقيق) ويكتب الاخر في رسالة له ان جهازي العصبي لا يدعني في راحة من شدة ضعفه . . . أنا ارجو أن اموت) .

ويقول احد العازفين الروسيين (في بعض الاقسام احس بوحشة شديدة جداً بشكل لا يمكن للمستمعين ان يحسوا بشيء مما احس به) [10] .

الاضرار الاقتصادية

وللموسيقى اضرار اقتصادية كثيرة قد لا يحسب حسابها :

---

(٨) تأثير موسيقى بر روان واعصاب ص٦٣ ـ ٨٢ .

(٩ و١٠) تأثير موسيقى بر روان واعصاب ص٦٣ ـ ٨٢ .

فهناك الأموال الكثيرة القاصمة التي تصرف في هذا السبيل حيث تشكل رقماً موحشاً بالاضافة إلى الاوقات الثمينة التي تتلفها حفلات الموسيقى .

ترى لو أن هذه الاوقات الثمينة ضرفت في الطريق الصحيح فكم تحصل الامة على نتائج باهرة ؟ إذا كانت هذه الطاقات والأموال قد صرفت في طريق البناء ، والانتاج الأكثر ، والتقدم في الخطط الاساسية والتعليم والتربية ، أو على الاقل لتهيئة أماكن الترويح والتمتع السالمة فما اكثر الثمار التي تجنيها الأمة من ذلك ؟

ألسنا نجد أن اموالاً طائلة تصرف على المآدب الكبرى والسهرات المترفة ، والكنسرت وامثال ذلك ؟ ألسنا نشاهد أن بعض المغنين قد يحصل على مبالغ خيالية تعادل راتب عالم وپروفسور وذلك في جلسة واحدة ؟

ترى أليس من المؤسف المؤلم هذه المصارف السخيفة بمثل هذا المستوى البالغ .

ومما ينبغي الإلتفات اليه أن هذه التمتعات الحرام والاسراف تنتهي بالتالي إلى السرقة ، والرشوة ، والإختلاس والفساد في مختلف الشؤون المربوطة بمجتمع ما . . . ذلك أن الأرباح الحلال قد لا تكفي عادة لمثل هذا الاسراف في البذل والسهر والشرب ولذا يلجأ أصحابها ممّن أعمتهم الشهوة لسد هذا النقص عن طريق الفساد والخيانة فلا سبيل لهم غير ذلك ونحن نعلم ان مثل هؤلاء الأفراد مع مثل هذا الصرف والتمتع اناس لا يرتبطون بدين وليسوا ممن يذكر الله ويتذكر أوامره ليخاف الخيانة وهذا بنفسه خطر كبير يهدد المجتمع من داخله .

الموسيقى والاضرار الاخلاقية

واخطر الآفات المميتة للموسيقى هي المضار الاخلاقية . . . فعلى مذبح هذه الالحان الجميلة في الظاهر ، يضحّى بالدين والاخلاق والشرف والفضيلة

والعفَّة وباقي المزايا الاخلاقية . . . انها الالحان التي تميت القلب وتجر المجتمع إلى الفساد والانحراف .

إن الموسيقى خصوصاً في المجالس المختلطة بالرجال والنساء تشكل عاملاً مؤثراً لتحريك الشهوة الجنسية والخيالات السقيمة وتنتهي إلى الانحراف والفساد . . . ويعتبر اثر الموسيقى والتعليمات السيئة لمثل هذه المجالس على الروح الطاهرة غير المعقدة للطفل والمراهق من اكبر الآثار خطرا .

ما هي الموسيقى وما هو الغناء ؟

إننا نذكِّر بأن الفقهاء واستناداً للقرآن والروايات حرَّموا شيئين :

١ ـ الغناء المطرب المهيِّج وبألحان أهل الفسوق أو المخصوص بمجالس اللهو والرقص . . . سواء كان ذلك بألفاظ لها معان حقة كالأشعار الدينية والقرآن أو لها معانٍ باطلة مثل الاغاني التي تغنيها النساء والرجال في الراديو والتلفزيون وسواء كانت مطربة لجميع الافراد وكانت غير مهيجة بالنسبة لبعضهم ولا يختلف في التحريم ان يكون الغناء معه موسيقى أو مجرداً عنها .

٢ ـ استعمال آلات الموسيقى بأي شكل ونوع سواء كان من الآلات التقليدية أو المستحدثة ، وسواء صاحبها غناء أو لم يصاحِبها ، وسواء كان سماعه باعثاً على التهييج أو لا ؟

وبعبارة اخرى يجب القول بانه تعد الصورتان المذكورتان من اللهو واللعب المحرّم في الإسلام وهو تارة يكون بضرب الوتر أو نفخ العود وأمثال ذلك وقد يكون بالغناء كما قد يكون بأداء بعض الحركات كالرقص وقد يكون من اشياء اخرى .

والروايات من طرق الشيعة والسنّة على حرمة استعمال آلات اللهو والتلهّي بها كثيرة جداً بل هي متواترة وتعدُّ الرواياتُ هذه الاعمال من الذنوب المهلكة وحتى انها تأمر بإتلاف آلات اللهو عند الامكان ولا ضمان على ذلك .

ومن الطبيعي أن كل لعب ولغو لا يعدُّ حراماً بل ما هو مثل الرقص والموسيقى وأمثالهما مما يغرق الانسان في المتعة الحرام والطرب[11] وأوضح نماذج اللهو ما نراه يعطى للجماهير عن طريق وسائل الإعلام .

كما أنه ينبغي ان نذكِّر بان (الغناء) شيء و(الأداء الحسن في القراءة) شيء أخر . . . فلو قرأ الشعر الحق ، والموعظة والقرآن والمراثي والمدائح بلحن جيد لا يكون شبيهاً بلحن اهل الفسق (أي بالشكل الذي يلحّنه المغنون والمغنيات) فإن ذلك ليس حراماً . . . وتشخيص هذين النوعين للمسلم الواعي ليس امراً صعباً .

كما أن من البديهي أن الاستماع للألحان الجميلة للطيور والأنغام الحلوة للبلابل والأصوات الجميلة المهدئة للشلالات وسائر عوامل الطبيعة ليس حراماً .

الغناء والموسيقى من وجهة نظر القرآن

هناك آيات في القرآن المجيد ذمت الغناء والموسيقى نشير إلى بعض النماذج منها .

١ ـ في سورة لقمان : ﴿ **وَمِنَ النَّاس مَنْ يَشْتَري لَهْوَ الْحَديث لِيُضِلَّ عَنْ سَبيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهينٌ** ﴾[12] .

وقد فسر المفسرون الكبار (لهو الحديث) بـ (الغناء) .

٢ ـ ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ ٱلاَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾[13] وقد فسر

(١١) مكاسب الشيخ الانصاري ص٥٤ .
(١٢) سورة لقمان ، الآية : ٦ .
(١٣) سورة الحج ، الآية : ٣٠ .

(قول الزور) بـ (الغناء)[١٤] .

٣ ـ ﴿ وَالَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[١٥] .

والموسيقى والغناء من اللغو الذي يتجنبه المؤمن .

٤ ـ ﴿ وَالَّذينَ لاٰ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وإِذا مَرّوْا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً ﴾[١٦] .

وقد فسِّر (الزور) و(اللغو) في الروايات وأقوال المفسرين بـ (الغناء) و(الموسيقى)[١٧] .

من وجهة نظر الروايات

يوجد في كتب الحديث والفقه والتفسير المعتبرة اكثر من سبعين رواية في حرمة (الغناء) واستعمال آلات اللهو . يقول الإمام الصادق (ع) :

(استماع اللهو والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع)[١٨] .

ويقول : الغناء يورث النفاق ويعقب الفقر[١٩] .

ويقول لذلك الشخص الذي قضى ليلته باستماع الغناء والموسيقى :

---

(١٤) فروع الكافي ج٦ ص٤٣١ باب الغناء الحديث ١ وص٤٣٥ ح٢ ، وسائل الشيعة ج١٢ ص٢٢٥ وغيرها .

(١٥) سورة المؤمنون ، الآية : ٣ .

(١٦) سورة الفرقان ، الآية : ٧٢ والميزان ج١٥ ص٢٦٥ .

(١٧) فروع الكافي ج٦ ص٤٣١ و٤٣٢ وغيرها .

(١٨ و١٩) الوسائل ج١٢ ص٢٣٠ و٢٣٦ (وقد ذكر الكثير من الروايات ان الغناء واللهو يؤديان الى النفاق في القلب وقد تقول انه يقسي القلب وقد يكون المقصود ان محل الايمان هو القلب والايمان يتقوى بالتوجه لله وذكره واللهو والغناء واستماع الموسيقى توجب الغفلة والنسيان لله وهذه هي النقطة المقابلة لذكر الله والتوجه له تعالى . وفي النتيجة فإن القلب يفقد ايمانه وهذا هو النفاق فالشخص الغارق في اللهو واللعب وإن كان مسلماً في الظاهر لكن قلبه يكذب مظهره) .

(ويحك أما خفت أمر الله ان يأتيك وانت على تلك الحال إنه مجلس لا ينظر الله إلى أهله)[٢٠].

وقد جعلت بعض الروايات اللهو والطرب من الاعمال الشيطانية والاستماع له يعبِّر عن عبادة الشيطان ، وفي رواية اخرى نقرأ أن المرأة المغنية ومن يستفيد من كسبها ملعون)[٢١].

وكذلك فإن الإمام السادس الصادق (ع) يقول لشخص ذهب لأداء بعض احتياجاته الضرورية إلى مكان فسمع صوت غناء وطرب من الجيران فأطال جلوسه في ذلك المكان . . . يقول له : ما كان اسوأ حالك لو كنت متَّ على هذا ؟! استغفر الله واسأل الله التوبة من كل ما يكره فانه لا يكره إلا القبيح ، والقبيح دعه لأهله فإن لكل قبيح اهلا[٢٢].

وفي الختام

فإننا نرجو من كل المسلمين وخصوصاً الشباب لحفظ مقامهم الانساني ، ولتحكيم روابطهم مع الله والقرآن وللوصول إلى أهدافهم الإسلامية العظيمة ، وللخلاص من عبادة الشيطان ، والرجوع إلى طاعة الله وعبادته ، ان يقوموا بالامتناع عن الاشتراك في مجالس اللهو والموسيقى والطرب ويحفظوا اجسامهم وارواحهم من هذه الطعوم المسمومة .

---

(٢٠) مستدرك الوسائل ، ج٢ ص٤٥٧ .

(٢١) الوسائل ، ج١٢ ص٢ ـ فروع الكافي ج٥ ص١٢٠ ح٦ .

(٢٢) البحار ، ج٧٩ ص٢٤٦ .

الفهرس

التخطيط أو النظام في الحياة